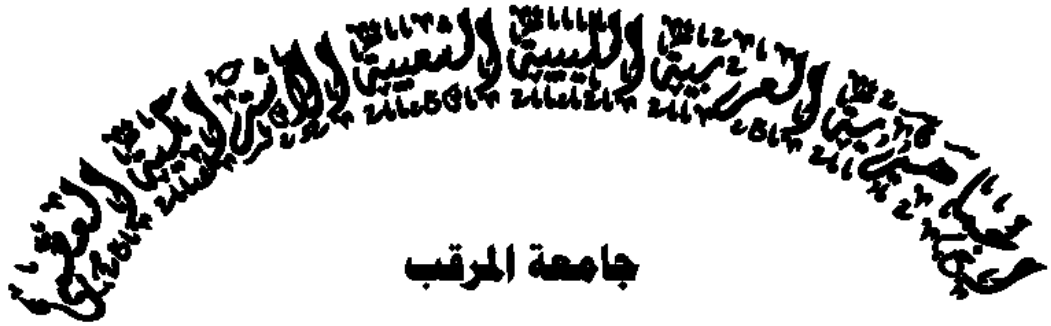

جامعة المرقب

الدراسات العليا

كلية الآداب والعلوم/ ترهونة

قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية

بحث مقدم استكمالاً لمتطلبات درجة الإجازة العالية (الماجستير) في الدراسات اللغوية

بعنوان:-

احتجاج الزمخشري بالقراءات في تفسير الكشاف

إعداد الطالب:

علي الكيلاني حسن الماعزي

إشراف الدكتور:

ميلود ميلاد الصغير

العام الجامعي: ٢٠٠٧-٢٠٠٨ م

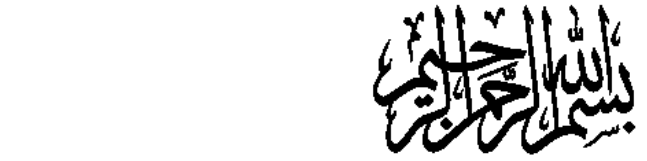

﴿اِقْـرَأْ بِاسْـمِ رَبِّـكَ الَّـذِي خَلَـقَ۞ خَلَـقَ الإِنْسَـنَ مِـنْ عَلَـقٍ۞ اقْـرَأْ وَرَبُّـكَ الأَكْـرَمُ۞ الَّـذِي عَلَّـمَ بِـالْقَلَمِ۞ عَلَّـمَ الإِنْسَن مَا لَمْ يَعْلَمْ۞ ﴾

سورة العلق: الآيات(١،٢،٣)

الإهـــداء

إلى قرّة عيني ..... إلى مصدر الحنان الدافئ الدائم

..... إلى القوة التي استمد منها طاقاتي ..... إلى

الرحمة الدنيوية

والدي العزيزين ... أطال الله في عمريهما

الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر أولاً إلى الله تعالى الذي أعانني على استكمال هذا البحث على الرغم من الظروف القاسي التي ممرت بها، وأتقدم بالشكر والعرفان الكبيرين إلى أستاذي المشرف الدكتور الفاضل: **ميلود ميلاد الصغير**، على ما قدمه لي من معلومات وتوجيهات أفادتني في بحثي، وأنارت لي طريقي، فلقد استفدت منه خير استفادة، وكان الصدر الرحب الذي استوعبني والأب الروحي العلمي الذي وجّهني، فكان مصدر مراجعاتي ومناقشاتي، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى عميد كلية التربية والعلوم بمترهونه، وإلى أعضاء التدريس بقسم اللغة العربية وإلى أسرة أعضاء التدريس بقسم اللغة العربية بجامعة سبها.

كما أتقدم بالشكر إلى جميع أصدقائي وزملائي الذين وقفوا بجانبي وأمدّوا لي يد المساعدة فكانوا خير معين وخير نصير ولا أقول لهم إلا كما قال الشاعر:-

سلام على الدنيا إذا لم يكن بها ... صديق صدوق صادق الوعد منصفاً

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد قرّة أعيننا، وربيع قلوبنا.

أسهم القرآن الكريم بقراءاته المختلفة في الحفاظ على اللغة العربية في إثراء مفرداتها، وتهذيب ألفاظها خير تهذيب.

إن القراءات القرآنية علمٌ واسع المجال، وبحرٌ لا شواطئ له وعلم لا يدرك كنهه أحد، فكلما ظنّ العلماء أنهم قد نالوا منه الحظ الأوفر ظهر لهم من أسراره ما ظهر، وبدا لهم من علومه الخفيّة ما بدا.

ولم يختلف أحد في أن القرآن الكريم أصلٌ من أصول الاستشهاد في اللغة والنحو، ولكن النحاة اختلفوا في مدى الاستفادة من قراءاته، ففي الوقت الذي تقبل الكوفيون كل هذه القراءات متواترها وشاذها[1].

"استبعد البصريون من منهجهم الاستشهاد بالقراءات إلا إذا كان هناك شعر يسندها أو كلام عربي يؤيدها أو قياس يدعمها"[2].

كان الاحتجاج بالقراءات موضع شد وأخذ ورد بين العلماء، فمنه المانع ومنه المجيز، ولكل فريق حججه وأدلته، ويذكر السيوطي من أدلة المانعين نسبة القراء إلى اللحن، ومن أدلة المجيزين تواتر تلك القراءات وثبوتها بالأسانيد[3].

" أما بعض العلماء فيقدم صحة النقل على مقاييس العربية "[4].

يقف الزمخشري موقفًا واضحًا من القراءات شأنه شأن النحويين المتقدمين عليه، وفي هذه الدراسة نحاول أن نقف وقفة نبين فيها احتجاج الزمخشري بالقراءات القرآنية في قضايا اللغة المختلفة. فهذا العالم يقف موقفًا ينتصر فيه لبض القراءات ويقف موقفًا آخر يرد ويضعف فيه البعض الآخر منها، وقد سبق الزمخشري بهذا الموقف

---

[1]- قال السيوطي في تعريف أنواع القراءات:(المتواتر هو ما نقله جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم إلى منتهاه، وغالب القراءات كذلك، والآحاد هو ما صح سنده وخالف الرسم، أي " المصحف العثماني"، أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور، والشاذ هو ما لم يصح سنده). ينظر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١: ٧٧.

[2] - ينظر القرآن وأثره في الدراسات النحوية، لعبد العال سالم مكرم ص:٩٧.

[3] - الاقتراح ص:١٧.

[4] - النشر في القراءات العشر لابن الجزري ص:١٠ – ١١.

من العلماء الذين تقدموا عليه؛ فمثلاً لقد أنكر قراءة ابن عامر وهي قراءة سبعية متواترة مشهورة كاشتهار الشمس في النهار عدد من العلماء منهم: الفراء وأبو علي الفارسي وابن خالويه وابن عطية وابن الأنباري وغيرهم.

تعرض عالمنا الزمخشري لانتقادات عديدة من العلماء الذين انتصروا للقراءات القرآنية ورفضوا توجيه النقد لها.

ولعل مما يدعوا للاستغراب اعتماد مؤيدي هذه القراءات على العصبية القبلية أو القومية فيتخذون بعض البراهين على كون عبد الله بن عامر عربيًا صريحًا، ويطعنون في إنكار الزمخشري لها بأنه أعجمي ضعيف في النحو، وهذا غير صحيح، فليس من المنهج العلمي الصحيح في النقد اللغوي تفضيل العربي على العجمي، والمسلم على النصراني، ثم إن الزمخشري من العلماء المشهود لهم بطول الباع في علوم الدين واللغة والنحو.

ومهما يكن من أمر فالقراءات أداة أساسية يعتمد عليها المفسر في تقوية التفسير القرآني كما هو الشأن في تفسير الكشاف وتفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي وغيرهما.

القراءات أداة أساسية يعتمد عليها اللغوي في إثبات بعض اللغات الفصيحة، ويعتمد عليها النحوي في إثبات صحة القاعدة النحوية والصرفية.

الخلاف بين المجيزين للقراءات القرآنية والمانعين لبعضها هو خلاف بين اتجاهين مختلفين، اتجاه أهل النقل واتجاه أهل العقل، أو أهل الأثر وأهل القياس، والزمخشري من أهل القياس والعقل.

التأليف في القراءات والاحتجاج بها تجاوز الكتب التي تخصصت في هذا الشأن إلى كتب التفسير، فنجد بعض كتب التفسير مليئة بالقراءات والاحتجاج بها للغة والمعنى والنحو.

وعندما كنت طالبًا في السنة التمهيدية من الدراسات العليا لفت نظري علم القراءات الجليل، وكثرة القراءات وتنوعها، واختلاف وجوهها، والتغيير الدلالي لكل قراءة، وعلى الرغم من هذا التنوع والاختلاف فيما بين القراءات استطاعت المحافظة على صورة القرآن المثلى التي أنزلها الله على نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم –

وأوصلته لنا في أجمل حلة خال من التحريف والتغيير. قال تعالى:﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[1].

المطلع على القراءات في تفسير الكشاف وكيفية احتجاج الزمخشري بها في قضايا اللغة المختلفة يجد موضوعًا كبيرًا لا يمكن حصره والإحاطة به في هذه الدراسة، ومهما كتب الباحث في هذا الموضوع لا يستفيه حقه، فالزمخشري عالم كبير في اللغة والنحو والبلاغة والقراءات، فهو يوظفها في قضايا متعددة، وتتعدد هذه المظاهر لتخدم كل قضية هدفًا من أهداف الزمخشري اللغوية؛ ونظرًا لتنوع منهج الزمخشري في الاحتجاج بالقراءات اخترت المنهج التحليلي لعرض بعض النماذج من كلامه، ولجأت إلى كتب القراءات والكتب اللغوية لتوضيح كلام الزمخشري ومعرفة المراد منه، ومعرفة ماهية هذا الاحتجاج أو ذاك.

وهذا الموضوع قصرته على الاحتجاج بالقراءات في القضايا اللغوية والبلاغية والنحوية والصرفية وفيما يخص المعنى.

الاحتجاج الذي أعنيه مغمور في تفسير الكشاف، فنجد الكثير من القراءات في هذا التفسير الكبير، ولم يقتصر الزمخشري على الاستدلال بالقراءات المشهورة بل تجاوزها إلى الشاذة وبالغة الشذوذ، وهو لا يفرق عند احتجاجه بها بين القراءات المشهورة والشاذة بل يأخذ من النوعين متى وجد قراءة تخدم منهجه اللغوي وتحقق له مبتغاه في تبيين الوجوه البلاغية.

أهم الدراسات السابقة

كتب الكثير من العلماء في مجال الاحتجاج بالقراءات وللقراءات، ولا يمكن الإحاطة بهم، فنذكر على سبيل المثال لا الحصر من العلماء المتقدمين الفراء والزجاج وابن خالويه وأبو علي الفارسي وأبو زرعة وابن جني وغيرهم.

ومن الذين كتبوا في الاحتجاج بالقراءات من العلماء المحدثين الدكتور مصطفى الصاوي الجويني في كتابه منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، وكذلك الدكتور فاضل السامرائي في كتابه الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري، وكذلك الدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة في كتابه النحو وكتب التفسير، والدكتور محمد

---

[1] - سورة الحجر الآية:٩.

حسنين الذهبي في كتابه البلاغة القرآنية في تفسير الكشاف، وكذلك ما كتبه سيدي عبد القادر بن محمد محمود الطفيل في رسالته التي نال بها درجة الماجستير بعنوان:(الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي)، وغيرهم كثر.

أبهرني أسلوب الزمخشري العلمي في الاحتجاج بالقراءات وتوجيهها وتبين وجوهها البلاغية، وكيفية توظيفه لها في قضايا اللغة المختلفة، وقادني إلى اختيار موضوع احتجاج الزمخشري بالقراءات في تفسير الكشاف.

وبحثي هذا قسمته على مقدمة وفصلين، فبدأت الدراسة **بفصل تمهيدي**، وقسمته إلى مبحثين، ففي المبحث الأول: عرّفت بالزمخشري وتفسيره وآثاره ومصادره وثقافته المتنوعة، وقيمة الكشاف العلمية.

والمبحث الثاني: تكلّمتُ فيه عن القراءات والاحتجاج بها وتطرقت إلى تعريف القراءة والاحتجاج، وعرضت في إيجاز موقف أشهر النحاة المتقدمين والمتأخرين عند احتجاجهم بالقراءات.

وأما **الفصل الأول** فتناولت فيه الاحتجاج بالقراءات عند الزمخشري وجعلته في ثلاثة مباحث هي:

المبحث الأول: مظاهر الاحتجاج بالقراءات عند الزمخشري.

المبحث الثاني: احتجاجه بالقراءات في القضايا النحوية والصرفية.

المبحث الثالث: احتجاجه بالقراءات في القضايا الدلالية.

وأما **الفصل الثاني** فتناولت فيه منهج الزمخشري في الاحتجاج بالقراءات وتكلمت فيه عن ضوابط القراءة عند الزمخشري وانتصاره لمذهبه المعتزلي بالقراءة ومصادره في الاحتجاج وأدلّة الاحتجاج عنده.

واعتمدت في هذه الدراسة على رواية حفص، وختمت بحثي بخاتمة ذكرت فيها نتائج هذه الدراسة.

والله الموفق إلى سواء السبيل، فإن وفقت فهو توفيق منه، وإن أخطأت فحسبي أني قدمت ما عندي. ولله در الشاعر إذ قال:-

إذا لم يكن توفيقٌ من الله للفتى ∴ فأول ما يجنى عليه اجتهاده

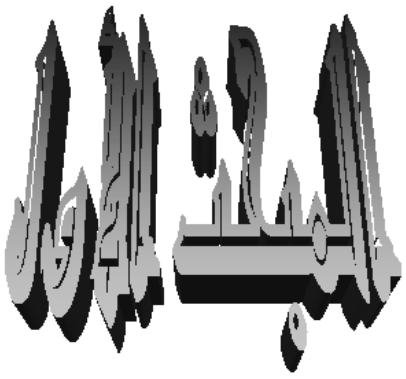

الزمخشري وتفسيره

أولاً: الزمخشري:

هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري المعتزلي الملقب بجار الله[1]، ولد بزمخشر[2] قرية من قرى خوارزم يوم الأربعاء السابع من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة من الهجرة[3] في عهد السلطان جلال الدين والدنيا أبي الفتح ملكشاه الذي يعتبر عهده من أزهر العهود في التجارة والصناعة والعلوم والآداب والفنون، توفى بكركانج قصبة خوارزم ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة للهجرة، وفي ذلك العصر المزدهر نشأ وترعرع في أسرة فقيرة لا نعرف عنها شيئاً إلا بقدر ما تكلم به عنها، فلقد ذكر لنا في شعره أنها أسرة ذات تقوى ودين وقد اشتهرت بذلك.يقول الزمخشري:

هَاتْ الَّتِي شُبِّهَتْ ظُلْماً بِشَمْسِ ضُحَى ∴ لَوْ عَارَضَتْهَا لَغَطَّتْهَا بِإِشْرَاقِ

اسْتَغْفِرُ اللهَ قَدْ نُسِبتُ بِهَا ∴ وَلَمْ أَكُنْ لِحِمْيَاهَا بِذَوَّاقِ

وَلَمْ يُذَقْهَا أَبِي كَلَّا وَلَا أَحَدٌ ∴ مِنْ أُسْرَتِي وَاتِّفَاقُ النَّاسِ مِصْدَاقِي[4]

وتكلم عن والدته ووصفها بأنها ذات عاطفة رقيقة حتى شملت هذه العاطفة العصافير الصغيرة، وذكر لنا قصته مع ذلك العصفور الذي قطع رجله في صباه وكيف غضبت أمه عليه من هذا الفعل[5]،وذكر أيضاً في شعره قصة سجن والده في عهد مؤيد الملك المتوفى سنة ٤٩٤هـ، ولقد أرسل الزمخشري يستعطفه لإطلاق سراحه فقال:-

أَكْفَى الكُفَاةِ مُؤَيِّدِ المُلْكِ الَّذِي ∴ خَضَعَ الزَّمَانُ لِعِزِّهِ وَجَلَالِهِ

ارْحَمْ أَبِي لِشَبَابِهِ وَلِفَضْلِهِ ∴ وَارْحَمْهُ لِلضَّعْفَاءِ مِنْ أَطْفَالِهِ

ارْحَمْ أَسِيراً لَوْ رَآهُ مِنَ الْعِدَى ∴ أَقْسَاهُمُ قَلْباً لَرَقَّ لِحَالِهِ[6]

---

[1] - لقب بجار الله لأنه سافر إلى مكة وجاور بها زماناً فعرف بهذا اللقب واشتهر به حتى صار علماً بالغلبة.

[2] - زمخشر قرية من قرى خوارزم، تكلم عنها بارتولد على أنها ذات أهمية في تقدم الحضارة في آسيا الوسطى (دائرة المعارف الاسلامية ماددة خوارزم)، ويقول المقدسي عنها: (هي كورة جليلة واسعة كثيرة المدن ممتدة العمارة) ينظر أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي، ص٢٨٤.

[3] - ينظر وفيات الأعيان لابن خلكان ١٠٧/٢، طبعة بولاق وطبعة صادر ١٦٨/٥. وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ص٤٣، وينظر شذرات الذهب، ١٢١/٤، وطبقات المفسرين للسيوطي، ص٤١، ومعجم الأدباء للحموي، ٤٨٨/٥.

[4] - منهج الزمخشري في تفسير القرآن للجويني وقد نقله عن ديوان الآدب ورقه٤٧.

[5] - ينظر مقدمة تفسير الكشاف للمؤلف.

[6] - منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه لمصطفى الصاوي الجويني، ط٣، دار المعارف المصرية، ص٢٥، نقلاً عن ديوان الأدب ورقه ٨٥.

وفي شعره أيضاً ذكر أن أباه قد انتقل إلى الرفيق الأعلى وهو لا يزال غضّاً طرياً، قال:-

فقدتُه فاضلاً فاضتْ مآثره ∴ العلم والأدب المأثور والورعُ

أخا طباع مصفاة مناسبة ∴ ماء السحابة ما في بعضها طَبَعُ

وذا حقائق لا في لحظة طلبٌ ∴ لغير رشد ولا في لفظه قذعُ

لم يأل ما عاش جداً في تقاه يرى ∴إنّ الحريص على دنياه منخدع[1]

يقول ابن خلكان: (إنه لمّا بلغ سن الطلب رحل إلى بخارى لطلب العلم)[2] وهناك تلقى تعليمه الأول، على أيدي شيوخ أغلبهم من المعتزلة.

أشهر شيوخه:-

تتلمذ الزمخشري على أيدي شيوخ أغلبهم من المعتزلة منهم:

١- أبي منصور الجواليقى، وقرأ عليه بعض كتب اللغة[3].

٢- عبدالله بن طلحة اليابرى المتوفي (٥١٨هـ)[4] ولقد قرأ الزمخشري عليه كتاب سيبويه.

٣- الشيخ محمود بن جرير الضبىّ الأصفهاني أبي مضر النحوي، المتوفي (٥٠٧هـ).

قال ياقوت الحموي عنه (كان يلقب بفريد العصر، وكان وحيد دهره وأوانه في علم اللغة والنحو، يضرب به المثل في أنواع الفضائل وهو الذي أدخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها فاجتمع عليه الخلق لجلالته، وتمذهبوا بمذهبه)[5].

أشهر تلاميذه:-

---

[1] ـ المصدر نفسه، ص٢٦، نقلاً عن ديوان الأدب ورقة ٧٢.

[2] ـ وفيات الأعيان، ابن خلكان ١٠٧/٢.

[3] ـ وفيات الأعيان، ٢٢٥/١.

[4] ـ بغية الوعاة: ص٢٨٩.

[5] ـ وفيات الاعيان، ابن خلكان ١٠٧/٢.

للزمخشري تلاميذٌ كثر منهم من سمع منه ومنهم من أخذ عنه الرواية ومنهم من أرسل إليه يستجيزه في مسموعاته ومصنفاته[1].ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

١- الموفق أحمد بن أبي سعيد إسحاق أبو المؤيد المعروف (بأخطب خوارزم)[2].

٢- علي بن محمد بن علي بن أحمد بن مروان القمراني الخوارزمي[3].

٣- محمد بن أبي القاسم بايجوك أبو الفضل البقالي الخوارزمي الآدمي الملقب (بزين المشايخ)، كان إماماً في الأدب وحجة في لسان العرب، أخذ اللغة وعلم الإعراب عنه)[4].

٤- يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر أبو يوسف البلغي[5].

٥- يقول السمعاني: (وظهر له جماعة من الأصحاب والتلامذه وروى عنه أبو المحاسن إسماعيل بن عبدالله الطويلي بطبرستان وأبو المحاسن عبدالرحيم ابن عبدالله البزار بأبيورد وأبو عمرو عامر بن الحسن السمسار بزمخشر وأبو سعد أحمد بن محمود الشاشي بسمرقند وأبو طاهر سلمان بن عبدالملك الفقيه بخوارزم وجماعة سواهم)[6].

آثاره:-

الزمخشري عالم كبير، واسع العلم في التفسير والحديث والنحو واللغة والأدب، وسائر العلوم؛ ولذلك هو من أصحاب التصانيف البديعة في مختلف العلوم، وذكر المترجمون لحياة الزمخشري أن له نحو خمسين مؤلفاً في فنون الأدب، واللغة، والترجمة، والتفسير، والحديث، والفقه ولعلّ من أشهرها:-

١- تفسير الكشاف.

٢- الفائق في غريب الحديث.

٣- الرائض في الفرائض.

٤- المنهاج في الأصول.

---

[1] - ينظر معجم الأدباء، ٦١/١٥، ٦٢، ٨٥/١٩، وينظر وفيات الأعيان، ٢٤٧/١.
[2] بغية الوعاة، ص٤٠١.
[3] - معجم الأدباء، ٦١/١٥.
[4] - المصدر نفسه، ٥/١٩.
[5] - المصدر نفسه، ٥٥/٢٠.
[6] - منهج الزمخشري في تفسير القرآن للجويني، ص٤٦، نقلاً عن الأنساب للسمعاني، ص٢٨٨.

٥- كتاب الجبال والأمكنة.

٦- متشابه أسماء الرواة.

٧- كتاب شقائق النعمان في حقائق النعمان في مناقب الإمام أبي حنيفة.

٨- كتاب المواعظ الذي سماه كتاب الكلم النوابغ في المواعظ.

٩- كتاب أطواق الذهب في المواعظ.

١٠- كتاب نصائح الكبار وكتاب نصائح الصغار.

١١- مقامات في الوعظ.

١٢- كتاب الرسالة الناصحة.

١٣- ربيع الأبرار.

١٤- تسلية الضرير.

١٥- كتاب شافي العي من كلام الشافعي.

١٦- كتاب نكث الأعراب في غريب الإعراب في غريب إعراب القرآن.

١٧- كتاب النموذج في النحو.

١٨- المفصل في النحو.

١٩- كتاب المفرد والمركب.

٢٠- كتاب الأحاجي والألغاز.

٢١- كتاب صميم اللغة.

٢٢- أساس البلاغة.

٢٣- جواهر اللغة.

٢٤- كتاب الأجناس.

٢٥- مقدمة الأدب في اللغة.

٢٦- كتاب الأسماء في اللغة.

٢٧- كتاب القسطاس في العروض.

٢٨- المستقصى في الأمثال.

٢٩- أعجب العجب في شرح لامية العرب.

٣٠- كتاب سوائر الأمثال.

٣١- مخطوط ديوان الأدب.[١]

ثانياً: تفسير الكشاف:-

يُعدُّ تفسير الكشاف من أشهر الآثار العلمية للزمخشري في تفسير القرآن العظيم، لم يصنف مثله قبله كما أشار كثير من العلماء، ونظراً لأنه من مصادر بحثي رأيت أن أسلط عليه الضوء من نواحٍ عِدّه أهمها:-

قصة تأليفه وزمنه:-

ألفه عالمنا – رحمه الله- في مكة في جواره الثاني بها، وهو يحدثنا في مقدمته أنه قد لبث (أعواماً ثلاثة) يؤلف كتابه هذا قال: (وَوَفّق الله وسدّد ففرغ منه في مقدار مدّه خلافة أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-[٢]) والتي تقدر بما يقارب عامان وثلاثة أشهر.

ذكر الزمخشري في مقدمته قصة تأليفه، وما كان منه من تردد بين إقدام وإحجام فقال: (ولقد رأيت إخواننا في الدين من أفاضل الفئة الناجية العدليّة[٣] الجامعين بين علم العربية والأصول الدينية، كلما رجعوا إلى تفسير آية فأبرزتُ لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا في الاستحسان والعجب، واستطيروا شوقاً إلى مصنف يضم أطرافاً من ذلك حتى اجتمعوا إليّ مقترحين أن أملي عليهم الكشف عن حقائق التنزيل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، فاستعفيت فأبوا إلاّ المراجعة، والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد، والذي حذاني إلى الاستعفاء على علمي أنهم طلبوا ما الإجابة إليه عليّ واجبة؛ لأن الخوض فيه كفرض العين، ما أرى عليه الزمان من رثاثة أحواله وركاكة رجاله، فأمليت عليهم مسألة في الفواتح وطائفة من الكلام في حقائق سورة البقرة.

وكان كلاماً مبسوطاً كثير الذيول والأذناب، وإنما حاولتُ به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم، وأن يكون لهم مناراً ينتحونه، ومثالاً يحتدونه، فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والإناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة، ووجدت في مجتازي بكل بلد

---

[١] - ينظر معجم الأدباء لياقوت الحموي، ١٩/١٣٣-١٣٥.
وينظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان الذي ذكر له واحداً وثلاثين كتاباً، ٥/٢١٦-٢٣٨.
وينظر كشف الظنون لحاجي خليفة، ٢/١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧.

[٢] - ينظر مقدمة تفسير الكشاف للزمخشري.

[٣] - يقصد بالفئة الناجية المعتزلة.

من فيه مسكة من أهلها-وقلّ ما هم- عطشى الأكباد إلى العثور على ذلك المملى)_[1].

أشهر مصادر تفسير الكشاف:-

أ- كتب التفسير:-

١- تفسير مجاهد[2] المتوفى (١٠٤هـ)[3].

٢- تفسير عمرو بن عبيد المعتزلي المتوفى (١٤٤هـ)[4].

٣- تفسير أبي بكر الأصم المعتزلي[5].

٤- تفسير الزجاج المتوفى (٣١١هـ) وقد استفاد الزمخشري كثيراً من تفسيره اللغوي للقرآن وما صنفه ومما نقله وهو كثيراً ما يصرح باسمه في تفسيره[6].

٥- تفسير الرماني المتوفى (٣٨٤هـ)[7].

٦- ورد عنه بعض النقول عن الإمام علي-رضى الله عنه- وعن الإمام جعفر الصادق وغيرهم[8].

ب- كتب الحديث:-

لم يصرح الزمخشري في تفسير الكشاف عن مصادره في الحديث إلاّ بكتاب صحيح مسلم فهو يعرضها أثناء شرحه ويتصدرها بعبارة (وفي الحديث)[9].

ج- مصادره في القراءات:- ذكر الزمخشري في تفسيره مصاحف عدد من القراء ومصاحف بعض الأمصار المختلفة منها:-

١- مصحف عبدالله بن مسعود[10].

٢- مصحف الحرث بن سويد[11].

---

[1] - ينظر مقدمة تفسير الكشاف للزمخشري.
[2] - ينظر الكشاف، ٢/ ٣٢٠.
[3] - معجم الادباء: ٧٨:٢.
[4] - الكشاف، ١٣٨/٢.
[5] - المصدر نفسه، ٧٣/٢.
[6] - المصدر نفسه، ١٠١/٢، ١٠١/١، ١٨٤/١، ١٠٧/٢.
[7] - المصدر نفسه، ٨/١، تأثر الزمخشري بكلام الرماني في تفسير (ملك يوم الدين)، ينظر الكشاف، ٨/١.
[8] - قال الزمخشري: (وقرأ جعفر الصادق -رضى الله عنه- خالفوا)، المصدر نفسه، ٣١٨/٢، والآية ١١٨ من سورة التوبة.
[9] - الكشاف، ٨٠٦/٤، قال: في سياق الآية الكريمة (إنّا انطيناك الكوثر)، وفي حديثه ﷺ، (وأنطوا الثبجة).
[10] - ينظر الكشاف، ٢٣٥/١،٥٩،٥٥، وأحياناً بذكر قرأ عبدالله، ٣٣٩/١، قال الزمخشري (وفي مصحف عبدالله: (والمقيمون الصلاة بالواو وهي قراءة مالك بن دينار، والجحدري، وعيسى الثقفي)، المصدر نفسه ٥٤٠/١.
[11] - ينظر المصدر نفسه، ٢٣/٢.

٣- مصحف أبي بن كعب[١].

٤- مصاحف أهل الشام والحجاز والحرمين وهما مكة والمدينة ومصاحف أهل الكوفة[٢].

٥- بعض المصاحف الأخرى التي لم يصرّح بأسمائها وتفهم من عبارته (في بعض المصاحف)[٣].

د- أشهر كتب اللغة والنحو:-

استفاد الزمخشري بمجموعة من كتب اللغة والنحو، وخوفاً من الإطالة والتكرار فإنني لم أذكر كل المواضع التي ذكر فيها الزمخشري هذه الكتب بل اكتفيت بذكر بعضها وهذه الكتب هي:-

١- كتاب سيبويه[٤]:تأثر الزمخشري بكتاب سيبويه؛ ولذلك نراه كثير التأثر بآرائه، ومن ذلك قال الزمخشري: (﴿والمقيمين الصلاة﴾ نصب على المدح بيان فضل الصلاة وهو باب واسع كسره سيبويه[٥]على أمثلة وشواهد لا يلتفت إلى ما زعموا من وقوعه لحناً في خط المصحف، وربما التفت إليه من لم ينظر في الكتاب، ولم يعرفْ مذاهب العرب، ومالهم في النصب على الاختصاص من الافتنان)[٦].

يقول أيضاً: (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ) رفعها على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل: وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما، ووجه آخر وهو أن يرتفعا بالابتداء والخبر، (فَاقْطَعُوا أَيْدِيهِمَا) ودخول الفاء لتضمنها معنى الشرط؛ لأن المعنى: والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما، والاسم الموصول يضمن معنى الشرط، وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضّلها سيبويه على قراءة العامة لأجل الأمر؛ لأن (زيداً فاضْرِبه) أحسن من زيدٌ فَاضْرِبه)[٧].

---

[١] - قال الزمخشري معلقًا على قوله تعالى:﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴾(وفي مصحف أبي يستشهد) الآية ٢٠٤ من سورة البقرة. المصدر نفسه، ٢٥/١.

[٢] - المصدر نفسه، ٧٦/١، ٨٠/٢، ١٦٧/١.

[٣] - المصدر نفسه، ٤٦٢/١، ٥١٠/١.

[٤] - ينظر الكشاف، ٣٩٢/٢، ٣٣٥/١. سورة المائدة الآية: ٣٨.

[٥] - الكتاب لسيبويه ١: ١٨٣.

[٦] - المصدر السابق، ٥٩٠/١، سورة النساء: ١٦٢.

[٧] - المصدر السابق، ٦٣١/١. وقد ذكر هذا الرأي صاحب الكتاب، ينظر ١: ١٤٣ – ١٤٤.

٢- كتاب معاني القرآن للفرّاء: تأثر الزمخشري بالفرّاء في كثير من آرائه اللغوية والنحوية، وخاصة التي تتعلق بالقراءات والاحتجاج بها في القضايا اللغوية.

يقول الزمخشري معلقًا على قوله تعالى:﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، ﴿تُنجِيكُم﴾ قرئ: مخففاً ومثقلاً و(تُؤْمِنُونَ) استئناف كأنهم قالوا: كيف: نعمل؟ فقال: تؤمنون)، وهو خبر في معنى الأمر؛ ولهذا أجيب بقوله: (يَغْفِرْ لَكُمْ) وتدل عليه قراءة ابن مسعود: آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا، فإن قلت: لم جِيء به على لفظ الخبر؟ قلت: للإيذان بوجوب الامتثال، وكأنه امتثل، فهو يخبر عن إيمان وجهاد موجودين؛ ونظيره قول الداعي: غفر الله لك، ويغفر الله لك: جعلت المغفرة لقوة الرجاء، كأنها كانت ووُجِدت، فإن قلت: هل لقول الفرّاء[2] أنه جواب (هَلْ أَدِلُّكُمْ) وجه؟ قلت: وجهه أن متعلق الدلالة هو التجارة، والتجارة مفسرة بالإيمان والجهاد؛ فكأنه قيل: هل تتجرون بالإيمان والجهاد يغفر لكم؟ قلت: فما وجه قراءة زيد بن علي -رضى الله عنهما- (تُؤْمِنُوا وَتُجَاهِدُوا)؟ قلت: ووجهها أن تكون على إضمار لام الأمر)[3].

٣- كتاب الكامل للمبرد[4].

٤- الكتاب المتمم في الخط والهجاء لعبدالله بن درستويه: يقول الزمخشري-رحمه الله-:(وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف،قال عبدالله بن درستوية في كتابه: المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان: خط المصحف؛ لأنه سنه وخط العروض، لأنه يثبت فيه، ما أثبته اللفظ، ويسقط عنه ما أسقطه).

٥- كتاب الحجة لأبي علي الفارسي[5].

٦- كتاب معاني القرآن للزجاج.

---

[1] - سورة الصف: ١٠،١١.

[2] - قال الفراء:(وفي قراءة عبدالله : (آمنوا)، فلو قيل في قراءتنا: أن تؤمنوا؛ لأنه ترجمة للتجارة. وإذا فسرت الاسم الماضي بفعل جاز فيه أن وطرحها، تقول للرجل: هل لك في خير تقوم بنا إلى المسجد فتصلي، وإن قلت: أن تقوم إلى المسجد كان صوابًا). معاني القرآن للفراء ٣: ١٥٣ – ١٥٤.

٤- الكشاف، ٥٢٦/٤.

٥- المصدر نفسه٤٧٤/١.

١- المصدر نفسه، ١١/١

يقول الزمخشري:(وَقُرِئَ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوْعَدُونَ)[1]بالفتح والكسر والضم، كلها بتنوين وبلا تنوين، وبالسكون على لفظ الوقف فإن قلت: ما توعدون هو المستبعد، ومن حقه أن يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله:-

فَيَهْهَاتَ هَيْهَاتَ العقيقُ وأهله[2]

فما هذه اللام؟؛ قلت قال الزجاج في تفسيره: البعدُ لما توعدون أو بعدٌ لما توعدون فيمن ينون، فنزله منزلة المصدر، وفيه وجه آخر وهو: أن يكون اللام لبيان المستبعد ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد، كما جاءت اللام في (هِيتَ لَكَ) لبيان المهيت به)[3]. وقال الزمخشري أيضاً (تقول: كتبت الحمد لله، وقرأت (سورة أنزلناها)[4]؛ ولذلك قال الزجاج: فلو قُرِئَ:(إِنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ)[5] بالكسر، لكان صحيحاً أو للاستئناف)[6].

٧- كتاب المحتسب لابن جني[7].

نسبة الكتاب إلى المؤلف:-

من الكتب العلمية ما يجهل مؤلفه ويبقى الكتاب بلا نسبة إلى أحد، ومنها ما اختلف المترجمون في نسبته لعدة أسباب، ومنها ما تصح نسبته إلى مؤلفه صحة تنفي الشك والريبة مثل نسبة الكتاب لسيبويه والعين للخليل والصحيحين لمسلم والبخاري ولا شك أن تفسير الكشاف من النوع الذي تأكدتْ نسبته للإمام الزمخشري، ولم يختلف في نسبته أبداً.

ثقافة الزمخشري المتنوعة:-

٢- سورة المؤمنون الآية:٣٦.

٣- شطر البيت لجرير يتحسر علي بعد خليله، والبيت بتمامه:

فهيهات هيهات العقيق ومن به .. وهيهات خل بالعقيق نواصله

ومحل الشاهد في قوله: (هيهات العقيق- وهيهات خل)، وقد عمل اسم الفعل هيهات عمل الفعل فرفع فاعلاً وهو العقيق وفي الشطر الثاني رفع اسم الفعل فاعلاً آخر وهو خل واكتفى بمرفوعه لأنه بمعنى الفعل اللازم. والبيت في ديوانه ص: ٤٧٩، والخصائص٣: ٤٧. وشرح شذور الذهب ص:٤٣٠. وعاني الزجاج ٣: ٢٦.

٤- الكشاف، ١٨٧,/٣

٥- سورة النور الآية:١.

٦- سورة المائدة الآية :٤٥.

٧- الكشاف، ٦٣٨,/١

٨- ينظر الكشاف، ١٦/٤.

شخصية الزمخشري العلمية التي انعكست من خلال تفسيره الكشاف شخصية متعددة الجوانب، معقدة التركيب، فهذا جانب منها أدبي وآخر علمي وثالث ديني وهكذا، فهذا الزمخشري المفسر، واللغوي الكبير والنحوي والبلاغي والعالم بالقراءات والعالم بالمعاجم والعالم بالفقه والعالم بالحديث وضوابطه.

قيمة الكشاف العلمية:-

تفسير الكشاف من أشهر التفاسير اللغوية خاصة والشاملة، وأقصد بالشاملة التي تهتم باللفظ والمعنى، والأثر والبلاغة، والحديث، والقراءات، وأسباب النزول وإلى غير ذلك فيما يتعلق بأساليب التفسير المختلفة، ومؤلفه أبان فيه وجوه إعجاز بعض الآيات القرآنية، وحرص على إظهار ما فيها من جمال النظم القرآني وبلاغته، وهذا الأمر وغيره دفع العلماء على العلوق عليه شرحاً وتلخيصاً.

(فمن مميّز لاعتزالٍ حادٍ فيه عن صوب الصواب، ومن مناقش له فيما أتى به من وجوه الإعراب، ومن محشٍ وضح ونقح واستشكل وأجاب، ومن مخرّج لأحاديثه عزا وأسند، وصحح وانتقد، ومن مختصر لخص وأوجز)[1].

وإذا أطلعنا على تفسير الكشاف وعلى ما أورده الزمخشري عند تفسيره للآيات من ضروب الاستعارات والمجازات والأشكال البلاغية المختلفة لجزمنا جزماً قاطعاً بأن هذا التفسير يحتوي على ثروة بلاغية ثمينة وكبيرة في المعاني والبيان، **وهذه جملة من أقوال العلماء فيه:-**

أ- قال ابن خلدون (ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن[2] من التفاسير كتاب الكشاف للزمخشري من أهل خوارزم العراق، إلاّ أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة، حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة، فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه، وتحذير للجمهور من مكامنه مع إقرارهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة)[3].

---

[1] - كشف الظنون لمصطفى بن عبدالله الشهير بحاجي خليفة ١٤٧٧/٢.

[2] - يقصد (بالفن) فن البلاغة ونظمها.

[3] - مقدمة ابن خلدون ص٤٩١، وينظر المقالة في كتاب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، ص٤٤٠.

ب- ومن العلماء الذين استشعروا قيمة الكشاف العلمية ابن بشكوال الذي قال: (وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزمخشري ألخص وأغوص، إلاّ أن الزمخشري قائل بالطفرة، ومقتصر من الذؤابة على الوفرة، فربما سنح له آبى المقادة فأعجزه اغتياصه، ولم يمكنه لتأنيه اقتناصه فتركه عقلاً لمن يصطاده، وغفلاً لمن يرتاده، وربما ناقض هذا المنزع، فثنى العنان إلى الواضح، والسهل اللائح، وأجال فيه كلاماً، ورمى نحو غرضه سهاماً، هذا مع ما في كتابه من نصرة مذهبه، وتقحم مرتكبه، وتجشم حمل كتاب الله عز وجل عليه، ونسبة ذلك إليه، فمغتفر إساءته لإحسانه، ومصفوح عن سقطه في بعض لإصابته في أكثر تبيانه)[1].

ج- وهذا الشيخ حيدر الهروي يقول: (... وبعد فإنّ كتاب الكشاف كتاب عليّ القدر، رفيع الشأن، لم ير مثله في تصانيف الأولين، ولم يرد شبيهه في تأليف الآخرين، اتفقت على مثانة تراكيبه الرشيقة كلمة المهرة المتقنين، واجتمعت على محاسن أساليبه الأنيقة ألسنة الكلمة المفلقين ...)[2]، والشيخ الهروي لم يقتصر وصفه على محاسن تفسير الكشاف بل تعداه إلى ذكر عيوبه أيضاً.

د- وأما أبو حيان الأندلسي فتارة يمدح تفسير الكشاف وصاحبه وأحياناً ينتقده من ناحية الاعتزال.

يقول أبو حيان: (وهذا أبوالقاسم محمود بن عمر المشرقي الخوارزمي الزمخشري وأبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي المغربي الغرناطي، أجل من صنف في علم التفسير، وأفضل من تعرض للتنقيح فيه والتحرير وقد اشتهرا ولا كاشتهار الشمس، وخلدا في الأحياء وإن هداني في الرمس، وكلامهما فيه يدل على تقدمهما في علوم، من منثور ومنظوم ومنقول ومفهوم، وتقلب في فنون الآداب، وتمكن من علمي المعاني والإعراب، وفي خطبتي كتابيهما وفي غضون كتاب الزمخشري ما يدل على أنهما فارسا ميدان وممارسا فصاحة وبيان)[3]، ويقول أيضاً عند تعقبه له في تفسيره: (وهذا الرجل وإن كان أوتي من علم القرآن أوفر حظ، وجمع بين اختراع المعنى وبراعة اللفظ، ففي كتابه في التفسير أشياء منتقده ...)[4].

---

[1] - مقدمة تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة، ٢١/١.
[2] - مقدمة ابن خلدون، ص ٤٩١، وينظر كتاب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، ص٤٤٠.
[3] - مقدمة البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة٢١/١،
[4] - المصدر نفسه، ٨٥/٧.

ومقالات العلماء التي تبيّن قيمة الكشاف كثيرة[1] ومنهم العلماء المحدثون الذين شرعوا أيضاً في تبيّن قيمة الكشاف العلمية ومكانته بين التفاسير[2].

---

[1] - ينظر تاريخ الأدب العربي لكارلروكلمان، ص٤٣٨، وينظر منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه، ص(٢٦٥-٢٧٨).

[2] - ينظر مثلاً:-

أ- كتاب التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسنين الذهبي.

ب- كتاب منهج الزمخشري في تفسير القرآن للجويني.

ج- كتاب البلاغة القرآنية في تفسير الكشاف.

د- كتاب الزمخشري للحوفي.

هـ- كتاب النحو وكتب التفسير للدكتور إبراهيم رميده.

و- كتاب الدراسات اللغوية والنحوية عند الزمخشري لفاضل السامرائي.

أثر تفسير الكشاف في كتب التفسير اللاحقة:-

يعد تفسير الكشاف من أحسن كتب التفسير التي اهتمت بالتفسير اللغوي والبلاغي؛ لأنه يختص بمنهجه اللغوي الرصين، وخصائصه الذاتية، واستطاع الزمخشري فيه أن يجمع بين تيارين مهمين تيار الأصالة أو التقليد وهذا التيار يتمثل في الاستفادة من علماء التفسير قبله، وتمثله آراءهم وأقوالهم أحياناً، وتيار التجديد الذي عبّر عن اتجاهاته الشخصية وآرائه الجرئية التي انفرد بها، ولا ننسى أسلوب تفسير الكشاف اللغوي، الذي جمع بين اللغة في جزالة ألفاظها وجمال معانيها. ونظراً لشهرة هذا التفسير قامت عليه العديد من الدراسات اللغوية التي اهتمت بأسلوبه البلاغي الذي يجمع بين جمال اللفظ، وقوة المعنى، وبلاغة الكلمة. وأبهر هذا التفسير عدداً من العلماء الذين دأبوا على دراسته فانقسموا بين مؤيد وناقد.

يُعدُّ تفسير الكشاف نقطة تحول بارزة في منهج المفسرين فهو أول تفسير يجمع بين التفسير الأثري والاعتزالي، ويجمع بين المعاني النحوية واللغوية والبلاغية، ولقد أجمع العلماء على أن هذا التفسير يضم ثروة بلاغية كبيرة في المعاني والبيان.(وأما أثره بين المفسرين فإن كل من جاء بعده منهم –حتى من أهل السنة– استفادوا من تفسيره فوائد كثيرة، كانوا لا يلتفتون إليها لولاه، فأوردوا في تفسيرهم ما ساقه الزمخشري في كشافه من ضروب الاستعارات والمجازات والأشكال البلاغية الأخرى، واعتمدوا مانبه عليه الزمخشري من نكات بلاغية)[1].

حَظِي الكشاف بهذه المنزلة؛ لأن صاحبه يُعدُّ من أصحاب النظر في علوم البلاغة التي بها يدرك وجه الإعجاز القرآني.

يقول السيوطي في نواهد الأبكار بعد ذكر قدماء المفسرين، (ثمَّ جاءت فرقة أصحاب النظر في علوم البلاغة التي بها يدرك وجه الإعجاز، وصاحب الكشاف هو سلطان هذه الطريقة، ولذا طار كتابه في أقصى المشرق والمغرب)[2]، وأثّر هذا التفسير في كثير من كتب التفسير والنحو التي ألفت بعده، ولا أبالغ إذا قلت: لا يكاد تفسيرٌ يخلوا من آراء هذا العالم الجليل، إمّا بعرض رأيه وموافقته أو بعرضه

---

[1] - التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسنين الذهبي، دار الكتب الحديثة، ص(٤٤٣-٤٤٤).
[2] - كتاب كشف الظنون لمصطفى بن عبدالله حاجي خليفة، ١٩٧٦/٢.

ومخالفته وتوجيه النقد إليه، وتوجد كتب تفسير كثيرة تأثرت بآراء الزمخشري-رحمه الله- تأثيراً واضحاً منها على سبيل المثال لا الحصر:-

أ- تفسير (أنوار التنزيل وأسرار التأويل للقاضي عبدالله بن عمر ناصر الدين أبي الخير البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)[١].

يقول كثير من العلماء:(هذا التفسير من كتب التفسير المختصرة المشهورة الرائجة بين العلماء، وهو مختصر من الكشاف مع ترك ما فيه من اعتزال، واثبات مذهب أهل السنّة والجماعة بدلاً منه)[٢]، وخير مثال ندلل به على هذا، قال البيضاوي مثلاً في (لن) أنها تفيد تأكيد نفى المستقبل إلاّ أنه يرفض قول المعتزلة باستحالة رؤية الله تعالى يوم القيامة.

ومن الآراء التي وافق البيضاوي فيها رأي الزمخشري قوله: (وإدغام الراء في اللام لحن، إذ الراء لا تدغم إلاّ في مثلها)[٣].

ونص الزمخشري في الكشاف (فإن قلت كيف يقرأ الجازم قلت يظهر الراء ويدغم الباء، ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشاً ... وقرأ الأعمش بغير فاء مجزوماً على البدل)[٤].

ب- ومن كتب التفسير التي تأثرت بالكشاف كذلك تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفي، قال أبو البركات:(أنه اعتمد على الكشاف طارحاً ما فيه من اعتزال)[٥] ويظهر تأثر النسفي بالزمخشري في وجوه الإعراب وفي القراءات.

جاء في كشف الظنون: (وقد ذكر في مقدمته فيما ذكر . أنه جامع لوجوه الإعراب والقراءات، وفيه قدر لا بأس به منها، وفيها يظهر اعتماده على الكشاف كل الاعتماد، فما فيه منها أغلبه منقول منه باختصار، وهو يلتقي مع البيضاوي في ذلك وإن كان تفسير البيضاوي أوسع فيها وأكثر استقلالاً عن الزمخشري وأصالة فيما يذكر منها، ولاتحاد أصل هذين المفسرين الجليلين وانتساب مؤلفيهما إلى مذهب

---

[١] - ترجمته في طبقات الشافعية الكبرى للسبكيسى، ١٥٧١/٢.

[٢] - طبقات الشافعية للسبكسي، ١٥٧/٨، وطبقات الشافعية للأسنوى، ٢٨٣/١، وينظر طبقات المفسرين للداوودي ٢٩٢/١، وبغية الوعاة ٥٠/٢، وكشف الظنون ٤٨١/٢.

[٣] - تفسير البيضاوي ١: ٢٧٢.

[٤] - الكشاف ٣٣٠/١.

[٥] - مقدمة تفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفى، ٢/١.

واحد في العقيدة، وسبق البيضاوي، قيل إن تفسير النسفي مختصر منه ومن الكشاف)[1]، وخير مثال يستدل به على تأثر النسفى بالزمخشري ما قاله النسفى في تعليقه على الآية الكريمة: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْداً نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنهُمْ بَلْ أَكْثَرَهُم لا يُؤْمِنُونَ﴾[2].

"أَوَ كُلَّمَا" الواو للعطف على محذوف تقديره أكفروا بالآيات البينات)[3] ونص الزمخشري في الكشاف: (أو كلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا بالآيات البيانات وكلما)[4].

ج- ومن كتب التفسير التي تأثرت بالكشاف (الكفيل بمعاني التنزيل لأبي الحسن بن أبي بكر الكندي المالكي الاسكندراني المتوفى ٧٤١هـ).

يأتي صاحب الكفيل-رحمه الله- برأي الزمخشري فقد يؤيده وقد يردّه ويضعفه، ونجد في تفسيره نقلاً مباشراً من الكشاف من غير إضافة أو تغيير ومن أمثلة ذلك:-

يقول صاحب الكفيل معلقاً على قوله تعالى: ﴿فآمِنُوا بِاللهِ ورُسُلِه ولا تقُولُواْ ثَلاَثَةٌ اِنتَهوا خَيراً لَكُمْ﴾[5]. قال: ("انتهوا خيراً لكم" انتصابه بمضمر وذلك أنه لم يحثهم على الإيمان وعن الانتهاء عن التثليث،علم أنه حملهم على أمر فقال:"خير لكم" أي اقصدوا وائتوا خيراً لكم مما أنتم عليه من الكفر والتثليث وهو الإيمان والتوحيد)[6].

أما نص الزمخشري في الكشاف(﴿فآمِنُوا خَيراً لَكُمْ﴾ وكذلك انتهوا خيراً لكم انتصابه بمضمر وذلك أنه لمّا بعثهم على الأيمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم أنه يحملهم على أمر فقال: خير لكم أي اقصدوا أو ائتوا أمراً خيراً لكم مما أنتم فيه من الكفر، والتثليث وهو الإيمان والتوحيد)[7].

فإذا ما قارنا بين النصين نجد تطابقاً بينهما، وهذا يدل على أن النسفى كثير النقل من الكشاف.

---

[1] - كشف الظنون لحاجي خليفة، ٤٠٩/٢.
[2] - سورة البقرة: ١٠٠.
[3] - مدارك التنزيل للنسفي، ٦٥/١.
[4] - الكشاف، ١٢٧/١.
[5] - سورة النساء:١٧١.
[6] - النحو وكتب التفسر للدكتور رفيدة، ٩٠٢/٢، نقلاً عن الكفيل، جـ٥، وأشار إلى أن رقم الصفحة غير مرقم.
[7] - الكشاف، ٥٩٣/١.

وخلاصة الأمر أن ما أثاره تفسير الكشاف من دراسات ومناقشات وحواشٍ وتقريرات كثير ولا يمكن حصره في هذه الدراسة،وأشار إلى هذه الآثار مصطفى الصاوي الجويني وقدّم الأدلة الكافية في هذا الشأن واستعرضها خير استعراض[1].

ونظراً لأهمية تفسير الكشاف، قامت عليه عدةٌ من الدراسات لعلّ من أشهرها[2]:-

١- كتاب الانتصاف من الكشاف لأحمد بن المنير الاسكندري المالكي بيّن فيه ما تضمنه من اعتزال، وناقشه في بعض الأعاريب وأحسن الرد عليه وتوفى ابن المنير (٦٨٣هـ).

٢- كتاب الإنصاف لعلم الدين عبدالكريم بن علي العراقي، وجعله صاحبه حكماً بين الكشاف والانتصاف وتوفى هذا العالم ٧٠٤هـ.

٣- مختصر جمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام المتوفى (٧٦٢هـ) ولخّص فيه كتابي الانتصاف والإنصاف.

٤- ما كتبه الإمام أبو حيان من مناقشات للزمخشري في بحره.

٥- ما كتبه تلميذ أبي حيان أحمد بن يوسف الحلبي المشهور باليمين في إعرابه.

٦- كتاب إعراب الكشاف للبرهان إبراهيم محمد السفاقسي.

٧- ملخص تاج الدين أحمد بن مكتوم الذي سماه (الدر اللقيط من البحر المحيط وأورد فيه مناقشات شيخه إبي حيان للزمخشري.

٨- حاشية العلامة قطب الدين محمود بن مسعود السيرازي المتوفى (٧١٩٠هـ) وهو في مجلدين.

٩- شرح العلامة أكمل الدين محمد ابن محمود البابرتي المتوفى ٧٨٦هـ.

١٠- حاشية سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني المتوفى (٧٩٢هـ).

١١- كتاب الكشاف على الكشاف لسراج الدين عمربن رسلان البلقينى المتوفى (٨٠٥هـ).

١٢- ملخص ولي الدين أبو زرعة أحمد بن الحافظ الكبير عبدالرحيم العراقي المتوفى(٨٢٠هـ) وهو في مجلدين، لخص فيهما كلام ابن المنير والعلم العراقي عبدالكريم بن على وأبي حيان وأجوبة السمين الحلبي والسفاقسى.

---

[1] ينظر منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه للجويني، ص(٢٦٥-٢٧٩).

[2] - ينظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ٣/١٤٧٥-١٤٨٦.

١٣- حاشية الكشف للإمام العلامة عمر بن عبدالرحمن الفارسي القزويني المتوفى ٧٤٥هـ.

١٤- حاشية العلامة عماد الدين يحي بن قاسم العلوي المعروف بالفاضل اليمني وهو في مجلدين وسماها (درر الأصداف من حواشي الكشاف، درر الأصداف في حل عقد الكشاف وتوفى (٧٥٠هـ).

١٥- حاشية الشيخ علاء الدين علي بن محمد الشاهرودي المتوفي (٨٧١هـ).

وأما المختصرون فكثيرون منهم على سبيل المثال لا الحصر:-

أ- مختصر الشيخ محمد بن علي الأنصاري، وتوفى (٦٦٢هـ).

ب- مختصر الشيخ قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازي وسماه (تقريب التفسير) المتوفى (٧١٠هـ).

ج- مختصر عبدالأول بن حسين الشهير (بام ولد) وتوفى ٩٥٠هـ.

د- تفسير (أنوار التنزيل للقاضي العلاّمة ناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي لخصه وأحاد وأزال عنه الاعتزال وهو تفسير مشهور.

هـ- مختصر جمال الدين عبدالله بن يوسف الزيلعي الحنفي المتوفى (٧٦٢هـ)، وعكف على تخريج أحاديث الكشاف، لابن حجر العسقلاني المتوفي (٨٥٢هـ).

و- الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف، وهو ملخص من كتاب الإمام جمال الدين عبدالله بن يوسف الزيلعي.

المبحث الثاني

القصاصات والاحتجاج بها

وموقف النحاة من الاحتجاج

بالقصاصات قبل الزمخشري

القراءات والاحتجاج بها وموقف النحاة من الاحتجاج بالقراءات قبل الزمخشري

أولاً: القراءات والاحتجاج بها:-

يدور موضوع هذه الدراسة في مجال القراءات والاحتجاج بها ولها، وهذا الأمر يتطلب منّا معرفة ماهية القراءة والاحتجاج.

أ- القراءة:-

ما المقصود بالقراءة لغةً واصطلاحاً؟

القراءة لغة مصدر من الفعل قرأ، وقرأ به: تلاه فإنه من المعلوم والقراءة أخص من التجويد، وقرأ الكتاب أو قرأ الشيء جمعه وضمه وقرأ القرآن تلاه[1].

والقراءة في اللغة أيضاً (لفظ الأحرف مجموعاً من مختلف المخارج التي عددها ستة عشر مخرجاً، وهو الصحيح المختار عند المحقيقين كالخليل بن أحمد ومكي بن أبي طالب[2] صاحب التبصره وأبي القاسم الهذلي وغيرهم)[3].

وأما تعريف القراءة اصطلاحاً، فهي علم يبحث فيه عن صور نظم كلام الله تعالي من حيث وجوه الاختلافات المتواترة، ومباديه مقدمات تواتريه، وله استمداد من العلوم العربية والغرض منه تحصيل ملكة ضبط الاختلافات المتواترة)[4].

أورد هذا التعريف صاحب (كشف الظنون) وزاد عليه (وفائدته صون كلام الله تعالى عن تطرق التحريف والتغيير، وقد يبحث فيه أيضاً عن صور نظم الكلام من حيث الاختلافات الغير المتواترة الواصلة إلى حد الشهرة، ومباديه مقدمات مشهورة أو مروية عن الآحاد الموثوق بهم)[5].

---

[1]- ينظر القاموس المحيط مادة (قرأ).

[2]- مكي بن أبي طالب، أشهر من ألف في القراءات في المائة الخامسة للهجرة أصله من القيروان وسكن قرطبة، وسمع بمكة ومصر من أبي غلبون، وقرأ عليه القرآن، كان من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، طبقات القراء لابن الجزرى، ٣٨/٢، وينظر الاعلام للزركلى ٢١٩/٨، بغية الوعاة ص٣٩٦.

[3]- التبصرة لمكي بن أبي طالب، دار السلفية، ط٢، ١٩٨٢م، ص٤١.

[4]- المصدر نفسه، ص(٤١-٤٣).

[5]- كشف الظنون لمصطفى حاجي، ١٣١٧/٢.

ب- الاحتجاج:-

ما المقصود بالاحتجاج لغة واصطلاحاً؟

الاحتجاج في اللغة مصدر احتجّ، واحتجّ بالشيء: جعله حجة له، واحتج بالشيء اتخذه حجة، والحجة: البرهان والدليل، وأحجّ خصمي أي أغلبه بالحجة[1].

والاحتجاج اصطلاحاً: اثبات صحة قاعدة أو استعمال كلمة أو تركيب باعتماد السماع أو الاجماع كالاحتجاج بالآية ﴿فلا تَحْسَبَنَّ اللهَ مُخلِفَ وَعْدِهِ رُسُلِه﴾[2] بنصب (وَعْدَ) وجر (رسله) في إحدى القراءات تدعيماً لقاعدة جواز الفصل بين المتضايفين بغير الجار والمجرور)[3].

يعدُّ الاحتجاج النظري لون من ألوان الكلام، وسماه بهذا الاسم أبو حيان الأندلسي وابن القيم الجوزية وابن النقيب، ويطلق الزركشي على هذا النوع (إلجام الخصم بالحجة) بينما علماء البلاغة يسمونه (المذهب الكلامي)[4].

والاحتجاج للقراءة: يعني إعرابها وبيان وجهها في العربية من الضعف أو القوة بإيراد نظيرها من القرآن أو الشعر أو نحوهما ممّا يستشهد به. وأما الاحتجاج بالقراءة فيعني الاستدلال بها على صحة قاعدة نحوية أو لإثبات لغة من لغات العرب أو لتبين وجه بلاغي أو لبيان بعض المعاني اللغوية. ويقتضي الإشارة إلى أن القراءة مهمة في معرفة علوم العربية ومعرفة الألفاظ ومدلولاتها، ومعرفة كيفية النطق باللفظ القرآني، وهو ما يعرف بعلم الأحكام وتجويدها.

---

[1]- القاموس المحيط مادة (حجّ).

[2]- سورة ابراهيم :٤٩.

[3]- معجم الخليل في مصطلحات النحو العربي للدكتور جورج متري عبدالمسيح، بتصدير من الدكتور محمد مهدي علام نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٠، ص٣٥.

[4]- ينظر معجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، إعداد الدكتورة إنعام نوال عكاوي، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٩٩٦م، ص(٣٥-٣٦). / وينظر الأعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي لسيدي عبدالقادر بن محمود الطفيل، وهي رسالة ماجستير، ص١٨٠.

دواعي التأليف في الاحتجاج بالقراءات:-

ظهر الاحتجاج بالقراءة مبكراً، ويرى الباحث أن ظهوره كان مرتبطاً بظهور ظاهرة اللحن، فعندما دخلت شعوب كثيرة في الاسلام بعضها مؤمن كل الايمان، وبعضها أخذ يعمد إلى شبهات يثيرونها حول كتاب الله وأحاديث الرسولﷺ، أخذ ضعاف العقول يعمدون إلى التشكيك بصحة القرآن الكريم وصحة قراءاته المختلفة بطرح مجموعة من الأسئلة مثل: ما سند هذه القراءات؟ وما حجتها؟ ولم ذهب هذا القارئي هذا المذهب؟ وهل له معتمد في النحو واللغة؟ وإلى غير ذلك من الأسئلة.

دفع هذا الأمر وغيره علماء العربية إلى الدفاع عن كتاب الله وتجردوا لتأليف الكثير من الكتب في الاحتجاج للقرآن بقراءاته المختلفة، متأخذين في ذلك جميع الوسائل من قياس ونظر ومحاجّة عقلية من الأثر الصحيح ومحاجّة عقلية دامغة لا مرد لها، وغيرها من الوسائل.

(وفي اعتقاد كثير من العلماء أن ظاهرة الاحتجاج ظهرت منذ أواخر القرن الثاني الهجري)[1].

يخلص إلى القول إن دواعي التأليف في الاحتجاج يمكن حصرها في نقاط أهمها:-

١- الدفاع عن القرآن الكريم وصون ألفاظه الشريفة والدفاع عن قراءاته المختلفة وما دلت عليه من معاني جليلة.

٢- الحاجة الماسة لهذا العلم، إذ يحتاج إليه كل مسلم لمعرفة كلام الله والوصول إلى معانيه السامية، ويحتاجه على وجه الخصوص كل عالم بالقراءات وكل مفسر لكتاب الله الكريم.

٣- من دواعي التأليف في هذا العلم استكمال جهود العلماء السابقين، وخاصة التي لم تستكمل، فكان لازماً على الجيل الذي يليهم استكمال هذه الجهود الطيبة المباركة.

وخير مثال على هذا ما نص عليه عالمنا الكبير ابن جنىّ في مقدمة كتابه المحتسب، فلقد أشار في مقدمته إلى أن كتابه هذا عمله استكمالاً لمهمة استاذه أبي

---

[1] - ينظر كتاب المدخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد للأستاذ عبدالفتاح إسماعيل شلبي، ط٢، ١٩٨٩م، ص(٩١-٩٥).

علي الفارسي فهو يقول (إن استاذه عمل كتاباً للاحتجاج للقراءات السبعة وهمّ لعمل كتاب يحتج فيه للقراءات الشاذة، ولكن الأجل وقف حائلاً دون إنجازه لهذه المهمة)[1].

وقد دأب ابن جنيّ لإكمال مهمة أستاذه فألف كتاب المحتسب في تبين شواذ وجوه القراءات والإيضاح عنها.

موقف النحاة من الاحتجاج بالقراءة قبل الزمخشري:-

تباين موقف النحاة من القراءات تبعاً للمنهج الذي طبقه كلا الفريقين على القراءات، والذي يطّلع على منهجهم يلاحظ اتجاهين أثنين هما:

أ- اتجاه العلماء المتقدمين. ب- اتجاه العلماء اللاحقين من بعدهم، وهم بالتحديد العلماء الذين جاءوا بعد المائة الرابعة للهجرة بعد أن جمع أبوبكر بن مجاهد قراءات الأمصار وسبّعها.

ولكي نحدد موقفاً واضحاً للنحاة لابد من معرفة الضوابط التي اعتمدها كلا الفريقين:-

أولاً: الضوابط التي اعتمدها العلماء المتقدمون:-

اشترط العلماء المتقدمون في القراءة المقبولة التواتر مع موافقة العربية والرسم العثماني.

أصحاب هذا الاتجاه لم يقسموا القراءات إلى قراءات سبعية أو عشرية أو أربع عشرية؛ إنما درسوا القراءات الواردة عن الرسولﷺ بشكل مجمل.

فالقراءة الصحيحة عندهم تلك القراءة التي استوفت الشروط السابقة سواء كانت مشهورة أم شاذة، وهذا الأمر يفسر لنا منهج بعض النحاة في نقد بعض القراءات السبعية.

ولقد سار على هذا المنهج بعض العلماء المتأخرين مثل ابن خالويه والفارسي وابن جنيّ والزمخشري.

ثانياً: الضوابط التي اعتمدها النحاة والفقهاء اللاحقون:-

اعتمدوا ضوابط من أهمها:

---

[1] - ينظر مقدمة كتاب المحتسب لابن جني.

أ- صحة النقل. ب- موافقة خط المصحف. ج-موافقة العربية ولو بوجه.

وهم يرون في القراءات السبعة النموذج الأكمل؛ لأن جميع الضوابط التي اعتمدوها تنطبق عليها، ومتى اختّل ركن من أركان هذه القراءات حكم عليها بالضعف أو الشذوذ.

كما سبقت الإشارة آنفاً أن أصحاب هذا الاتجاه اعتمدوا هذه الشروط في أثناء المائة الرابعة بعد أن جمع أبوبكر بن مجاهد القراءات وسبّعها؛ لأنه أول من سبّع القراءات، ومن أشهر العلماء الذين اعتمدوا هذا المنهج مكي بن أبي طالب وشهاب الدين أبوشامة وابن الجزريّ.

يصرح ابن الجزري تصريحاً واضحاً بهذه الضوابط قال:-

(كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً، وصحّ سندها، فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردّها ولا يحل إنكارها، بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووجب على الناس قبولها، سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمة المقبولين، ومتى اختلّ ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم وهذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف)[1].

من هذا العرض يتبين أن أغلب النحاة يعتقدون اعتقاداً جازماً بأن القراءة سنة[2] واجبة القبول والاتباع ويمكن القول أيضاً أن النحاة اعتمدوا جميع شروط القراءة الصحيحة ولكن أعطوا لأنفسهم حق توجيه هذه القراءة أو تلك إلى الوجه الأقوى؛ لأنهم يرونه الأفضل من ناحية الصناعة اللغوية، وقد يلجأ بعضهم إلى الاختيار، والاختيار عندهم قائم على معايير لغوية بلاغية.

فمثلاً قد يفضّل النحوي قراءة ما لجمال فصاحتها، وقد يرجّحها آخر؛ لأنها الأقوى بلاغة وقد يصفها آخر بالضعف بإخضاعها للقياس النحوي وهكذا.

---

[1]- النشر لابن الجزري، ١٥/١.

[2]- قال ابن الجزرى (ومن تم امتنعت القراءة بالقياس) المطلق، وهو الذي ليس له أصل في القراءة يرجع إليه، ولا ركن وثيق في الأداء يعتمد عليه كما روي عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت أنهم قالوا: القراءة سنة يأخذها الآخر عن الأول فاقرؤا كما علمتموه ولذلك كان كثير من أئمة القراءة كنافع وأبي عمرو يقول: لولا أنه ليس لي أن أقرأ إلاّ بما قرأت لقرأت حرف كذا وكذا) النشر، ٢١/١.

يفضّل عالمنا الزمخشري من خلال عرضه للقراءات في تفسير الكشاف القراءة الفصيحة التي تظهر الأسرار البلاغية للنص القرآني؛ فيختارها، ويبيّن ما فيها من بيان إعجازي وقد يختار قراءة أخرى ليدلك بها على قوة الفصاحة، فنحن نعلم إن هناك في اللغة الفصيح والأفصح.

وبرأيي أن العمل بمعيار الترجيح والتفضيل فيما بين القراءات مرفوض وغير مقبول عند كثير من العلماء، وخاصة إذا كانت هذه القراءات صحيحة موثوق بها موصولة السند عن الرسولﷺ، إذن مبدأ المفاضلة والترجيح بين القراءات مرفوض كأنْ يصف العالم بعض القراءات بأنها أفضل من مثيلاتها[1].

وهذه بعض الأمثلة التي تبين مواقف أشهر النحاة الذين احتجوا بالقراءات قبل الزمخشري وهم:-

١- احتج ابن أبي اسحاق المتوفي (١١٧هـ)[2] بقراءة النصب من نحو قوله تعالى:(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ)[3] فهو يقرأها بالنصب[4] على المفعولية، ويُفضّلها على المشهورة التي بالرفع.

٢- احتج عيسى بن عمر الثقفي المتوفى (١٤٩هـ) بالقراءات للانتصار للمعنى والنحو. قال ابن جنى:(وقرأ عيسى بن عمر الثقفي ﴿يُورَّث كَلاَلَةً﴾[5] يورِث ويُورَّث كلاهما منقول من ورث، فهذا من أورث، وهذا من وَرَّث ... وفي كلتا القراءتين هناك المفعولان محذوفان)[6].

وقال الزمخشري معلقاً على قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ﴾[7] وقرأ عيسى بن عمر الهمداني -بالضم- تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده)[8].

---

[1] - قال الزركشي: (لاوجه للترجيح بين القراءات السبع في مشهور كتب الأئمة من المفسرين والقرّاء والنحويين وليس ذلك راجعاً إلى الطريق حتى يأتي هذا القول بل مرجعه ما يتعلق بكثرة الاستعمال في اللغة والقرآن أو ظهور المعنى بالنسبة إلى ذلك المقام) البرهان للزركشي، ٣٣٩/١-٣٩١).

[2] - طبقات القرّاء لابن الجزري ١: ٤٠، وينظر أنباه الرواة ٢: ١٠٤.

[3] - سورة المائدة: ٣٨.

[4] - قرأ الجمهور: والسارق والسارقة بالرفع، وقرأ عيسى بن عمر وابن أبي عبلة: والسارق والسارقة بالنصب على الاستعمال، البحر المحيط ٤: ٢٤٦.

[5] - سورة النساء: ١٢.

[6] - المحتسب لابن جني، تحقيق على النجدى ناصف ود. عبدالحليم النجار ود. عبدالفتاح سلبي، ١٨٣/١.

[7] - سورة البقرة: ٢٤.

[8] - الكشاف، ١٠٢/١.

٣- والعلامة أبو عمرو بن العلاء المتوفي (١٥٤هـ) أحد القرّاء السبعة المشهورين، وهو أيضاً نحوي ولغوي معروف عنى بلغات العرب مشهورها وغريبها، وعلامتنا يحتج بالقراءات للمعنى وللغة وللنحو وخير مثال على كلامناً. قال سيبويه:(وكان أبو عمرو لا يصرف سباً ويجعله اسماً للقبيلة، قال الشاعر:

مِنْ سَبَأَ الْحَاضِرِينَ مَأْرِبُ ∴ إِذْ يَبْنُونَ مِنِ دُونِ سَيْلِهِ الْعِرَمَا)[١]

٤- ومن النحويين الأوائل المشهورين الذين احتجوا بالقراءات لنصرة وجه لغوي أو نحوي الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدى المتوفي (١٧٥هـ) تلقى العلم عن أبي عمرو بن العلاء، وعيسى بن عمرو وغيرهما، بلغ الغاية في تصحيح القياس، واستخراج مسائل النحو.

قال الزبيدى:(وهو الذي بسط النحو، ومدّ أطنابه، وسبب علله وفتق معانيه، وأوضح الحجاج فيه حتى بلغ أقصى حدوده، وانتهى إلى أبعد غاياته)[٢].

قال سيبويه: وسألته عن قوله عز وجل: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَآءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٣]، ما منعها أن تكون كقولك: ما يدريك أنه لا يفعل؟ فقال: لا يحسن ذا في ذا الموضوع إنما قال: وما يشعركم ثم ابتدأ فأوجب فقال: إنما إذا جاءت لا يؤمنون ولو قال: وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون كان ذلك عذراً لهم وأهل المدينة يقولون "أنها"؛ فقال الخليل: هي بمنزلة قول العرب: ائتِ السوق أنك تشترى لنا شيئاً، أي لعلك فكأنه قال: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون)[٤].

٥- يحتج العلامة سيبويه-رحمه الله- بالقراءات كثيرًا، فيرجّح بعضها على بعض أحياناً ويستدل ببعضها على إثبات رأي نحوي أو لغوي، وجعل مقياسه في هذا الكثير الشائع من الأساليب واللغات، والأمثلة كثيرة في الكتاب منها:-

---

[١] - مأرب: أرض باليمن، والعرم: جمع عرمه وهي السد، والشاهد فيه ترك صرف سبأ على معنى القبيلة والأم، وقد قرئ بهما في القرآن: ﴿ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ﴾ ، فالبزي وأبو عمرو بفتح الهمزة من غير تنوين ممنوعة من الصرف، ووافقهما ابن محيصن واليزيدي، وقرأ قنبل بسكون الهمزة كأنه نوى الوقف والباقون بالكسر والتنوين، فهو مصروف بإرادة الحي. ينظر اتحاف فضلاء البشر للبنّاء، ص:٤٢٧. والبيت للنابغة الجعدي كما في ديوانه:١٣٤. والكتاب ٣: ٢٥٣. والإنصاف ٢: ٥٠٢.

[٢] - طبقات النحويين للزبيدي: ٤٣، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعارف مصر.

[٣] - سورة الأنعام: ١٠٩.

[٤] - الكتاب، ٣: ١٢٣.

قال سيبويه:(وزعموا أن بعضهم قرأ (وَلاَتَ حِينَ مَنَاصٍ)[1] وهي قليلة كما في قول سعد بن مالك القيسي:- من فرّ عن نيرانها ∴ فأنا ابن قيس لا براحُ

جعلها بمنزله ليس، فهي بمنزلة لات في هذا الموضع في الرفع، ولا يجاوز بها هذا الحين رَفعت أو نَصبت، ولا تتمكن في الكلام كتمكن ليس وأنما هي مع الحين)[2]، والذي يُفهم من هذا المثال أن سيبويه-رحمه الله- يحتج بالقراءة للغة، ثم يحتج لكي يوثّق للقاعدة النحوية، ويفهم من قوله (وهي قليلة) أنه لا يقيس إلاّ على الكثير الشائع والله أعلم.

٦- أورد سيبويه لهارون بن موسى[3]، الأعور الأزدي العتكي المتوفى (٢٠٠هـ) احتجاجاً في الكتاب، قال سيبويه (وزعم هارون أنها في بعض المصاحف[4] (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُوا)[5] وهو بهذا يفضل هذه القراءة الشاذة على المشهورة ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾[6].

٧- وهذا العلامة زكريا بن يحي الفرّاء المتوفى(٢٠٧هـ)كثيرًا ما يحتج بالقراءات في كتابه(المعاني)، ويعتمد اعتماداً كلياً في مذهبه النحوي على القرآن بقراءاته المختلفة؛ فهو يحتج الفرّاء بالقراءات، فيرجّح بعضها وينقد البعض الآخر إذا لم يوافق الكثير

---

[1]- سورة ص: ٣، وقرأ الجمهور: (ولات حين) بفتح التاء ونصب النون، فعلى قول سيبويه، عملت عمل ليس، واسمها محذوف تقديره: ولات الحين حين فوات ولا فرار، وعلى قول الأخفش: يكون حين اسم لات، عملت عمل إنّ نصبت الاسم ورفعت الخبر، والخبر محذوف تقديره: ولات أرى حين مناص. وقرأ أبو السمّال: ولات حينِ، بضم التاء ورفع النون، فعلى قول سيبويه: حين مناص اسم لات والخبر محذوف؛ وعلى قول الأخفش: مبتدأ والخبر محذوف وقرأ عيسى بن عمر: ولات حين بكسر التاء وجر النون، خبر بعد لات وتخريجه مشكل، وقد تمحل الزمخشري في تخريج الخبر في قوله: طلبوا صلحنا ولات حين أوان ∴ فأجبنا أن لات حين بقاء

قال: شبه أوان بإذ في قوله: وأنت إذ صحيح في أنه زمان قطع منه المضاف إليه وعوض؛ لأن الأصل: ولات أوان صلح فإن قلت: فما تقول في حين مناص والمضاف إليه قائم؟ قلت: نزل قطع المضاف والمضاف إليه، وجعل تنوينه عوضاً من الضمير المحذوف، ثم بنى الحين بكونه مضافاً إلى غير ممكن، انتهى هذا التمحل. والذي ظهر لي في تخريج هذه القراءة الشاذة، والبيت النادر في جر ما بعد لات: أن الجر هو على إضمار من، كأنه قال:(ولات من حين مناص، ولات من أوان صلح كما جروا بها في قولهم: على كم جذع بيتك؟)، البحر المحيط ١٣٦/٩-١٣٧. وينظر الكشاف، ٧١/٤.

[2]- الكتاب، ١: ٥٨.

[3]- هو هارون ابن موسى الأزدي العتكي النحوي البصري صاحب القراءات، روى عن أبي عمرو بن العلا والحضرمي والخليل. ينظر تهذيب التهذيب ١١: ١٤.

[4]- قال صاحب البحر المحيط (وجمهور المصاحف على إثبات النون وقال هارون: إنه في بعض المصاحف: فيدهنوا، ولنصبه وجهان: أحدهما أنه جواب ودوا لتضمنه معنى ليت، والثاني: أنه على توهم أنه نطق بأن أي ودوا أن تدهن فيدهنوا، فيكون عطفاً على التوهم، ولا يجئ هذا إلاّ على قول من جعل لو مصدرية بمعنى أن) البحر المحيط، ٢٣٨/١٠.

[5]- انظر الكتاب، ٣٦/٣.

[6]- سورة القلم: ٩.

الشائع من كلام العرب، قال – رحمه الله–:﴿أو نُنسِئْهَا﴾[1] عامة القرّاء يجعلونه من النسيان، وفي قراءة عبدالله (مَا نُنسِكَ مِنْ ءَايةٍ أَوْ نُنسِخَها نَجِيءُ بِمِثْلِهَا أَوْ خَيْرٍ مِّنْهَا) وفي قراءة سالم مولى أبي حذيفة ("مَا نَنْسَخْ مِنْ ءَايةٍ أَوْ نُنْسِكَهَا" فهذا يقوى النسيان)[2].

والملاحظ من هذا الشرح المحكم أنه احتج بالقراءات من أجل إبانة المعنى، وقوى القراءة بقراءة شاذة، واحتج لبعض لغات العرب في لفظة(ننسأها)، فبعض العرب يهمزها ويجعلها من النسيئة وهي التأخير وبعضهم لا يهمزها ويجعلها من النسيان. قال الفرّاء (كان بعضهم يقرأ (أو نُنسَأها)[3]، بهمز يريد نؤخرها من النسيئة وكل حسن)[4].

٨- ومن النحاة الذين احتجوا بالقراءات العلاّمة الزجاج أبو اسحاق إبراهيم السري بن سهل المتوفى (٣١٠هـ)صاحب الكتاب (معان القرآن)، وموقف الزجّاج لا يختلف كثيراً عن موقف النحاة السابقين، فهو يرى أن القراءة سنة متبعة، ويؤكد على شروط القراءة الصحيحة التي لا يجب الخروج عنها بحال من الأحوال، والزجاج لا يقبل القراءة إذا كانت شاذة وألفاظها ليست من الكثير الشائع من كلام العرب، وأحسن القراءات عنده ما أجمع عليها القرّاء.

قال – رحمه الله–:﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾[5]،قال: ووجهها ضعيف عند أهل العربية إلاّ أنها جائزة)[6].

٩- وهذا العلاّمة أبو على الفارسي المتوفى (٣٨٨هـ) له احتجاج كثير بالقراءات في كتابه (الحجة في علل القراءات السبعة وعللها) ويُعدُّ هذا الكتاب مصدراً مهماً من

---

[1] - سورة البقرة: ١٠٦.

[2] - معاني القرآن للفرّاء، ٦٤/١.

[3] - هذه قراءة أبي عمر الدوري، ويقرأ بها في مصحف الدوري بالسودان الشقيق، ونسأ: أخّر، ومنه النساء سمين بهذا الاسم لتأخر فترة الحيض.

[4] - معاني القرآن للفرّاء، ٦٥/١.

واختلفوا في (ننسأها) فقرأه ابن كثير وأبو عمرو بفتح النون والسين، وهمزة ساكنة بين السين والهاء، وقرأ الباقون نُنسِها بضم النون وكسر السين من غير همزة)، النشر، ١٦٥/٢.

(ومن القراءات الشاذه في لفظة ننسها قراءة أبي رجاء (ما ننسخ من آية أو ننسّها) مشددة السين، وقرأ سعد بن أبي وقاص والحسن ويحي بن يعمر (أو تنسها) بتاء مفتوحة، وقرأ سعيد بن المحتسب والضحاك (تنسها وفي حرف بن مسعود (ما نُنسِك من آية أو ننسخها) المحتسب، ١٠٣/١.

[5] - سورة الانفال: ٥٩.

[6] - معاني القرآن للزجاج، ٣٠/٢، واختلفوا في (ولاتحسبن الذين كفروا) هنا والنور فقرأ ابن عامر وحمزه بالغيب فيهما ووافقهما أبو جعفر وحفص هنا) وكذلك قرأ الباقون فيهما، النشر ٢: ٢٨.

مصادر اللغة العربية في النحو والصرف ومسائل الخلاف والشواهد والأصوات ولهجات العرب.

قال– رحمه الله–:(قال أبو عبيده:(ملك يوم الدين) معناه: الملك يومئذ ليس ملك غيره، ومن قرأ مالك: أراد أنه يملك الدين والحساب ولا يليه سواه، قال: وكذلك يروى عن عمر/ قال: أبوبكر محمد بن السري الاختيار عندي(ملك يوم الدين) والحجة في ذلك أن المَلِكَ والمُلْك يجمعها معنى واحد، ويرجعان إلى أصل؛ وهو الربط والشدُّ)[1].

١٠– ومن النحويين الذين كان لهم احتجاج واضح بالقراءات وللقراءات أبو عبدالله الحسن بن خالويه المتوفى (٣٧٠هـ)، لا يختلف ابن خالويه كثيراً في احتجاجه عن منهج النحاة والقرّاء فهو يرى أن القراءة سنة متبعة، ومنهجه قائم على صناعة النحو وأقوال النحويين في بيان وجوه القراءات.

قال أستاذنا الفاضل إبراهيم رفيده – رحمه الله– (وابن خالويه يعتمد إلى الاحتجاج بظاهر المعنى، ويحتج للقراءة بأخرى تؤيدها، فهو يحتج للقرآن بالقرآن وهو في ذلك يقتدى بالسالفين من أئمة النحو)[2]، قال ابن خالويه: (قرأ حمزة ﴿كُفْؤاً﴾[3] بسكون الفاء، وقرأ الباقون كُفُواً بضم الفاء والهمزة إلاّ حفصاً عن عاصم فإنه كان لا يهمز، والعرب تقول: ليس لفلان كفو ولا مثيل...والله تعالى لا كف له ولا كفٌ له ولا كفى له، ولا كفاء له، كل هذه لغات بمعنى لا مثيل له تعالى)[4].

من الملاحظ من كلام ابن خالويه أنه يحتج بالقراءات لإثبات لغتين من لغات العرب لغة الهمز في كفؤاً وترك الهمز وكلا القراءتين صحيح له مثيل من كلام العرب.

١١– ومن النحاة الكبار الذين احتجوا بالقراءات الشاذة والمشهورة ابن جنيّ المتوفى(٣٩٢هـ).

ظهر الاحتجاج بالقراءات عنده جليّاً في كتابه (المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها). ولم يحتج ابن جنى في المحتسب لجميع القراءات الشاذة؛

---

[1] ـ الحجة في علل القراءات السبع لابي على الفارسي، تحقيق على النجده ناصف، د. عبدالحليم النجار ود. عبدالفتاح شلبي، ٢ـ٩/١.

[2] ـ النحو وكتب التفسير للدكتور عبدالله رفيده، ٥٠٠/١.

[3] ـ سورة الصمد: ٤.

[4] ـ إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالوية، تحقيق: د. عبدالرحمن بن سليمان العثيمي، ٥٤٧/٢.

بل وضعه لبعض القراءات الشاذه التي فيها من النكث الإعرابية ما فيها، وهذا يُفهم من كلامه – رحمه الله– حين قال في خطبة كتابه (... وذلك لأن كتابنا ليس موضوعاً على جميع كافة القراءات الشاذة عن قراءة السبعة وأنما الغرض منه إبانة ما لطفت صفته وأغربت طريقته)[1].

قال ابن جني أيضاً:(... ومن ذلك قراءة ابن السميفع[2]﴿فبهت الذي كفر﴾[3] بفتح الباء والهاء والتاء، وكذلك قرأ أيضاً نعيم بن ميسرة وقرأ أو أبو حيوة شريح بن يزيد (فَبَهُتَ) بفتح الباء وضم الهاء والقراءة العامة (فَبُهِتَ) فأما بُهِت قراءة الجماعة فلا نظر فيها، وأما بَهِتَ فبمنزلة خَرِقَ وبَرِقَ وأما بَهُتَ فأقوى معنى من بَهِتَ وذلك أن فَعُلَ تأتى للمبالغة كقولهم: قَضُوَ الرجل إذا جاد قضاؤه، وفَقُهَ إذا قوى في فقهه)[4].

يلاحظ من هذا النص أن ابن جنيّ احتج بعدة قراءات لدّلالة على جواز صحة هذه القراءات من الناحية اللغوية وعلل لكل قراءة بسبب دلل فيه على قوة بعض القراءات وبيّن لنا سبب ترجيحه لقراءة (بَهُت) فهو يرى أنها الأفضل في الصناعة اللغوية والأقوى في المعنى، وهذا دأب هذا العالم الجليل في الاحتجاج بالقراءات.

١٢– ومن النحويين الذين احتجوا بالقراءات ولها ودافعوا عنها أبو حيان الأندلسي، أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي المتوفى (٧٥٤هـ)، ظهر الاحتجاج عنده من خلال تفسيره الكبير (البحر المحيط)، وهو تفسير من أفضل التفاسير، فلقد عنى أبو حيان فيه بالنحو، وتوسع في الإعراب، ورواية القراءات، ودافع عن القراءات، وردّ كثير من الانتقادات التي وجهت لها من النحاة.

وأبو حيان من العلماء الذين تأخروا عن عصر الزمخشري ولكن الذي دفعنا إلى إلقاء لمحة عن هذه الشخصية موقفه من عالمنا الزمخشري، فعلى الرغم من استفادة أبي حيان من تفسير الكشاف للزمخشري إلاّ أنه وقف موقفاً واضحاً من الاعتزال الموجود في تفسير الكشاف، وشرع أبوحيان في توجيه كثيراً من الانتقادات لبعض أراء الزمخشري اللغوية والنحوية، وقبل البعض الآخر وخاصة التي أظهر الزمخشري

---

[1] ـ انظر مقدمة كتاب المحتسب للمؤلف، ٣٥/١.
[2] ـ هو محمد بن عبد الرحمن أبو عبد الله اليماني له اختيار في القراءة، قرأ على أبي حيوة ونافع.
[3] ـ سورة البقرة: ٢٥٨.
[4] ـ المحتسب لابن جني، ١٣٤/١.

فيها بعض الوجوه البلاغية للنص القرآني، ودافع أبو حيان عن القراءات التي انتقدها النحاة ومنهم الزمخشري ولم يرضَ أقوالهم.

ومن ذلك لقد ردّ أبو حيان على الناقدين لقراءة ابن عامر وهي قراءة سبعية ومنهم الزمخشري.

قال:(وقرأ ابن عامر: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِير مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَآءُهُمْ﴾ إلا أنه نصب (أولادهم) وجر شركائهم، ففصل بين المصدر المضاف إلى الفاعل بالمفعول، وهي مسألة مختلف في جوازها، فجمهور البصريين يمنعونها متقدموهم ومتأخروهم، ولا يجيزون ذلك إلاّ في ضرورة الشعر، وبعض النحويين أجازها وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصريح المحض ابن عامر الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب، ولوجودها أيضاً في لسان العرب في عدة أبيات قد ذكرناها في كتاب منهج السالك من تأليفنا، ولا التفات إلى قول ابن عطية وهذه قراءة ضعيفة في استعمال العرب، وذلك أنه أضاف الفعل إلى الفاعل وهو الشركاء، ثمّ فصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول، ورؤساء العربية لا يجيزون الفصل بالظرف في مثل هذا إلاّ في الشعر كقوله:

كما خط الكتاب بكف يوماً ∴ يهودي يقارب أو يزيل

ولا التفات أيضاً إلى قول الزمخشري إن الفصل بينهما يعني المضاف والمضاف إليه فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً ومردوداً فكيف به في القرآن المعجز لحسن نظمه وجزالته؟ وأعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي صريح محض قراءة متواترة موجود نظيرها في لسان العرب في غير ما بيت، وأعجب لسوء ظن هذا الرجل بالقرّاء الأئمة الذين تخيّرتهم هذه الأمة لنقل كتاب الله شرقاً وغرباً ...)[1].

وقد يكون أبو حيان وفّق في جزء من هذا النقد، وخاصة الذي اعتمد فيه على الموضوعية في الدفاع عن القراءات، أما عندما استخدم بعض العبارات مثل: (أعجب لعجمي ضعيف في النحو يرد على عربي محض) فهذا ليس من المنهجية

---

[1] - ينظر البحر المحيط ٦٥٨/٤.

في شيء؛ فنحن نعلم كل العلم أن الزمخشري عالمٌ كبير من علماء اللغة والنحو، وأبو حيان نفسه اعتمد عليه في تفسيره البحر المحيط، فنجد بين طيات هذا التفسير نقولاً كثيرة من تفسير الكشاف.

والدراسات اليوم أكّدت لنا صحة بعض الوجوه اللغوية والنحوية التي ذهب إليها الزمخشري، بل هناك من العلماء من نسب له مدرسة سماها باسمه في النحو واللغة.

ورأينا كيف استفاد عددٌ من العلماء المتأخرين من كشاف الزمخشري؟ وكيف وقفوا مبهورين بجمال ودقة أسلوبه الذي حرص فيه على بيان أوجه البلاغة القرآنية؟.

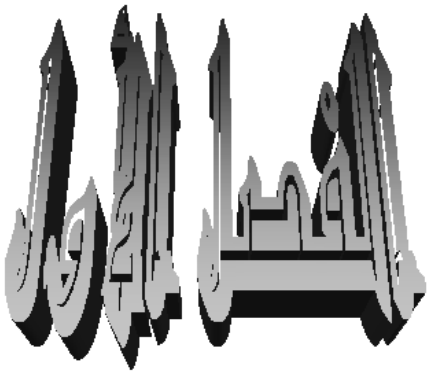

الاحتجاج بالقراءات عند الزمخشري

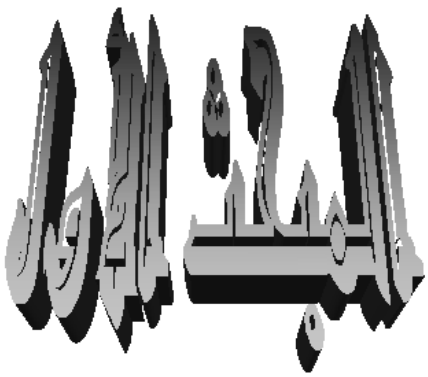

مظاهر الاحتجاج بالقرارات منعدمة الأثر

مظاهرالاحتجاج بالقراءات عند الزمخشري

وظّف الزمخشري القراءات في مواضع متعددة من الكشاف؛ وتتعدد مظاهر هذا التوظيف؛ لتخدم كل قضية تتعلق بالقراءات هدفاً من أهداف الزمخشري في التفسير، وقد قمت بحصر بعض هذه المظاهر فاتضح كثرتها وتشعبها؛ لكن اكتفيت بإيراد بعضٍ منها وهي على النحو التالي:-

أ- الاستدلال بالقراءة على صحة وجه لغوي، وما يدل عليه من معانٍ أو لإظهار بعض الفروق اللغوية.

ب- تقوية التفسير القرآني بالقراءة وتقوية القراءة بقراءة أخرى.

ج- ترجيح بعض القراءات على بعض.

د- الاستدلال بالقراءات في الأحكام الفقهية.

هـ- توهين بعض القراءات.

و- توظيف القراءة للانتصار لبعض أراء المعتزلة.

أ- الاحتجاج بالقراءة على صحة وجه لغوي وما يدل عليه من معانٍ مختلفة أو لإظهار بعض الفروق اللغوية:-

قد تعددت الأمثلة في تفسير الكشاف على ذلك فاكتفيت بذكر ستة منها وهي:-

١- يقول الزمخشري معلقاً على قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[1]، قُرِئَ(وَلاَ تَسْأَلْ)على النهى، روى أنه قال: ليت شعري ما فعل أبواي؟، فنهى عن السؤال عن أحوال الكفرة والاهتمام بأعداء الله، وقيل: معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من العذاب كما تقول: كيف فلان؟ سائلاً عن الواقع في بليّة فيقال لك: لا تسأل عنه، ووجه التعظيم أن المستخبر يجزع أن يجرى على لسانه ما هو فيه لفظاعته، فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره، أو أنت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لإيحاشه السامع وإضجاره فلا تسأل)[2]. ويتفق الألوسي مع الزمخشري

---

[1] - سورة البقرة: ١١٩، قرأ نافع ويعقوب بفتح التاء وجزم اللام على النهي، وقرأ الباقون بضم التاء والرفع على الخبر) النشر، ٦٦/٢.

[2] - الكشاف، ١٨٢/١.

في معنى قراءة نافع ويعقوب (لا تسأل) على صيغة النهي؛ فالنهي أفاد وصف شدة عقوبة الكفار، وأفاد التأويل، فيقال لا تسأل عن أحوال الكفار لفظاعة ما حل بهم؛ ولذلك يصعب على المخبر إجراء الخبر على لسانه أو لا يستطيع السامع أن يسمعه.

ويقول الألوسي: (والجملة على هذا اعتراض أو عطف على مقدار أي تبلغ، والنهي مزاجي، ومن الناس من جعله حقيقة)[1].

٢- يقول الزمخشري: (قرئ: بِشِقّ الأَنْفُسِ[2] بكسر السين وفتحها، وقيل: هما لغتان في معنى المشقة وبينهما فرق: وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقاً، وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع، وأما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد)[3].

قال الألوسي: (وقرأ مجاهد عن الأعرج وأبو جعفر وعمرو بن معيد وابن أرقم (بِشَق) بفتح الشين وروى ذلك عن نافع وأبي عمرو، وكل ذلك لغة.

وقيل: الشَق بالفتح المصدر وبالكسر الاسم يعني المشقة وعلى الكسر بهذا جاء قوله:

وَذِي إِبِلٍ يَسْعَى وَيَحْسِبُهَا لَهُ ∴ أَخِي نَصَبٍ مِنْ شِقِّهَا وَدُؤُوبِ[4]

فإنه أراد مشقتها، وعن الفرّاء[5]أن المفتوحة مصدر من شق الأمر عليه شقاً، وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع والكسور والنصف، يقال أخذت شق الشاة أي: نصفها، وجاء "اتقوا النار ولو بشق تمرة والمعنى إلاّ بذهاب نفس الأنفس، كأنّ الأنفس تذوب تعباً ونصباً لما ينالها من المشقة كما يقال: لا تقدر على كذا إلاّ بذهاب جلّ نفسك أو قطعة من كبدك وهو من المجاز")[6].

---

[1] - روح المعاني للألوسي: ٥٨٤/١.
[2] - سورة النمل: ٧، واختلفوا في (شق الأنفس، فقرأ أبو جعفر بفتح الشين وقرأ الباقون بكسرها) النشر ٢٢٧/٢.
[3] - الكشاف، ٥٩٥/٢.
[4] - البيت للنمر بن تولب في ديوانه، واللسان مادة(شق).
[5] - ينظر معاني الفراء ٢: ٩٧.
[6] - روح المعاني للألوسي: ١: ٣٦٩.

٣- يقول الزمخشري:(فرط: سبق وتقدم ومنه الفارط: الذي يتقدم الواردة، وفرس فرط: يسبق الخيل أي: نخاف أن يعجل علينا بالعقوبة ويبادرنا بها، وقرئ: (يفرط) من أفرطه غيره إذا حمله على العجلة)[١].

٤- ويقول أيضاً:(وقرأ الحسن (قُبضَةً)[٢]، بضم القاف وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة، وأما القبضة فالمرة من القبض، وإطلاقها على المقبوض من تسمية المفعول بالمصدر، كضرب الأمير، وقرأ أيضاً: فقبصت قبصة بالصاد المهلة الضاد: بجميع الكف، والصاد: بأطراف الأصابع ونحوهما: الخضم والقضم، بالخاء بجميع الفم؛ والقاف بمقدمه)[٣]، وقال أيضا:(قرأ الحسن- رضى الله عنه- صللنا من صلّ اللحم وأصلّ: إذا أنتن وقيل: صرنا من جنس الصلة وهي الأرض، فإن قلت: بما انتصب الظرف في " إذا ضللنا "؟ قلت: بما يدل عليه(إنا لفي خلق جديد))[٤].

يلاحظ في القراءات السابقة أنّ الزمخشري بيّن لنا فروقاً لغوية لألفاظ وردت في القراءات السابقة.

٥- ويقول أيضاًوقرئ (يَقْصُ الحَقّ) أي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في أقسامه(وهو خير الفاصلين)أي الفاضّين، وقرئ: (يَقْصُ الْحقّ) أي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قصّ أثره... وفي قراءة عبدالله: يقضى بالحق فإن قلت لم أسقطت الياء في الخط؟ قلت: إتباعاً للخط اللفظ، وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين)[٥].

٦- ويقول الزمخشري: ومعنى درست بمعنى قرأت وتعلمت، وقرئ: دارست[٦]، أي دارست العلماء، ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت، كما قالوا أساطير الأولين،

---

[١] - الكشاف، ٦٦/٣.

(وهذه القراءة قراءة يحي وابن مسعود وأناس من أصحاب النبي والأعمش وسلام)مختصر شواذ القراءات لابن خالويه، ص٨٧، والإتحاف ص٢٠٣، والبحر المحيط ٢٤٦/٦.

[٢] - سورة طه: ٩٦، (ومن ذلك قراءة ابن مسعود وأبي بن كعب وعبدالله بن الزبير ونصر بن عاصم والحسن وقتاده وابن سيرين بخلاف، وأبي رجاء بخلاف، فقبصت قبصة بالصادفيها، وقرأ قُبصه بالصاد وضم القاف) المحتسب، ٩٩/٢-١٠٠. وينظر الاتحاف ٣٠٧، والبحر المحيط ٢٧٣/٦.

[٣] - الكشاف ٣: ٨٤.

[٤] - الكشاف، ٣: ٥٠٩.

[٥] - الكشاف، ٣٠/٢. (واختلفوا في (يقض الحق) فقرأ العدينان وابن كثير وعاصم (يقص) بالصاد مهملة مشددة من القصص، وقرأ الباقون بإسكان القاف وكسر الضاد معجمة من القضاء ويعقوب على أصله في الوقف بالياء) النشر ١٩٤/٢، وينظر البحر المحيط ٥٣١/٤.

[٦] - سورة الأنعام: ١٠٥.

ودرست بضم الراء مبالغة في درست أي اشتد دروسها، ودُرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت أو عفيت، وفسروها بدارست اليهود محمداً ﷺ، وجاز الإضمار؛ لأن الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم، ويجوز أن يكون الفعل للآيات وهو لأهلها، أي دارس أهل الآيات وحملتها محمداً، وهم أهل الكتاب ودرس أي درس محمد، ودارسات أي قديمات، أو ذات دروس كعشية راضية، فإن قلت أي فرق بين اللامين في (لِيَقُولُواْ)، (وَلِنُبَيِّنَهُ)؟ قلت : الفرق بينهما أن الأول مجاز والثانية حقيقة، وذلك أن الآيات صرفت لتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست، ولكن لأنه حصل هذا القول بتصرف الآيات كما حصل التبيين، شبه به فسيق مساقه)[1].

٧- ويقول أيضا:(وقُرِئ[2]: حَذِرُونَ وَحَاذِرُونَ وَحَادِرُونَ بالدال غير المعجمة، فالحذر: اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل: المؤذي في السلاح، وإنما يفعل ذلك حذراً واحتياطاً لنفسه والحادر: السمين القوي)[3].

ويمكن القول أن الزمخشري يحتج بالقراءات المشهورة الشاذة على السواء، ويوظفها لخدمة منهجه اللغوي؛ فيبين فرقًا لغويًا أو يوضح معنىً أو ينتصر للغة من لغات العرب أو ليكشف من خلال القراءة وجهًا بلاغيًا، وقد يأتي بهذه المظاهر مجتمعة في آن واحد.

ب- تقوية التفسير القرآني بالقراءة وتقوية القراءة بقراءة أخرى:

سار الزمخشري على نهج العلماء السابقين أمثال الفرّاء وأبي علي الفارسي وابن خالويه في تقوية التفسير القرآني بالقراءات المختلفة، وفي أثناء تفسيره لآي القرآن الكريم يقوّى القراءة بقراءة أخرى، ومن الأمثلة التي تدل على هذا:-

١- يقول الزمخشري:(﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ﴾[4]، المزين هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء كقوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾[5]، ويدل عليه قراءة مجاهد:

---

[1] - الكشاف، ٥٥/٢. (واختلفوا في (درست) فقرأ ابن كثير وأبو عمرو بألف بعد الدال وإسكان السين وفتح التاء، وقرأ ابن عامر ويعقوب بغير ألف وفتح السين وإسكان التاء وقرأ الباقون بغير ألف وإسكان السين وفتح التاء) النشر ١٩٦/٢. وينظر البحر المحيط ٦٠٨/٤.

[2] - سورة الشعراء: ٥٦.

[3] - الكشاف، ٣١٥/٣. (واختلفوا في حاذرون فقرأ الكوفيون وابن ذكوان بألف بعد الحاء واختلف عن هشام فروى عنه الداجوني كذلك وروى عنه الحلواني بحذف الألف وكذلك قرأ الباقون) النشر ٢٥١/٢، وينظر الإتحاف ص٤٢١.

[4] - سورة آل عمران: ١٤.

[5] - سورة الكهف:٧.

(زَيّنَ لِلنَّاسِ) على تسمية الفاعل، وعن الحسن: الشيطان، والله زينها لهم، لأنا لا نعلم أحداً أذم لها من خالقها " حب الشهوات" جعل الأعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروسًا على الاستمتاع بها. والوجه: أن يقصد تخسيسها فيسميها شهوات؛ لأن الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية، وقال: (زَيّنَ لِلنَّاسِ حُبُ الشَّهَوَاتِ) ثم جاء بالتفسير؛ ليقرر أولاً في النفوس أن المزين لهم حبه ما هو إلا شهوات لا غير، ثم يفسره بهذه الأجناس، فيكون أقوى لتخسيسها، وأدل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها ويرجح طلبها على طلب ما عند الله)[1].

٢- ويقول الزمخشري: وقرئ: ﴿يغشّى﴾[2] بالتشديد، أي يلحق الليل النهار والنهار بالليل يحتملهما جميعاً، والدليل على الثاني قراءة حميد بن قيس: ﴿يغشى الليلَ النهارُ﴾ بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار، أي يدرك النهار الليل، ويطلبه حثيثاً حسن الملائمة لقراءة حميد)[3].

٣- يقول الزمخشري: في مصاحف أهل المدينة والشام (سَارِعُواْ)[4]بغير واو، وقرأ الباقون بالواو وتنصره قراءة أبيّ وعبدالله: وَسَابِقُواْ ومعنى المسارعة إلى المغفرة والجنة: الإقبال على ما يستحقان به)[5].

إذن عالمنا انتصر لقراءة العامة (وَسَارِعُواْ) بالواو وقوّى هذه القراءة بقراءة شاذة وهي قراءة أبي وعبدالله: (وَسَابِقُواْ)

٤- من مظاهر توظيف الزمخشري القراءة في خدمة التفسير القرآني قال: (وقرئ (وَقِثَّائِهَا)[6] بالضم والفوم: الحنطة، ومنه فوّموا لنا أي اخبزوا، وقيل الثوم، ويدل عليه قراءة ابن مسعود: وثومها وهو للعدس والبصل أوفق)[7].

---

[1] - الكشاف، ٣٤٢/١.(وعن ابن محيض (زين للناس) مبنياً للفاعل (حبَّ) بالنصب، وأمال (الدنيا) حمزة والكسائي وخلف وبالفتح والصغرى الأزرق وأبو عمرو والدوري عنه الكبرى أيضاً) الإتحاف لشهاب الدين أحمد بن عبدالغني الدمياطي، ص:٢١٩.

[2] - سورة الاعراف: ٥٤.

[3] - الكشاف، ١٠٩/٢.

[4] - سورة آل عمران: ١٣٣.(واختلفوا في (سارعوا) فقرأ المدنيان وابن عامر سارعوا بغير واو قبل السين، وكذلك هي في مصاحف المدينة والشام، وقرأ الباقون بالواو وكذلك هي في مصاحفهم. النشر ٢: ١٨٢.

[5] - الكشاف، ٤١٥/١.

[6] - البقرة:٦١.

[7] - الكشاف، ١٤٥/١.(وقرأ يحي بن وثاب وطلحة بن مصرف وغيرهما وقثائها بضم القاف وقد تقدم أنها لغة) البحر المحيط ٣٧٦/١.

٥- ويقول الزمخشري آخذاً بالمظهر نفسه، وقرئ: (وَلَدَ الله)[١]، أي الملائكة ولده والوالد (فعل) بمعنى مفعول يقع على الواحد والجمع والمذكر والمؤنث، تقول هذه ولدي وهؤلاء ولدي، فإن قلت (أصطفى البنات) بفتح الهمزة: استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد، فكيف صحت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الإثبات؟ قلت: جعله من كلام الكفرة بدلاً عن قولهم: (ولد الله) وقد قرأ بها حمزة والأعمش – رضى الله عنهما- وهذه القراءة وإن كان هذا محملها -فهي ضعيفة والذي أضعفها: أنّ الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها، وذلك قوله: (وإنهم لكاذبون) (مالكم كيف تحكمون؟ فمن جعلها للإثبات فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين)[٢].

٦- يقول الزمخشري:(وقرئ: يمسكون بالتشديد وتنصره قراءة أبي(وَالَّذِينَ مَسَّكُواْ بِالكِتَابِ)، فإن قلت: التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلاة، فكيف أفردت؟ قلت: إظهارًا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين، وفارقة بين الكفر والإيمان، وقرأ ابن مسعود – رضى الله عنه- والذين استمسكوا بالكتاب)[٣].

ج- ترجيح بعض القراءات على بعض:-

سار الزمخشري على نهج العلماء قبله في ترجيح القراءات بعضها على بعض، فهو يرجّح من أجل إظهار فصاحة لغة في القراءة ويرجّح من أجل إظهار المعاني البلاغية لوجه قراءة ما، ويرجّح تارة أخرى لتقوية وجه نحوي أو لإخضاع القراءة للقياس النحوي، أو لتقوية معنى لغوي من معاني القراءات المختلفة.

يقول الإستاذ ابن عاشور:(ثم إن القراءات العشر الصحيحة المتواترة قد تتفاوت بما يشتمل عليه بعضها من خصوصيات البلاغة أو الفصاحة، أو كثرة المعاني أو الشهرة، وهو تمايز متقارب، وقلّ أن يكسب إحدى القراءات في تلك الآية رجحاناً، على أن كثيراً من العلماء كان لا يرى مانعاً من ترجيح قراءة على غيرها، ومن هؤلاء الإمام محمد بن جرير الطبري، والعلامة الزمخشري، وفي أكثر ما رُجّح نظر، وقد سئل ابن رشد عما يقع في كتب المفسرين والمعربين من اختيار إحدى القراءتين المتواترتين، وقولهم هذه القراءة أحسن: أذاك صحيحٌ أم لا؟ فأجاب: أمّا ما سألت

---

[١]- سورة الصافات:١٥٢.

[٢]- الكشاف، ٦٣/٤-٦٤.

[٣]- الكشاف: ١٧٥/٢، سورة الأعراف: ١٧٠. (واختلفوا في (يُمَسِّكُون) فروى أبوبكر بتخفيف السين وقرأ الباقون بتشديدها) النشر ٢٠٥/٢، وينظر الإتحاف ص٢٩٢.

عنه يقع في كتب المفسرين والمعربين من تحسين بعض القراءات واختيارها على بعض لكونها أظهر من جهة الإعراب، وأصح في النقل وأيسر في اللفظ؛ فلا ينكر ذلك كرواية ورش التي اختارها الشيوخ المتقدمون عندنا بالأندلس)[1].

وهذه بعض الأمثلة التي ساقها الزمخشري على هذا وهي:-

١- قال الزمخشري: (وقرأ الحسن البصري (الحمدِ لله) بكسر الدال لإتباعها اللام، وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة (الحمدُ لله) بضم اللام إتباعها الدال...والإتباع إنما يكون في كلمة واحدة كقولهم من حدر الجبل ومغيرة- تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين، وأشفّ القراءتين قراءة إبراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للإعرابية التي هي أقوى، بخلاف قراءة الحسن)[2].

عرض الزمخشري في شرحه قراءتين شاذتين، ثمّ رجّح واختار قراءة إبراهيم بن أبي عبلة وفضّلها على قراءة الحسن البصري، وعلّل لهذا الترجيح بإخضاع القراءتين للقياس النحوي، فالقياس كما يرى يقتضي حرمة الإعراب وإبراهيم بن أبي عبلة جعل الحركة البنائية تابعة للحركة الإعرابية لا العكس على قراءة الحسن البصري.

٢- يقول الزمخشري: (لا يخلو الموعد في قوله تعالى: ﴿فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً﴾[3] من أن يجعل زماناً أو مكاناً أو مصدراً فإن جعلته زماناً نظراً في أن قوله تعالى ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ﴾[4] مطابق له، لزمك شيئان: أن تجعل الزمان مخلفاً، وأن يعضل عليك ناصب مكاناً: وإن جعلته مكاناً لقوله تعالى "مكاناً سوى" لزمك أيضاً أن توقع الإخلاف على المكان، وأن لا يطابق قوله "مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ" وقراءة الحسن غير مطابقة له مكاناً وزماناً جميعاً؛ لأنه قرأ "يوم الزينة" بالنصب، فبقي أن يجعل مصدراً بمعنى الوعد، ويقدر مضاف محذوف فإن قلت: فكيف طابقه قوله (مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ)؟ ولابد من أن تجعله زماناً والسؤال واقع عن المكان لا الزمان؟

---

[1] - تفسير التحرير والتنوير لسماحة الأستاذ الإمام الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، المقدمة السادسة، ١: ٥٦-٥٧.

[2] - الكشاف: ١/١٠.

(هذه القراءة قراءة أهل البادية: الحمدُ لله) مضمومة الدال واللام ويقصد بقراءة أهل البادية ما يقرأه بعضهم بسليقته، لا يراعي الرواية بالقراءة، ورواها لي بعض أصحابنا قراءة لإبراهيم بن أبي عبلة: الحمدِ لله مكسورتان، ورواها أيضاً لي قراءة لزيد بن علي (رضي الله عنهما) والحسن البصري -رحمه الله- وكلاهما، شاذ في القياس والاستعمال) المحتسب، ١/٣٧.

[3] - سورة طه: ٥٨.

[4] - سورة طه: ٥٩.

قلت هو مطابق معنى وإن لم يطابق لفظاً؛ لأنهم لابدّ من أن يجتمعوا يوم الزينة في مكان بعينه مشتهر باجتماعهم فيه في ذلك اليوم، فبذكر الزمان علم المكان، وأما قراءة الحسن، فالموعد فيها مصدر لا غير)[1].

٣- قد يأتي الزمخشري بمظهرين من مظاهر احتجاجه بالقراءات أثناء عرضه للقراءات والترجيح بها، فيقوى المعنى بالقراءة ويرجّح قراءة على قراءة أخرى؛ لأنها الأفصح.

يقول: (﴿فأنَّ لله﴾[2] مبتدأ خبره محذوف تقديره: فحق أو فواجب أن لله خمسه، وروى الجعفي عن أبي عمرو: فإن لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي: فلله خمسه، والمشهورة آكد وأثبت للاعجاب، كأنه قيل: فلابدّ من ثبات الخمس فيه، لا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه، من حيث إنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات، كقولك: ثابت واجب حق لازم؛ وما أشبه ذلك، كان أقوى لإيجابه من النص على واحد)[3].

٤- قد يرجّح الزمخشري قراءة على قراءة أخرى لقوة معناها قال: (وقرأ أنس بن مالك: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ[4] ثَابِتٌ أَصْلُهَا﴾ فإن قلت: أيُ فرق بين القراءتين؟ قلت: قراءة الجماعة أقوى معنى؛ لأن قراءة أنس أجريت الصفة على الشجرة، وإذا قلت مررت برجل أبوه قائم؛ لأن المخبر عنه إنما هو الأب لا رجل)[5].

٥- يتحدث الزمخشري عن رفض القراءة إذا ما أضاعت من أسلوب القرآن جماله وقوة معناه، ويُؤثر ويختار ويرجّح غيرها ممّا يحفظ على القرآن جماله، وكيف لا يفعل ذلك وهو الباحث عن البلاغة بنظمها المختلفة.

يقول الزمخشري شارحاً الآية الكريمة: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَوةٍ[6]﴾، فإن قلت: لم قال: (عَلَى حَيَوةٍ) بالتنكير؟ قلت: لأنه أراد حياة مخصوصة، وهي الحياة المتطاولة؛ ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبي (على الحياة)[7].

---

[1] ـ الكشاف، ٣: ٧١.
[2] ـ سورة الأنفال: ٤١.
[3] ـ الكشاف، ٢: ٢٢١.
[4] ـ سورة إبراهيم: ٢٤.
[5] ـ الكشاف ٢: ٥٥٣.
[6] ـ سورة البقرة: ٩٦.
[7] ـ الكشاف، ١٦٨/١.

٦- يقارن الزمخشري بين القراءات، ويختار القراءة الأفصح لفظاً ومعنى والأدخل بلاغةً.

يقول: (وقرأ ابن كثير بضم الياء من قوله تعالى: ﴿لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِيَ﴾[1] من أجرمته ذنباً، إذا جعلته جارماً له، أي كاسباً وهو منقول من جرم المتعدى إلى مفعول واحد، كما نقل: أكسبه المال، من كسب المال، وكما لا فرق بين كسبته مالا وأكسبته إياه، فكذلك لا فرق بين جرمته ذنباً وأجرمته إياه، والقراءتان مستويتان في المعنى ولا تفاوت بينهما إلا أن المشهورة أفصح لفظاً، كما إن كسبته مالاً أفصح من أكسبته، والمراد بالفصاحة: أنه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم أدور، وهم له أكثر استعمالاً)[2].

د- الاستدلال بالقراءات في الأحكام الفقهية:-

من مظاهر الاحتجاج بالقراءات عند الزمخشري استدلاله بها لبيان الأحكام الفقهية:-

١- يقول الزمخشري مبيّناً الأحكام الفقهية ﴿ فَعِدَّةٌ ﴾[3]، فعليه عدة، وقرئ: بالنصب بمعنى: فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل: مكتوبا ةعليهما أن يفطرا ويصوما عدة. (من أيام أخر)واختلف في المرض المبيح للإفطار فمن قائل كل مرض؛ لأن الله لم يخص مرضاً دون مرض، كما لم يخص سفراً دون سفر، فكما أن لكل مسافر أن يفطر، فكذلك كل مريض، وعن ابن سيرين أنه دخل عليه في رمضان وهو يأكل، فاعتلّ بوجع أصبعه، وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد أو الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال: إنه في سعة من الإفطار، وقائل:

---

[1] - سورة هود: ٨٩.
[2] - الكشاف، ٢: ٤٢١.
[3] - سورة البقرة: ١٨٤.

هو المريض الذي يعسر معه الصوم، ويزيد فيه لقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ﴾[1]، وعن الشافعي: لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل، واختلف أيضاً في القضاء فعامة العلماء على التخيير، وعن أبي عبيدة بن الجّراح – رضى الله عنه– : (إنّ شئت فواتر وإن شئت ففرّق، وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم أنه يقضى كما فات متتابعاً وفي قراءة أبيّ: فعدّة من أيام أخر متتابعات)[2].

يتضح من ذلك أن الزمخشري عرض جميع الآراء الفقهية المتعلقة بإفطار الصائم في السفر وحالة المرض، وكيفية قضاء الأيام التي أفطرها الصائم واختلاف العلماء في هذه القضية، وهل القضاء يكون بأيام متتابعة أو أيام متفرقة، واحتج للرأي الذي يرى أن تقضي الأيام متتابعة بقراءة أبيّ ابن كعب –رضى الله عنه–: (فعدّة من أيام أخر متتابعات).

٢– يستعين الزمخشري بالقراءة على تبين الحكم الفقهي:–

قال: (وقرأ عبدالله: ﴿وَعَلَى الصَّلاةِ الْوُسْطَى﴾[3]: وقرأت عائشة –رضى الله عنها– (والصلاة الوسطى) بالنصب على المدح والاختصاص، وقرأ نافع (الوسطى بالصاد ... وقرئ: فرُجالاً بضم الراء ورجالاً بالتشديد، ورجلا، وعن أبي حنيفة – رحمه الله–: لا يُصَلّون في حال المشى والمسايفة ما لم يمكن الوقوف: وعند الشافعي –رحمه الله– : يُصلّون في حال، والراكب يومئ ويسقط عنه التوجه إلى القبلة)[4].

٣– يقول الزمخشري (وقرئ (عِدَةً) بالنصب بمعنى: فليصم عدة، وهذا على سبيل الرخصة)[5].

٤– يبيّن الزمخشري رأيه الفقهي ويقوّيه بالقراءة، يقول شارحاً الآية الكريمة: ﴿وَأَتِمُّواْ الحَجَّ وَالْعُمْرَةَ للهِ﴾[6].

يقول: (فإن قلت: هل فيه دليل على وجوب العمرة؟ قلت: ما هو إلاّ أمر بإتمامهما، ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين أو تطوعين؛ فقد يؤمر بإتمام الواجب والتطوع جميعاً، إلاّ أن تقول الأمر بإتمامهما أمر بأدائها؛ بدليل قراءة من قرأ: وأقيموا الحجّ

---

[1] ـ سورة البقرة: ١٨٥.
[2] ـ الكشاف، ٢٢٦/١.
[3] ـ سورة البقرة: ٢٣٨.
[4] ـ الكشاف، ١: ٢٨٨.
[5] ـ الكشاف، ١: ٢٢٥.
[6] ـ سورة البقرة: ١٩٦.

والعمرة والأمر للوجوب في أصله إلاّ أن يدل دليل على خلاف الوجوب، كما دلّ في قوله "فاصطادوا"[1]، "فانتشروا"[2] ونحو ذلك فيقال لك: فقد دلّ نفى الوجوب، وهو ما روى أنه قيل: "يا رسول الله: العمرة واجبة مثل الحج؟ قال: لا ولكن أن تعتمر خير لك"، وعنه: "الجهاد جهاد والعمرة تطوع"، فإن قلت؛ فقد روى عن ابن عباس –رضى الله عنه– أنه قال: إني وجدت الحجّ والعمرة مكتوبين علىّ أهللت بهما جميعاً فقال: "هديت لسنة نبيك" وقد نُظِمتْ مع الحج في الأمر بالإتمام فكانت واجبة مثل الحج؟ قلت: كونها قرينة للحج أن القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان في الذكر فيقال: حج فلان واعتمر والحجاج والعمار، ولأنها الحج والأصغر، ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب، وأمّا حديث عمر– رضى الله عنه– فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله: أهللت بهما.

وإذا أهلّ بالعمرة وجبت عليه، كما إذا كبر بالتطوع من الصلاة والدليل الذي ذكرناه أخرج العمرة من صفة الوجوب؛ فبقى الحج وحده فيها، فهماً بمنزلة قولك: صم شهر رمضان وستة من شوال في أنك تأمره بفرض وتطوّع، وقرأ علىّ وابن مسعود والشعبي –رضى الله عنهم– "والعمرة لله" بالرفع كأنهم قصدوا بذلك إخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب)[3].

هـ– تضعيف بعض القراءات، لأنها لا توافق القياس النحوي:–

نجد في تفسير الكشاف بعض المواقف التي يضعف الزمخشري فيها بعض القراءات، وفي اعتقادي أن الزمخشري لم يكن موفقاً في موقفه هذا؛ لأن القراءة سنة متبعة يأخذها الآخر عن الأول وعلى هذا فيجب على المسلم قبولها على صورتها التي وصلت إلينا بسند صحيح موثوق فيه.

والزمخشري في موقفه هذا قد سبق من العلماء قبله من أمثال الفرّاء والزجاج والفارسي وابن خالويه وابن جنىّ وغيرهم.

---

[1] ـ المائد:٢.
٥ـ الأحزاب:٥٣.
[2] ـ الكشاف، ١: ٢٣٩.

سار الزمخشري على منهج العلماء المتقدمين في نقده للقراءات؛ فهو ينتقد القراءات المشهورة والشاذة على السواء، وهو يرى أن ضبط القراءة بحاجة إلى أهل النحو حتى لا يقع راوي القراءة وناقلها في اللحن.

والذي يغلب على ظنيّ أن بعض النحاة وضعوا القاعدة النحوية وعندما تعارضتْ مع وجه القراءة الصحيح الفصيح الذائع الشائع، لجأوا إلى التأويل والتقدير، وحاولوا إخضاع جميع القراءات إلى قياسهم الذي وضعوا، فما وافق قياسهم فهو الفصيح، وما لم يوافقه فهو غير فصيح وضعيف ومردود وليس من كلام العرب.

تعدُّ معظم القراءات التي ضعّفها الزمخشري صحيحة وقد أثبت صحتها علماءُ القراءات بإجماع واثبتوا صحة سندها إلى الرسولﷺ ويرأيي أن الذي دفع الزمخشري إلى تضعيفها أنه أخضعها إلى المعيارية معيارية اللغة والقياس، فمثلاً قد يخضعها إلى معيار الفصاحة أو معيار النحو أو معيار الصرف أو معيار البلاغة من باب البحث عن المعاني الجليلة، ثمّ أصدر عليها أحكامه، فتارة يقول بتضعيفها أو يصفها بعدم الفصاحة، أو السماجة، أو أنها غير نيّره، وما إلى ذلك من الأوصاف.

(وقد أفرط الزمخشري في توهين بعض القراءات لمخالفتها لما اصطلح عليه النحاة وذلك من إعراضه عن معرفة الأسانيد)[1].

وهذه بعض الأمثلة التي ضَعّف فيها بعض القراءات:-

١- يقول الزمخشري في قوله تعالى: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] وقرئ: "فَيَغْفِرْ وَيُعَذِبْ" مجزومين عطفاً على جواب الشرط، ومرفوعين على: فهو يغفر ويعذب، فإن قلت: كيف يقرأ الجازم؟ قلت: يظهر الراء ويدغم الباء، ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشاً، وروايه عن أبي عمرو مخطيء مرتين؛ لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة، والسبب في قلة الضبط قلة الدراية، ولا يضبط نحو هذا إلاّ أهل النحو)[3].

---

[1] - التحرير والتنوير، لابن عاشور، ٥٣/١.
[2] - سورة البقر: ٢٨٤.
[3] - الكشاف، ١: ٣٣٠.
قال أبو حيان: (وذلك على عادته في الطعن على القراء، وأما ما ذكره أن مدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشاً إلى آخر، فهذه مسألة اختلف فيها النحويون، فذهب الخليل وسيبويه وأصحابه: إلى أنه لا يجوز إدغام الراء في اللام من أجل التكرير الذي فيها، ولا في النون قال أبو سعود ولا نعلم أحداً خالفه إلاّ يعقوب الحضرمي،

٢- يقول الزمخشري معلقاً على قوله تعالى: ﴿فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾[١]، وقرأ ابن محيصن: فَاطرُه، بإدغام الضاد في الطاء كما قالوا: اطّجع، وهي لغة مرذولة، لأن الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف (ضم شفر)[٢].

٣- يقول – معلقاً على قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٣] وقرأ أبو السميفع: (وخلق: من قبلكم، وفي قراءة زيد بن علي: "والذين من قبلكم" وهي قراءة مشكلة ووجهها على إشكالها أن يقال: أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيداً، كما أقحم جرير في قوله[٤]: يانيم تيم عدي لا أبالكمُ نيما الثاني بين الأول وما أضيف إليه، وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه في: لا أبا لك)[٥].

٤- يقول أيضاً:(وقرئ:"وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا"[٦]بسكون الراء قياساً على فخد في فخد، وقد استرذلت،لأن الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فإسقاطها إجحاف)[٧].

٥- يقول الزمخشري – معلقاً على قوله تعالى: (﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾[٨] قرئ: زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم، ونصب "قتل أولادهم" وزين، على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين، كأنه قيل: زين لهم قتل أولادهم من زينه؟

وإلاّ ما روي عن أبي عمرو أنه كان يدغم الراء في اللام متحركة متحركاً ما قبلها نحو (يغفر لمن) فإن سكن ما قبل الراء أدغمها في اللام في موقع الضم والكسر نحو (الانهار لهم) فإن انفتحت وكان ما قبلها حرف مدولين أو غيره لم يدغم نحو (من مصر لامرأته) و(الابرار لفي نعيم) فإن سكنت الراء أدغمها في اللام بلا خلاف عنه، وقال أبو حيان وقد اعتمد بعض أصحابنا على أن ماروي عن القرّاء من الإدغام الذي منعه البصريون يكون ذلك إخفاءً لا إدغاماً، وذلك لا يجوز أن يعتمد في القرّاء أنهم غلطوا وما ضبطوا ولا فرقوا بين الاخفاء والادغام ... وقد اتفق على نقل إدغام الراء في اللام كبير البصريين ورأسهم: أبو عمرو بن العلاء، ويعقوب الحضرمي وكبراء أهل الكوفة الرواسي والكسائي والفرّاء وأجازوه ورووه عن العرب، فوجب قبوله والرجوع فيه إلى علمهم ونقلهم)، ينظر البحر المحيط ٧٥٣/٢-٧٥٤.

[١] - سورة البقرة: ١٢٦.

[٢] - الكشاف، ١: ١٨٦.

[٣] - سورة البقرة: ٢١.

[٤] - هذا شطر بيت للشاعر جرير والبيت كاملاً: يانيم تيم عدي لا أبالكمُ .·. لا يلقينكم في سوءة عمر. والبيت في ديوانه: ٨٠، والكتاب ١: ٥٣. والخزانة ٢: ١٥٨. وعدي هذا هو عدي بن عبد مناة وعمر هو ابن لجأ كان ممن يهجيه جرير، والشاهد فيه: إقحام تيم الثاني بين تيم الأول وما أضيف إليه، فعمل الثاني في منع التنوين للإضافة معاملة الأول.

[٥] - الكشاف، ٩١/١.

[٦] - سورة البقرة: ١٢٨.

[٧] - الكشاف، ١٨٨/١.

[٨] - سورة الأنعام: ١٣٧.

فقيل: زينه لهم شركاؤهم، وأما قراءة ابن عامر: (قتل أولادهم شركائهم) برفع القتل ونصب الأولاد وجرّ الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينهما بغير الظرف، فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً كما سمج وردّ *زج القلوص أبي مزاده*[1] فكيف به في الكلام المنثور، فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء – لأنّ الأولاد شركاؤهم في أموالهم – لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب)[2].

وسوف نفصّل القول في هذه القراءة لاحقاً إن شاء الله تعالى.

٦- يقول الزمخشري في قوله تعالى:﴿وقرئ: مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسَلِهِ﴾[3]بجرّ الرسل ونصب الوعد، وهذا في الضعف كمن قرأ (قتل أولادهم شركائهم).

وهو هنا ضعّف هذه القراءة، وأشار إلى أنها في الضعف كقراءة ابن عامر السابقة، وسبب التضعيف ضعف الوجه النحوي وهو الفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير الظرف.

٧- يقول أيضاً: (فإن قلت: ﴿اصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾[4] بفتح الهمزة: استفهام على طريق الإنكار والاستبعاد، فكيف صحت قراءة أبي جعفر بكسر الهمزة على الإثبات؟ قلت: جعله من كلام الكفرة بدلاً عن قولهم "وَلَدَ الله"، وقد قرأ بها حمزة والأعمش – رضي الله عنهما–، وهذه القراءة – وإن كان هذا محملها – فهي ضعيفة والذي أضعفها: أن الإنكار قد اكتنف هذه الجملة من جانبيها وذلك قوله: "وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" "مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ"؟ فمن جعلها للإثبات، فقد أوقعها دخيلة بين نسيبين)[5].

٦- هذا عجز بيت من الشواهد التي لا يعرف قائلها، وشطره: فزججتها بمزجة، والتقدير زج أي مزاده القلوصَ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه بالقلوص، وهو مفعول وليس بظرف ولا حرف خفض كما ذهب إلى ذلك الكوفيون.

[2] - الكشاف، ٧٠/٢. ولقد دافع الإمام أبو حيان على هذه القراءة وردّ على الزمخشري وابن عطية والفارسي أدلة دامغة. ينظر البحر المحيط، ٦٥٦/٤-٦٥٨.

[3] - إبراهيم:٤٧.

[4] - سورة الصافات: ١٥٣.

[5] - الكشاف، ٦٤/٤.

ودافع عن هذه القراءة الإمام أبو حيان وأورد كلام الزمخشري هذا وقال (فمن جعلها للإثبات فقد أوقعها دخيلة بين سببين وليست دخيلة بين نسيبين، بل لها مناسبة ظاهرة مع قولهم ولد الله)[1].

و- توظيف القراءة للانتصار لبعض أراء المعتزلة:-

يقوّى الزمخشري تفسيره بالقراءة، وعند توجيهه لمعاني بعض القراءات ينتصر لمذهبه المعتزلي. والذي يغلب على ظنّي أن هذه المظاهر غير كثيرة في تفسير الكشاف.

وبرأي أن الزمخشري لم يكن معتزلاً بكل ما تحمله كلمة الاعتزال من انحياز كامل لهذا المذهب والتعصب له، والدليل على هذا أنه يعتمد في آرائه اللغوية والنحوية على تفاسير أصحاب المذاهب الأخرى؛ التي سماها في الكشاف بالتفاسير البدعية، فأخذ منها ما ساعده على توضيح المعاني الجليلة للنص القرآني.

وكذلك اعتماده على الحديث النبوي الشريف في توضيح بعض القضايا اللغوية، وأخذه من أراء الصحابة الأخيار رضوان الله عليهم من غير تمييز فيما بينهم.

ويتميز الزمخشري عن باقي علماء المعتزلة في أنه أطّلع على جميع الآراء التي تخالف مذهبه، واستفاد منها، ووظّفها في تفسير الكشاف خير توظيف.

ونذكر هنا بعض المظاهر التي وظّف فيها القراءة لخدمة المذهب المعتزلي على سبيل المثال لا الحصر.

١- يقول الزمخشري: (وقرئ: ﴿جَهْرَةً﴾[2] بفتح الهاء، وهي إما مصدر كالغلبة وإما جمع جاهر، وفي الكلام دليل على أن موسى-عليه السلام- رادّهم القول، وعرّفهم أن رؤية مالا يجوز عليه أن يكون في جهة محال)[3].

يلاحظ من هذا الكلام أن الزمخشري عندما وجّه القراءة للمعنى انتصر إلى القول الذي يرى عدم رؤية الله تعالى أو استحالة رؤية الله تعالى، وهو مذهب عند المعتزلة، وهذا ما قصده في قوله (في جهة محال).

---

[1] - البحر المحيط ١٢٧/٩.
[2] - سورة البقرة: ٥٦.
[3] - الكشاف، ١٤١/١.

ردّ الشيخ أحمد بن المنير على الزمخشري بقوله: (أن يكون في جهة محال هذا مذهب المعتزلة، ومن استجاز عليه الرؤية هم أهل السنة، والجهة ليست شرطاً للرؤية عندهم، فلا يلزم كونه من جملة الأجسام أو الأغراض كما بيّن في علم التوحيد)[1].

٢- يستعين الزمخشري بالقراءة على إخضاع التفسير لمذهبه المعتزلي، قال: (وقرأ قتادة ﴿وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾ على بناء الفعل للفاعل وهو الله عزّ وجل، ونصب الشفاعة، فإن قلت: هل فيه دليل على أن الشفاعة لا تقبل للعصاة؟ قلت: نعم؛ لأنه نفى أن تقضي نفس عن نفس حقاً أحلت به من فعل أو ترك، ثمّ نفى أن يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة)[2].

الملاحظ أن الزمخشري قوّى مبدأ المعتزلة بنفي الشفاعة للعصاة بقراءة قتادة، وانتصر لهذا المعنى بوجه هذه القراءة.

٣- ينتصر الزمخشري لمذهبه المعتزلي بقراءة اخرى، قال في سياق الآية الكريمة:(﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[3] قُرِئ: "أنه" بالفتح و"إنَّ الدين" بالكسر على أن الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على أنه أو بأنه، وقوله: "إن الدين عند الله الإسلام" جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الأولى فإن قلت: ما فائدة هذا التوكيد؟ قلت: فائدته أن قوله: "لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ" توحيد وقوله: "قَائِماً بِالْقِسْطِ" تعديل، فإذا أردفه قوله: "إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ" فقد آذن أن الإسلام هو العدل والتوحيد، وهو الدين عند الله، وما عداه، فليس عنده في شيء من الدين، وفيه أن من ذهب إلى تشبيه أو ما يؤدّي إليه كإجازة الرؤية أو ذهب إلى الجبر الذي هو محض الجور، لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام، وهذا بيّن جليّ كما ترى، وقرئا مفتوحين على أن الثاني بدل من الأول، وكأنه قيل: شهد الله أن الدين عند الله الإسلام، والبدل هو المبدل منه في المعنى، فكان بياناً صريحاً؛ لأن دين الله هو التوحيد والعدل، وقرئ: الأول بالكسر والثاني بالفتح، على أن الفعل واقع على إنَّ وما

---

[1] - ينظر الانتصاف من الكشاف لأحمد بن المنير على هامش الكشاف، ١٤١/١.
[2] - الكشاف، ١٣٦/١.
[3] - سورة آل عمران: ١٩.

بينهما اعتراض مؤكد، وهذا أيضاً شاهد على أن دين الإسلام هو العدل والتوحيد، فترى القراءات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبدالله: أن لا إله إلا هو، وقرأ أبيّ: إن الدين عند الله الإسلام، وهي مقوية لقراءة من فتح الأولى وكسر الثانية وقرئ: شهداء لله، بالنصب على أنه حال من المذكورين قبله، وبالرفع على هم شهداء الله، فإن قلت: فعلام عطف على هذه القراءة "والملائكة وأولو العلم"؟ قلت: على الضمير في شهداء، وجاز لوقوع الفاصل بينهما، فإن قلت: لم كرر قوله "لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ"؟ قلت: ذكره أوّلا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وأنه لا إله إلا تلك الذات المتميزة، ثم ذكره ثانياً بعد ما قرن بإثبات الوحدانية إثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالأمرين، كأنه قال: لا إله إلاّ هذا الموصوف بالصفتين، ولذلك قرن به قوله "العزيز الحكيم" لتضمنها معنى الوحدانية والعدل)[1].

وخلاصة الأمر أن الزمخشري يقوّى تفسيره بالقراءات للانتصار إلى أصلين من أصول المعتزلة وهما التوحيد والعدل، أما التوحيد فيرى المعتزلة: "أن الله واحد تام الأحدية ليس ذا أجزاء مقدارية كالتي للأجسام ولا أجزاء معنوية"[2] وهم بذلك ينفون صفة التشخيص، ويصرفون صفات الله إلى المجازية، ويذهبون إلى أن ذات الله وصفاته شيء واحد، وأما العدل فقد تعمقوا في فهمه وأثاروا حوله مسائل كثيرة، فهم ينسبون مثلاً صفات الخير لله ويصرفون عنه صفات الشر.

---

[1] - الكشاف، ٣٤٥/١-٣٤٦.

[2] - منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه للدكتور مصطفى الصاوي/١١٢، نقلاً عن كتاب ضحى الإسلام، لأحمد أمين، ٢٨/٣، الطبقة الثانية.

المبحث الثاني

الحجاج الدعشي بالصلات

في القضايا النحوية والصرفية

احتجاج الزمخشري بالقراءات في القضايا النحوية والصرفية

يعتمد الزمخشري في منهجه النحوي على القرآن الكريم بقراءته المختلفة في الاستدلال على صحة الوجوه النحوية، ويوظّف القراءة ليبين هذا الوجه النحوي أو ذاك وينتصر له بالقراءة.

يخضع الزمخشري القراءة إلى القياس النحوي، فيقيسها على الكثير الشائع من كلام العرب، ويحكم عليها من خلاله. وأحيانا يأتي بالقراءة، لكي يستدل على صحة تركيب صرفي، وينتصر له من خلالها.

إذن نستطيع القول بأن القراءات أداة أساسية من أدوات الزمخشري في الاحتجاج، إذ يستعين بها على التفسير وعلى إثبات الآراء النحوية واللغوية.

يدفع هذا الأمر إلى القول بأن القراءات هي الدليل الأول من أدلّة الاحتجاج عند الزمخشري يستخدمها في مجالات اللغة المختلفة في النحو والصرف والبلاغة والأصوات .

أولاً: احتجاجه بالقراءات في القضايا النحوية والصرفية:-

يمثلئ تفسير الكشاف بالقراءات التي استدل بها الزمخشري على صحة هذا الوجه النحوي أو ذاك، أو صحة تركيب صرفي لكلمة، أو لغة في لفظة، وهو في

احتجاجه هذا قد يسوق القراءات للانتصار للوجوه النحوية فقط، وقد يجمع في احتجاجه بها بين الانتصار للوجوه النحوية والصرفية على السواء، وفي أثناء هذا الاحتجاج لا يفصل بين النحو والمعنى الذي يريد توضيحه. وهذه بعض الأمثلة على هذا:-

١- قال رحمه الله-:(وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذي هو لله، وأصله النصب الذي هو قراءة بعضهم[١]،بإضمار فعله،على أنه من المصادر التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الأخبار كقولهم:شكراً وكفراً وعجباً ...)[٢].

يلاحظ من هذا النص أن الزمخشري يحتج بالقراءات لينتصر لأراء نحوية وصرفية منها:-

أ- جعل أصل قراءة الرفع، النصب على المصدرية بتقدير فعل محذوف وهذا معنى قوله: بإضمار فعله. .

يوجد الإضمار في لغة العرب، وتتعدد مظاهره متى كان عليه دليل، مثل إضمارهم الأفعال في المصادر المشهورة التي تتكلم بها العرب كشكراً وكفراً وعجباً والتقدير: أشكرك شكراً، وكفر كفراً، وأعجب عجباً، وهكذا، والزمخشري يرى أن العرب تنزل هذه المصادر منزله أفعالها، ويسدون بها مسدها؛ ولذلك لا يستعملونها معها.

ب- الجانب الصرفي:-

كلمة الحمد مصدر من الفعل حَمَدَ، قال الكرماني: (فكثيراً ما يتصرف بالكلمة، فيشتق منها الفعل الماضي والمضارع، واسم الفاعل، أو غير ذلك .... وقد رويت عن الحسن أيضاً تجعله مصدراً لحمدت أحمد حمداً فأنا حامد)[٣]

ج- قراءة الرفع من نحو قوله تعالى: (الْحَمْدُ لله) بالرفع، احتج الزمخشري بها وعلل سبب اختياره لها؛ لأنها دلت على معنى ثابت، وهو بذلك ربط القاعدة النحوية بالمعنى الدلالي؛ فهو يرى أنها رفعت على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى

---

[١] - قال الفرّاء: (اجتمع القرّاء على رفع الحمد، وأما أهل البدو منهم من يقول (الحمدُ لله) معاني القرآن للفرّاء١:٣.

[٢] - الكشاف للزمخشري ١: ٩.

[٣]- مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، لأبي العلاء الكرماني، ت ٥٦٣هـ دراسة وتحقيق د.عبدالكريم مصطفى مدلج، تقديم محسن عبدالمنعم، دار ابن خزم، ط١٤٢٠٠١م، ص١٠١.

واستقراره[1]، وبهذا القول يؤيد رأي سيبويه في قول القائل: (رأيتُ زيداً لَهُ عِلْمُ الفُقَهَاءِ...)[2]، فالرفع يدل على ثبات الصفة، بينما النصب فيه إشعار بالفعل وفي صيغة الفعل التجدد.

قال أبوحيان (وقراءة الرفع أمكن في المعني، ولهذا أجمع عليها السبعة؛ لأنها تدل علي ثبوت الحمد واستقراره لله تعالي، فيكون قد اخبر بأن الحمد مستقر لله تعالي)[3].

د- قراءة(الحمدُ لله) بضم الدال واللام، وقراءة(الحمدِ لِلّه) بكسر الدال واللام. احتج بهما الزمخشري وهما قراءتان شاذتان في القياس والاستعمال ليستدل علي لغتين من لغات العرب، ومن خلال شرحه بيّن لنا ظاهرة تأثر الحركات ببعض، وهو ما يسميه العلماء اليوم بظاهرة المماثلة، والمماثلة تكون قبلية وبعدية وفي القراءة الثانية اتبعوا الكسر الكسر، والمماثلة متأخرة، لأن الحركة الأولي تأثرت بالثانية. وعبّر الكرماني عنها بالمماثلة (المقبلة والمتأخرة)[4].

٢- ومن احتجاجه بالقراءات في القضايا الصرفية، قال: ﴿وَالسِرَاطُ﴾[5] الجادّة من سرط الشيء إذا ابتلعه؛ لأنه يسترط السابلة إذا سلكوه ... والصراط من قلب السين صاداً لأجل الطاء، كقوله: مصيطر في مسيطر، وقد تشم الصاد صوت الزاي، وقرئ بهن جميعاً وفصاحتهن إخلاص الصاد)[6].

احتج الزمخشرى بالقراءات ليستدل على وجوه صرفية أهمها:-

أ- تقلب السين صاداً لتؤاخي الطاء في الأطباق، وتؤاخي السين في الهمس والصفير، وهذا ما حدث في كلمة مسيطر قلبت السين صاداً لتؤاخي الطاء في

---

[1]- الكشاف ١:٩.

[2]- ينظر المسألة في باب (ما يختار فيه الرفع) قال سيبويه (وذلك قولك : له عِلْمُ عِلْمُ الفقهاء، وله رأيّ راى الأصلاء، وإنما كان الرفع في هذا الوجه؛ لأن هذه خصال تذكرها في الرجل كالحلم، ولم ترد أن تخبر بأنك مررت برجل حال تعلم وتفقه، وكأنه لم يستكمل أن يقال له عالم، الكتاب جـ١ ص٣٦٢.

[3]- البحر المحيط، ٣٤/١.

[4]- مفاتيح الأغاني، ص(٩٤-٩٥).

[5]- سورة الفاتحة :٥.

[6]- الكشاف، ١٥/١.

الإطباق فصارت: مصيطر. قال الإمام قطرب[1]:(إذا كان بعد السين في نفس الكلمة طاء أو قاف أو خاء أو غين فلك أن تقلبها صاداً)[2].

ب- قد تُتَم الصاد صوت الزاي، وذلك لتؤاخي بين السين والطاء بحرف مجهور من مخرج السين وهو الزاي من غير إبطال الأصل، والإشمام: هو مزج لفظ الصاد بالزاي، وهي ظاهرة صوتية بين حرفين، وتسمى أحيانا الحرف الفرعي الذي يخرج من مخرجين، ويتردد بين حرفين[3].

٣- من القراءات التي احتج بها الزمخشري للقضايا النحوية والصرفية، وللدلالة على لغة من لغات العرب قراءة (نِسْتَعِينُ)[4] بكسر النون.

قال:(فإن قلت: لم أطلقت الاستعانة؟ قلت: ليتناول كل متعاون فيه، والأحسن أن تراد الاستعانة به، وبتوفيقه على أداء العبادة،ويكون قوله: "اهْدِنَا" بياناً للمطلوب من المعونة،كأنه قيل:كيف أعينكم؟ فقالوا:اهدنا الصراط المستقيم، وإنما كان أحسن لتلاؤم الكلام،وأخذ بعضه بحجزة بعض. وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون)[5].

من خلال كلام الزمخشري فهمنا عدة أمور أهمها:-

أ-(نستعين بكسر النون)لغة في نَستعين مفتوحة النون. قال ابن الجزرى:(وقرأ يحيى بن وثاب "نستعين" بكسر النون الأولى وهي لغة مشهورة حسنة)، ونستعين من اسِتعْوِن:يستعين والأصل فيها نَسْتِعون قلبت حركة الواو على العين فلمّا انكسر ما قبل الواو صارت ياء والمصدر استعانة.

---

[1]- الإمام قطرب:هو محمد بن المستنير،أخذعن سيبويه وعيسى بن عمر،ت(٢٠٦هـ)،طبقات النحويين ص١٠٦.

[2]- إعراب القرآن للإمام العلامة أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ابن النحاس، المتوفى ٣٣٨هـ وضح حواسبه عبدالمنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ٢٠٠٤، ٢٠/١ .

[3]- قال النحاس (وبعض قيس يقولها بين الصاد والزاي، ولا يجوز أن يجعل زايا إلا أن تكون ساكنة)، المصدر السابق، ٢٠/١ .

[4]- (قرأ يحيى بن وثاب (نستعين بكسر النون الأولى وهي لغة مشهورة حسنة)، النشر لابن الجزري، ٤٣/١.وقال ابو حيان (وفتح نون نستعين قرأ بها الجمهور، وهي لغة الحجاز وهي الفصحى، وقرأ عبيد بن عمير الليثي،وزر بن حبيش، ويحي بن وثاب، والنخعي،والأعمش بكسرها وهي لغة: قيس، وتميم، وأسد،وربيعة، وكذلك حكم المضارعة في هذا الفعل وما أشبه، وقال أبو جعفر الطوسي:هي لغة هذيل، وانقلاب الواو ألفاً في استعان ومستعان وياء في نستعين ومستعين،والحذف في الاستعانة مذكورفي علم التصريف)،البحر المحيط، ٤٢/١.

[5]- الكشاف ١:١٥.

قال النحاس:(وهذه لغة تميم وأسد وقيس وربيعة فُعِل ذلك ليدل على أنه من استِعْون يستعين، والأصل في نستعين: نَسْتَعْوِن قلبت حركة الواو على العين، فلما انكسر ما قبل الواو صارت ياءاً والمصدر استعانة)[1].

أ- قوى الزمخشري تفيسره بالقراءة وربط القاعدة الصرفية بالمعنى اللغوي.

٤- ومن القراءات التي احتج بها الزمخشري في القضايا النحوية قراءة: ﴿غِشاوةً﴾[2] بالكسر والنصب، وغُشاوةُ بالضم والرفع وغَشاوةً بالفتح والنصب وغِشاوةٌ بالكسر والرفع، وغَشاوةٌ بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة، والرفع من العشا)[3]

لو أمعنا النظر في هذا النص الذي يحوي قراءات عدة لوجدناه مسوقاً للاحتجاج النحوي، وكعادته لقد ربط الاحتجاج النحوي بالاحتجاج للغة، والمعنى، فهو يقوّى بالقراءة الوجوه النحوية التي تحتملها القراءة من خلال توجيهها وذلك بتَغيُّر الحركات في بنية الكلمة، ومن خلال تغير سياق الجملة وهى كالأتي:-

أ- قراءة (غِشاوةٌ) بالكسر والرفع: هذه القراءة قراءة عاصم من رواية المفصل، وعلى هذه القراءة تُعرب غشاوةٌ مفعول به لفعل محذوف أو مضمر كما في كلام الزمخشري (فإذا نصبت أضمرت فعلاً) وتقدير الكلام ختم الله على قلوبهم، وجعل على أبصارهم غشاوةً.

وقاعدة الإضمار معروفة، ذائعة في كلام العرب متى كان عليها دليل، قال الفرّاء: (وإنما يحسن الإضمار في الكلام الذي يجتمع ويدل أوله على آخره)[4].

قال الزمخشري: فإن قلت اللفظ يحتمل أن تكون الأسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى أيهما يعوّل؟ قلت على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى: (ختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقوفهم على سمعهم دون قلوبهم، فإن قلت: أيُّ فائدة في تكرير الجار في قوله: "وَعَلَى سَمْعِهِم"؟ قلت لو لم يكرّر لكان

---

[1]- إعراب القرآن للنحاس، ٢٠/١ .

[2]- سورة البقرة: ٧، (وقرأ الجمهور: غشاوة بكسر الغين ورفع التاء، وقرأ بعضهم غشوة بالكسر والرفع وبعضهم غشوة وهي قراءة أبي حيوة والأعمش قرأ بالفتح والرفع والنصب. وقال الثوري: كان أصحاب عبدالله يقرأها غشية بفتح الغين والياء والرفع وقال يعقوب: غشوه بالضم لغة، ولم يؤثرها عن أحد من القراءة ...، وقرأ بعضهم : غشاوة بالعين المهملة المكسورة والرفع من العشي، وهو شبه العمى في العين)، البحر المحيط ٨٢/١ .

[3]- الكشاف ١:٥٣ .

[4]- معاني القرآن للفرّاء، ١٣/١.

انتظاماً للقلوب والأسماع في تعدية واحدة، وحين استجدّ للأسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم في الموضعين، ووحد السمع كما وحد البطن في قوله: كلوا في بعض بطنكم تعفوا، يفعلون ذلك إذا أمن اللبس)[1]، بيّن الحكم النحوي وربطه بالمعاني المختلفة، فالنحو عنده ليس قاعدة يقاس عليها وحسب، بل هو وليد المعنى البليغ.

ويلاحظ أيضاً أن الزمخشري يربط كثيراً بين القاعدة النحوية والمعاني البلاغية؛ فعندما يتكلم عن الختم في قوله تعالى:(ختم الله على قلوبهم)، يقول:(فإن قلت ما معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار؟ قلت: لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة،وإنما هو من باب المجاز، ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه، وهما الاستعارة والتمثيل)[2].

ب- وأمّا احتجاجه بالقراءة المشهورة من نحو (وعلى أبصارهم غشوة) بالكسر والضم، فتجعله مبتدأ، أو على أبصارهم، شبه جمله خبره، اعتبر الزمخشري هذه الجملة ابتدائية، وعلى هذا فالكلام شمل إسنادين: إسناد الجملة الفعلية وهي جملة (ختم الله على قلوبهم) وإسناد الجملة الاسمية الابتدائية (وعلى أبصارهم غشوةٌ).

وبذلك يكون المعنى كما يفهم من كلامه آكد، لأن الجملة الفعلية تدل على التجدد والحدوث والاسمية تدل على الثبوت وقدم الفعلية لأن المعنى فيها أن ذلك وقع وفرغ منه.

وبهذا الكلام يكون قد ربط بين القاعدة النحوية والمعنى البلاغي.

ج- وفي إشارة الزمخشري إلى تغيُّر الحركات واختلافها في بنية كلمة (غشاوة) من نحو قوله: بالكسر والنصب، والفتح والنصب والفتح والضم وهكذا هو في الواقع إشارة إلى جواز تغير بنية الكلمة وأوزانها.

وبذلك يكون احتجاجه لبعض الوجوه الصرفية إلى جانب الاحتجاج للوجوه النحوية والانتصار للمعنى البلاغي.

د- قراءة (غِشَاوةٌ) بالعين المهملة المكسورة العين والرفع من العشى وهو شبه العمى أو ضعف البصر.

---

[1] - الكشاف، ٥٢/١ .
[2] - الكشاف، ٤٨/١.

والاحتجاج بهذه القراءة هو احتجاج للمعنى المتولد من اللغة (فعشاوة) لغة في غشاوة التي تعني الغطاء.

٥- قد يحتج الزمخشري بالقراءة ليستدل على أصل الكلمة وجذرها قال في قوله تعالى:﴿وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [١].

فإن قلت: لم زعمت أنه من المدد دون المد؟، قراءة ابن كثير وابن محيصن: (ويمدّهم) وقراءة نافع: (وَإِخْوَانُهُمْ يَمِدُّونَهُمْ) على أن الذي بمعنى أمهله إنما هو مدّله مع اللام كأملي له.

فإن قلت: فكيف جاز أن يوليهم الله مدداً في الطغيان وهو فعل الشياطين؟ ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يَمِدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾[٢].

يلاحظ من كلام الزمخشري أنه انتصر للمعنى واللفظ بقراءة ابن محيصن وقراءة نافع، وقوّى بهما معنى كلمة المد، وإنها من الجذر مدد، ومن المصدر المد، (والمدُّ: التطويل، مدّ الشيء طوله وبسطه، وأصل المدّ: الزيادة وكل شيء دخل في شيء فكثّره فقد مدّه)[٣].

قال أبو حيان: (وقال بعض أهل العلم: مد زاد من الجنس وأمدّ: زاد من غير الجنس – وقال يونس: مدّ في الخير وأمدّ في الشر)[٤]. وإذا رجعنا إلى معنى صيغتي فعل وأفعل لوجدناهما متساويتين في المعنى، فمد وأمد بمعنى واحد، وعلى ذلك فالقراءتان صحيحتان من الناحية اللغوية.

٦- ومن احتجاجه بالقراءات في القضايا النحوية:-

قال: (وقرأ أبو الشعثاء ﴿لاَرَيبُ فِيهِ﴾[٥]بالرفع، والفرق بينهما وبين المشهورة أن المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوّزه)[٦].

ما يلاحظ من هذا الكلام أنه يحتج بالقراءتين ليستدل على رأي نحوي مفاده: أن قراءة النصب المشهورة (لا)فيها تفيد الجنس وأنها توجب الاستغراق، وأما (لا) التي

---

[١]- سورة البقرة :١٥ .
[٢]- الكشاف، ٦٨/١ .
[٣]- انظر القاموس المحيط ولسان العرب، مادة (مدّ).
[٤]- البحر المحيط، ١٠٣/١ .
[٥]- سورة البقرة :٢(وهذه قراءة أبي الشعثاء وكذلك قراءة زيد بن على حيث وقع ، والمراد أيضا هنا الاستغراق) البحر المحيط ٦٢/١ .
[٦]- الكشاف ٦٨/١ .

في القراءة الثانية(لاريبٌ)بالضم تجيز الاستغراق، يفهم من كلام الزمخشري أن القراءة الأخيرة(لاريبٌ)بالرفع ضعيفة لأنك تحمل لا ريب على أنها تعمل عمل ليس، وهذا الوجه ضعيف لقلة إعمال(لا)عمل ليس.وأما مجمل الآراء النحوية التي تفهم من القراءتين لم يُفصّلها الزمخشري، واكتفى بالإشارة إليها، وقد تكلم العلماء عنها قبله وهي كالأتي :-

أ- قال الفرّاء – رحمه الله- (كأنك قلت: ذلك هدى لاشك فيه وإن جعلت "لاَرَيْبَ فيه" خبره رفعت أيضا هدى تجعله تابعا لموضع "لاَرَيْبَ فيه"؛ كما قال الله عز وجل: ﴿وَهَذَا كِتَبٌ أَنزَلْنَهُ مُبَارَكٌ﴾[1]، وفيه وجه ثالث من الرفع: إن شئت رفعته على الاستئناف لتمام ما قبله)[2].

ب- قال النحاس -رحمه الله-:(ثم قال الله عز وجل ﴿لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ نصب ريب، لأن "لا" عند البصريين مضارعة لأنَّ؛ فنصبوا بها وأنَّ "لا" لم تعمل إلاَّ في نكرة؛ لأنها جواب نكرة فيها معنى "من" بُنِيتْ مع النكرة فُصيّرا شيئاً واحداً.

وقال الكسائي:سبيل النكرة أن يتقدمها أخبارها فتقول: قام رجلٌ فلمّا تأخر الخبر في التبرئة[3] نصبوا ولم ينونوا؛ لأنه نصبٌ ناقص)[4].

يقول النحاس أيضاً: (ويجوز "لاريب فيه" تجعل "لا" بمعنى ليس مثل: فأنا ابن قيسُ لا براح أي ليس براحٌ)[5].

٧- من احتجاج الزمخشري بالقراءات في القضايا الصرفية قوله:-

وقرئ:(أَأَنذَرْتَهُمْ)[6]بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعربُ وأكثر، وبتخفيف الثانية بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين، وبتوسيطها والثانية بين بين، وبحذف حرف

---

[1]- سورة الأنعام : ١٥٥ .

[2]- معاني القران للفرّاء، ١١/١.

[3]- التبرئة هي النفس للجنس.

[4]- إعراب القران للنحاس، ٢٤/١.

[5]- المصدر نفسه، ٢٥/١. وهذا عجز بيت لسعد بن مالك، وشطره: من صد عن نيرانها :. فأنا ابن قيس لا براح.
والبيت في الأشباه والنظائر ٨: ١٠٩. وخزانة الأدب ١: ٤٦٧. وشرح أبيات سيبويه: ٨١٢. والمقتضب ٤: ٣٦٠.

[6]- (لغة تميم تخفيف الهمزتين في نحو أأنذرتم، وبه قرأ الكوفيون، وابن ذكوان، وهو الأصل وأهل الحجاز لا يرون الجمع بينهما طلباً للتخفيف، فقرأ الحرميان، وأبو عمرو، وهشام: بتخفيف الأولي وتسهيل الثانية، إلا أن أبا عمرو وقالون، وإسماعيل بن جعفر، عن نافع وهشام، يدخلون بينهما ألفاً، وابن كثير لا يدخل وروى تحقيقاً عن هشام، وإدخال ألف بينهما وهي قراءة ابن عباس، وابن أبي اسحاق وروى عن ورش، وكابن كثير وكقالون وإبدال الهمزة الثانية ألفاً).

الاستفهام،وبحذف حرف الاستفهام، وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ:(قَدَ أَفْلَحَ)[1].

احتج الزمخشري بعدة قراءات من أهمها:-

أ- قراءة تحقيق الهمزتين، وهي قراءة عاصم وحمزة والكسائي وهذه القراءة يرى الزمخشري أنها جاءت على أصل الفعل:(أأنذرتهم)بهمزتين الأولى للاستفهام، والثانية همزة القطع،وعالمنا يرى أنها صحيحة إلا إنه يفضل عليها قراءة التخفيف أي تخفيف الهمزة وهذا معنى قوله:(والتخفيف أعرب وأكثر)أي أفصح وشائع في كلام العرب.

ب-قراءة تخفيف الهمزة-كما أشار الزمخشري-وحالات التخفيف كما ذكرها هي:

١- تخفيف الثانية بين، وهي ما يسميه علماء القراءات همزة التسهيل أي تسهيل النطق، وهذه الهمزة عدّها سيبويه في الحروف المستحسنة،قال سيبويه:(وتكون خمسة وثلاثين حرفاً بحروفٍ هن فروعٌ وأصلها من التسعة والعشرين،وهي كثيرة يؤخذ بها، وتُستحسن في قراءة القرآن والأشعار،وهي:النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم والصاد التي تكون كالزاي،وألف التفخيم،يعنى بلغة أهل الحجاز في قولهم:الصلاة والزكاة والحياة)[2].

والملاحظ أن همزة بين بين التي تكلم عنها العلماء هي ظاهرة صوتية والهدف منها تسهيل النطق على قارئ القرآن الكريم؛ ولذلك فضّلها الزمخشري على قراءة التخفيف.

٢- توسط ألف بين الهمزتين محققتين،وتوسيط ألف والثانية بين بين،وإبدال الهمزة الثانية ألفاً فيلتقي ساكنان على غير حدهما عند البصريين،وقد أنكر الزمخشري هذه القراءة، وزعم أن ذلك لحن وخروج عن كلام العرب من وجهين هما:-

أ)-الجمع بين ساكنين على غير حدّه - وحدّه أن يكون الأول حرف لين والثاني حرفاً مدغماً نحو قوله: الضالين، وخويصة.

ب)- أخطاء طريق التخفيف؛ لأن طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها أن تخرج بين بين؛ فأما القلب ألفاً فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة

البحر المحيط، ٧٩/١.

[1]- الكشاف، ٤٨/١.

[2]- الكتاب لسيبويه، ٤٣٢/٤.

رأس، والزمخشري بهذا القول يميل إلى رأي البصريين، أمّا الكوفيون فيجيزون الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازه البصريون ويقول الإمام أبو حيان في ذلك -رادّاً على الزمخشري-:

(وقراءة ورش صحيحة النقل، لا تدفع باختيار المذاهب ولكن عادة هذا الرجل إساءة الأدب على أهل الأداء ونقلة القرآن)[1].

٣- حذف حرف الاستفهام، وإلقاء حركته على الساكن قبله[2]، وهذا الوجه الأخير فيه ظاهرة صرفية تسمى الإعلال بالنقل، أي نقل حركة الهمزة المتحركة إلى الساكن قبلها، ولقد انتصر الزمخشري لهذه القراءة بقراءة أخرى من موضع آخر من كتاب الله العزيز قال (وبحذف حرف الاستفهام، وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ: ﴿قَدَ أَفْلَحَ﴾ [3])[4].

أجاز الزمخشري القراءة بحذف حرف الاستفهام وهو الهمزة الأولى لدلالة المعني عليها، ولأجل ثبوت ما عاد لها وهو (أم).

أما القراءة الثانية التي أشار إليها بحذف حرف الاستفهام وإلقاء حركته على الساكن قبله فعلل لها بسبب التخفيف فالهمزة المتحركة أثقل من الساكنة، فإذا طرحت الساكنة طلباً للتخفيف كانت المتحركة بالطرح أولي[5].وهذه القراءات التي ذكرها الزمخشري بوجوهها المختلفة صحيحة على الرغم من ترجيحه لبعضها، ولا نقول إلاّ كما قال الإمام ابن خالوية -رحمه الله-:(وكل ذلك من فصيح كلام العرب)[6].

٨- قد يعترض الزمخشري على وجه القراءة؛ لأنها تخالف القياس الصرفي قال رحمه الله: (وعن عاصم أنه قرأ:﴿الَّذِي أَتْمن﴾[7]بإدغام الياء في التاء قياساً على اتّسر في

---

[1]- البحر المحيط لأبي حيان، ٧٩/١.

[2]- (وقرأ أبي أيضاً بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى الميم الساكنة قبلها والمفعول الثاني لأنذر محذوف لدلالة المعني عليه)، المصدر نفسه، ص٧٩.

[3]- سورة المؤمنون : ١.

[4]- الكشاف ٤٨:١.

[5]- انظر المسألة في كتاب الحجة لأبي على الفارسي من ص(٢٠٥ ــ ٢٠٨) من الجزء الأول وكذا في الحجة في القراءات السبع لابن خالوية، ص٢٢.

قال ابن خالوية: (نقلت حركة الهمزة المتحركة إلى الساكن قبلها، والحجة في ذلك أن الهمزة المتحركة أثقل من الساكنة، فإذا طرحت الساكنة طلباً للتخفيف كانت المتحركة بالطرح أولى).

[6]- الحجة في القراءات السبع لابن خالوية، ص٢٢.

[7]- سورة البقرة: ٢٨٣، قال أبو حيان (وقرأ عاصم في شاذه: اللذتمن بإدغام التاء المبدلة من الهمزة قياساً على اتسر في الافتعال من اليسر)، البحر المحيط ٧٤٥/٢.

الاقتعال من اليسر، وليس بصحيح؛ لأن الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة و"اتزر"عاميٌ وكذلك ريا في رؤيا)[1].

يلاحظ من كلام الزمخشري أنه اعترض على وجه الإدغام الذي أشارت إليه القراءة، ويرى أنه إدغام غير صحيح فإدغام الياء في التاء قياساً على ائتسر مردود عنده، فهو يرى أن الياء في الأصل منقلبة عن همزة فأصل الكلمة ايتمن والياء أصلها همزة أي إ أتمن فكرهوا الجمع بين همزتين، فلمّا خففت الهمزة التقى ساكنان الياء التي في الذي والهمزة المخففة فحذفت الهمزة. ولقد ردّ أبو حيان على الزمخشري قائلا:(وما ذكر الزمخشري فيه أنه ليس بصحيح وأن اتزرعامي يعنى: أنه من إحداث العامّة،لا أصل له في اللغة، وقد ذكر غيره،أن بعضهم أبدل وأدغم، فقال أتمن واتزر، وذكر أن ذلك لغة رديئة وأما قوله:وكذلك ريّافي رؤيا، فهذا التشبيه إما أن يعود إلى قوله: واتزر عامي، فيكون إدغام رياّ عاميّاً، وإمّا أن يعود إلى قوله: فليس بصحيح، أي وكذلك إدغام:ريا، ليس بصحيح وقد حكى الإدغام في ريا الكسائي)[2].

٩- من القراءات التي احتج بها على صحة بعض الوجوه النحوية، قال:(قرئ[3]: ﴿يدرككم الموت﴾[4] بالرفع، وقيل هو على حذف الفاء، كأنه قيل: فيدرككم الموت وُشبه بقول القائل: * من يفعل الحسنات الله يشكرها [5]*

ويجوز أن يقال: حمل على ما يقع موقع "أينما تكُونُواْ"، وهو أينما كنتم، كما حمل "ولا ناعب" على ما يقع من موقع "ليسوا مصلحين[6]" وهو ليسوا بمصلحين، فرفع كما رفع زهير: *يقول: لا غائب مالى ولا حرم.

---

[1]- الكشاف، ٣٢٩/١.

[2]- البحر المحيط ٧٤٥/٢.

[3]- (وقرأ طلحة بن سليمان: يدرككم برفع الكافيين، وخرجه أبو الفتح: على حذف فاء الجواب أي فيدرككم الموت، وهي قراءة ضعيفة)، البحر المحيط ٧١٦/٣.

[4]- سورة النساء :٧٨.

[5] - هذا البيت ينسب إلى حسان بن ثابت، ومنهم من ينسبه إلى عبد الرحمن بن حسان، وكعب بن مالك. وعجزه: والشر بالشر عند الله مثلان. وهو في الكتاب ٦٥/٣، والمقتضب ٧٢/٢، والخصائص ٢٨١/٢، والشاهد فيه حذف فاء الجواب للضرورة، والتقدير: فالله يشكرها.

[6]- تتمة البيت:- مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة .·. ولا ناعب إلا ببين غرابها
هو الجوّاد الذي يعطيك نائله .·. عفواً ويظلم أحياناً فينظلم
وإن أتاه خليل يوم مسغبه .·. يقول لا غائب مالي ولا حرم
قيل هذه الأبيات للأخوص الرياحي اليربوعي، يهجو بنى دارم، وينسب البيت للفرزدق، وهو في الكتاب ١٦٥/١، والخزانة ١٥٨/٤ و٢٩٥/٨، ومغنى اللبيب ٤٢٣/٢، والإنصاف ٣٩٥/١، والخصائص ٢٥٤/٢. والشاهد فيه جر

وهو قول نحوي سيبويهي، ويجوز أن يتصل بقوله: "ولا تظلمون فتيلاً" أي ولا تنقصون شيئاً مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم حروب أو غيرها، ثمّ ابتدأ قوله "يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة" والوقف على هذا الوجه على أينما تكونوا)[1].

والزمخشري من خلال هذا النص –احتج بالقراءة لعدة وجوه نحويّة منها:–

أ- ذهب الزمخشري إلى أنه يجوز رفع المضارع وجزمه إذا وقع جواباً للشرط الماضي كما في بيت زهير:

وإن أتاه خليلٌ يومَ مسغبةٍ ∴ يقولُ لا غائبٌ مَالي ولا حرمُ

ب- ويجوّز الزمخشري أن يكون(يُدْرِكُكُمْ)مرفوعاً على الاستئناف والوقف على (أَيْنماَ تكُونُواْ).

ج- ويجوّز الزمخشري أيضا أن يكون(يُدْرِكُكُم)المرفوع متصلاً بقوله:﴿وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[2]أي:لا تنقصون شيئاً مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم حروب أو غيرها، ثم ابتدأ بقوله: يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة.

يرى أبو حيان الأندلسي والشيخ أحمد بن المنير أن هذا التخريج لا يستقيم من حيث المعنى ومن حيث الصناعة النحوية،أما أبو حيان فيقول:(وهذا التخريج ليس بمستقيم،لا من حيث المعنى، ولا من حيث الصناعة النحوية، أما من حيث المعنى فإنه لا يناسب أن يكون متصلا بقوله:ولا تظلمون فتيلا؛لأن ظاهر انتفاء الظلم إنما هو في الآخرة لقوله:﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ والآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى﴾[3]،وأما من حيث الصناعة النحوية فإنه على ظاهر كلامه يدل على أنَّ أينما تكونوا متعلق بقوله:ولا تظلمون،ما فسره من قوله أي:لا تنقصون شيئاً مما كتب من آجالكم أينما تكونوا في ملاحم الحرب أوغيرها وهذا لا يجوز؛ لأن أينما اسم شرط،فالعامل فيه إنما هو فعل الشرط بعده،لأن اسم الشرط لا يتقدم عليه عامله،فلا يمكن أن يعمل فيه،وأمّا على تقديره حذف جواب الشرط فيرى أبو حيان أن جواب الشرط لا يحذف إلاّ إذا كان

ناعب بالعطف على التوهم، ويروى بنصب (ناعب) بالعطف على (مصلحين) بلا توهم دخول الباء عليهم. وأما البيت الذي يليه يقول: يقول لا غائب مالي ولا حرم ، والشاهد فيه مجيء الفعل المضارع يقول مرفوعًا بعد أداة الشرط.

[1] ـ الكشاف، ٥٣٧/١-٥٣٨.

[2] ـ سورة النساء: ٧٧.

[3] ـ سورة النساء: ٧٧.

فعل الشرط بصيغة الماضي،وفعل الشرط هنا مضارع تقول العرب:أنت ظالم إن فعلت، ولا تقل أنت ظالم إن تفعل)[1].

أما ابن المنير فيقول:(وأمّا تقدير "أينما تكونوا"في معنى كلام آخر يرتفع معه قوله:"يدرككم"، فذلك تقدير لم يعمل له نظير،ولم يغلب هذا المقدر فيلتحق بغلبة دخول الباء في الخبر...)[2].

يحتج الزمخشرى بهذه القراءة لنفس الوجه النحوي السابق وهو جواز جزم جواب الشرط ورفعه إذا وقع جواباً لفعل الشرط الماضي.

يقول معلقاً على قوله تعالى:(﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾[3]، وفى قراءة الحسن "نُوفِي" بالتخفيف وإثبات الياء؛ لأن الشرط وقع ماضياً كقوله يقولُ: لا غائب مالى ولا حرم *)[4].

يفهم من كلام الزمخشرى(لأن الشرط وقع ماضياً)أنه يجوّز رفع وجزم جواب الشرط المضارع إذا وقع الشرط فعلاً ماضياً،(وذهب صاحبنا يُفصّل إحكام الباب، فقرر فيما قرر أن المضارع يجوز رفعه وجزمه إذا وقع جواباً للشرط الماضى ... بيد أنه خالف ذلك فمنه رفع الجواب مع معنى الشرط فقال فى قوله تعالى: ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً﴾[5]:لا يصح أن تكون "ما" شرطية لارتفاع "تودُ" وأغلب الظن كما نص صاحب المعنى– أنه منع منه هاهنا لمّا رآه مرجوحاً؛ فلم يستقم لديه أن يُخَرج على المرجوح قراءة متفقاً عليها إذ لا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهه)[6].

وكلام الزمخشرى الذي استدل به في المثال كاملاً هو("وَمَاعَمِلَتْ"على الابتداء و"تودُّ" خبره أي: والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها وبينه، ولا يصح أن تكون ما شرطية لارتفاع تودُّ، فإن قلت: فهل يصح أن تكون شرطية على قراءة

---

[1]- البحر المحيط٣/٧١٧.

[2]- الانتصاف من الكشاف لأحمد بن المنير، وهو على حاشية الكشاف،١/٥٣٧ .

[3]- سورة هود : ١٥ .

[4]- الكشاف،٢/٣٨٤.

[5]- سورة آل عمران : ٣٠ .

[6]- ينظر كتابه نحو الزمخشري بين النظرية والتطبيق لزكريا شحاته محمد الفقي، ط ١٩٨٦م، ص١٢٦–١٢٧، ونقل عن صاحب المعني، ٢:٥٥٣ ومن الكشاف ٣ ، ٤٧٢ وبين لنا شحاته أن الزمخشري ثارة يقول أن المضارع يجوز رفعه وجزمه إذا وقع جواباً للشرط الماضي وثارة يتراجع ويمنع ذلك بحجة انه لا يجوز حمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحد الكلام ولا وجهة.

عبدالله ودّت؟ قلت:لا كلام في صحته،ولكن الحمل على الابتداء والخبر أوقع في المعنى؛ لأنه حكاية الكائن في ذلك اليوم وأثبت لموافقة قراءة العامة. ويجوز أن يعطف "وما عملت" على "ما عملت من خير" ويكون "تودّ" حالاً)[1].

١١- من القراءات التي أحتج بها الزمخشرى، وقوّى بها الوجه النحوي قوله: (وقرئ[2]: "ابْنَ أُمّ" بالفتح تشبيهاً بخمسة عشر، وبالكسر على طرح ياء الإضافة، وابن أمي بالياء، وابن إم بكسر الهمزة والميم وقيل: كان أخاه لأبيه، فإن صح فإنما أضافه إلى الأم إشارة إلى أنهما من بطن واحد، وذلك أدعى إلى العطف والرقة)[3].

احتج الزمخشرى في هذا النص بأربع قراءات هي:-

أ- قراءة (ابن أمّ) بالفتح:-

يرى الزمخشرى أن هذه القراءة صحيحة،وأخضعها للقياس النحوي؛ فقاسها على (خمسة عشر)في البناء على فتح الجزأين وهو بذلك يؤيد النحاة الذين عاملوا الاسمين معاملة الاسم الواحد.

ب- قراءة (ابن أم) بالكسر وبحذف الياء:-

ذكر الزمخشرى هذه القراءة وقوّى بها تفسيره اللغوي، ولم يذكر سبب حذف الياء من(أمّ)، فلماذا حذفت الياء؟ والقياس يقتضى بقاءها فتقول مثلاً:(يا أبن أمي).

يرجع سبب الحذف – كما أشار إليه كثير من العلماء- إلى كثرةُ الاستعمال، فلمّا كَثُرَ هذا الاستعمال اللغوي في كلام العرب حذفوا منه الياء فحذفوا الياء في ابن أم وابن عمّ.

يقول الفرّاء-رحمه الله-:(وقوله تبارك وتعالى:"ابن أمّ،أمّ" بالنصب والخفض، وذلك أنه كثر في الكلام؛ فحذفت العرب منه الياء،ولا يكادون يحذفون الياء إلاّ من

---

[1]- الكشاف، ٣٥٢/١.

[2]- سورة الأعراف: ١٥٠، (واختلفوا في (ابن أم) هنا وفي (طه) فقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف وابوبكر بكسر الميم في المؤمنين، وقرأ الباقون بفتحها)، النشر لابن الجزري، ٢٠٤/٢، وينظر اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربع عشر، ص٢٩٠ وزاد بقوله: (والباقون بفتحها فيها لتركيبها تركيب خمسة عشر بالشبه اللفظي عندهم فعلى هذا ليس ابن مضافاً لأم، بل مركب معها، ومذهب الكوفيون أن ابن مضاف لأم وأم مضافة للياء قلبت الياء ألفاً تخفيفا فانفتحت الميم كقوله: (يا بنت عما لا تلومي واهجمي ثم حذفوا الألف وبقيت الفتحة دالة عليها، ويوقف عليه حمزة بالتخفيف والتسهيل كالواو).

[3]- الكشاف، ٢/ ١٦١.

الاسم المنادي يضيفه المنادى إلى نفسه، وإلاّ قولهم: يابن عمَّ ويابن أمَّ، وذلك أنه يكثر استعمالهما في كلامهم؛ فإذا جاء مالا يستعمل أثبتوا الياء؛ ولذلك قالوا: يا ابن أمَّ ويا ابن عَمَّ فنصبوا كما تنصب المفرد في بعض الحالات فيقال:حسرتا ويا ويلتا فكأنهم قالوا: يا أمّاه ويا عمّاه، ولم يقولوا ذلك في أخ، ولو قيل كان صواباً، وكان هارون أخاه لأبيه وأمه، وإنما قال له "يا بن أمّ" ليستعطفه عليه)[1].

ما ذهب إليه الفرّاء من نحو قوله: فكأنهم قالوا:يا أمّاه ويا عماه على تقدير: بابن أماه ويا ابن عماه،معترض عليه من قبل النحاة البصريين[2]؛لأنهم يرون أن الألف خفيفة لا تحذف،ولكن جُعل الاسمان اسماً واحداً فصار كقولهم:خمسة عشر أقبلوا.

ج- قراءة (ابن – أمي) بالياء:-

قَبِل الزمخشري هذه القراءة وارتضاها وجوّزها على الرغم من مخالفة القياس النحوي؛ إذ القياس يقتضى حذف الياء من المنادى ويعوض منها كسرة، ولا يجوز حذفها من المضاف إليه؛ ولذلك قال ابن خالويه(والاختيار كسر الميم–وإن تبثت الياء–لأن الياء إنما تسقط من المنادى نحو يا قوم ويا عبادِ ويارَبِّ لامن المضاف إليه، فالصواب يا ابن أخي، ويا بن أمِي)[3]. يقول الشاعر:

يا ابن أمي ويا شُقَيّقَ نفسي ∴ أنت خليتني لدهرٍ شَدِيدِ[4].

د- قراءة: (يَا ابْن إمّ) بكسر الهمزة والميم:-

أشار الزمخشري إلى هذه القراءة من خلال شرحه للآية الكريمة ولم يتطرق لتبين وجهها، ولكن فُهِم من كلامه أنه يدلل بها على صحة وجه لغوي جائز.

١٢- يحتج الزمخشرى بالقراءة؛ فيقوى بها وجه نحوي، ويضعف وجه قراءة سبعية مشهورة، ويصفُ وجهما بالسماجة.

يقول الزمخشري في قوله تعالى:(﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾[1]وَقُرِئَ[2]: زَيَّنَ،على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم،ونصب "قَتْلَ

---

[1]- معاني القران للفرّاء،١/٣٩٤.

[2]- انظر إعراب القرآن للنحاس، ٢/٧٣. وينظر البحر المحيط ١٨٢/٥ – ١٨٣.

[3]- إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالوية، ١/٢٠٩.

[4]- ينظر الشاهد في الكتاب لسيبويه،٢: ٢١٣. والمقتضب،٤/ ٢٥٠. وشرح المفصل لابن يعيش، ١٢/٢، وإعراب القراءات لابن خالوية، ١/ ٢٠٩. والبحر المحيط، ١٨٢/٥، والبيت لأبي زبيد الطائي يرثي اللجلاج ابن أخيه وهو في ديوانه: ٤٨ شعراء أمويون جمع وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيس ط١٩٦٧ م .

أَوْلاَدِهِمْ"وزين، على البناء للمفعول الذي هو القتل، ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين،كأنه قيل: لما قيل زين لهم قتل أولادهم من زينه؟ فقيل:زينه لهم شركائهم.

أمّا قراءة ابن عامر:قتل أولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الأولاد وجرّ الشركاء على إضافة القتل إلى الشركاء، والفصل بينها بغير الظرف، فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً كما سمح وردّ * زَجَّ القلوص أَبِي مزاده* فكيف به فى الكلام المنثور، فكيف به فى القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته، والذي حمله على ذلك أن رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوباً بالياء، ولو قرأ بجر الأولاد والشركاء لأن الأولاد شركاؤهم في أموالهم . لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب)[٣].

إن الذي يظهر من خلال هذا الكلام أنه يحتج بالقراءات لينتصر لبعض الوجوه النحوية، ومن خلال احتجاجه هذا يعترض على وجه قراءة ابن عامر وأرائه –كما فهمناها كالآتي:–

أ– قراءة(زيّنَ)على البناء للفاعل،الذي هو شركاؤهم ونصب(قتل)ساق الزمخشري هذه القراءة ليدلنا على صحة وجه نحوى، فالفعل زيّن فعل ماضي مبني للمعلوم، وفاعله(شركاؤهم)،ومفعولة قتل، وعلّق الإمام الفرّاء –رحمه الله– على هذه القراءة قبل الزمخشري فقال:(فإن كانوا يقرءون"زين" فلست أعرف جهتها،إلاّ أن يكونوا فيها آخذين بلغة قوم يقولون: أتيتها عِشاياثمّ يقولون: تثنية "الحمراء:حمرايان" فهذا وجه أن يكونوا قالوا:"زَيَّنَ لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائِهُمْ" وإن شئت جعلت "زَيَّنَ"إذا فتحته فعلاً لإبليس،ثمّ تخفض الشركاء بإتباع الأولاد،وليس قول من قال:إنما أرادوا مثل قول الشاعر:فزججتها متمكناً:زجّ القلوص أبي مزاده[٤]، بشيء وهذا مما كان يقوله نحويوا أهل الحجاز، ولم نجد مثله في العربية)[١].

---

[١]- سورة الأنعام : ١٣٧.

[٢]- واختلفوا في (زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) فقرأ ابن عامر بضم الزاي وكسر الياء من زين) ورفع لام (قتل) ونصب دال (أولادهم) وخفض همزة شركاؤهم بإضافة (قتل) إليه وهو فاعل في المعني، وقد فصل بين المضاف وهو (قتل) وبين (شركاؤهم) وهو المضاف إليه بالمفعول وهو (أولادهم)، النشر لابن الجزري، ١٩٨/٢ .

[٣]- الكشاف، ٧٠/٢.

[٤]- البيت مجهول القائل، وقيل إنه لبعض من لا يحتج بشعره، وهو في الخصائص ٤٠٦/٢، والانصاف ٤٤٧/٢، وشرح المفصل ١٩/٣، والخزانة ٤١٥/٤.

يتضح من خلال هذا الكلام أن الفرّاء قد سبق الزمخشري في نقده لقراءة ابن عامر وردّه لها وتضعيفه لوجهها، فكان ينبغي الرد على الإمام الفرّاء، لأنه هو الذي فتح باب التضعيف على هذه القراءة.

يعلق أبو جعفر النحاس على هذه القراءات؛ فيقول:(فهذه أربع قراءات الأولى أبينها وأصحها تنصب "قتلاً" يزين وخفض "أولادهم" بالإضافة)[٢].

ب- قراءة (زُيِّن)على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم بإضمار فعل دل عليه زين، وهذا الوجه يرتضيه الزمخشري ويقوّي به المعنى،قال:وكأنه قيل: لمّا قيل زين لهم قتل أولادهم مَنْ زينه؟ فقيل: زينه لهم شركاؤهم. إذن الزمخشري يقبل هذه القراءة ويوجهها بتقدير فعل محذوف دلّ عليه سياق المعنى.

ج- قراءة ابن عامر(كَذَلِكَ زُيِّن لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِين قَتْلُ أَوْلادَهُمْ شُرَكَائِهم)برفع (قتل)ونصب (أولادَهم) وجر(شركائهم).

وقف الزمخشري من هذه القراءة موقف الناقد اللاذع، ووصفها بالضعف والسماجة؛ يقول في ذلك: (والفصل بينهما- يقصد المضاف والمضاف إليه- بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجاً مردوداً...)[٣].

وفي اعتقادي أن هذا التضعيف لا يجوز، وهو مردود على الزمخشري ويبدو من خلال إطلاعنا على الدراسات السابقة على الزمخشري أن العلماء قبله تعرضوا لهذه القراءة بالنقد، وأخضعوها للقياس، ووصفوها بالقبح والضعف وقلة الاستعمال؛ فالفرّاء يقول:(وهذا مما كان يقوله نحويو أهل الحجاز، ولم نجد مثله في العربية)[٤].

جعل النحاس هذه القراءة لحناً،ووصفها الفارسي بالقبح وقلة الاستعمال يقول:(وهذا قبيح قليل في الاستعمال، ولو عُدِل عنها إلى غيرها كان أولى،ألاَ ترى أنه لم يفصل بين المضاف والمضاف إليه بالظرف في الكلام، وحال السعه مع اتساعهم في الظروف)[٥].

والشاهد في هذا البيت الفصل بين المضاف -وهو زجّ والمضاف إليه- (وهو أبي مزاده) بالمفعول وهو (القلوص).

[١]- معاني القران للفراء، ٣٥٨/١.

[٢]- إعراب القران للنحاس، ٣٣/٢.

[٣]- الكشاف، ٧٠/٢.

[٤]- معاني القرآن للفرّاء، ٣٥٨/١.

[٥]- الحجة في علل القراءات السبع لأبي على الفارسي، ٢٣٥/٣.

كرر ابن خالوية النقد نفسه، فجعلها قبحاً في القرآن وجائزة في الشعر قال: (والحجة لمن قرأ بضم الزاي: أنه دلّ بذلك على بناء الفعل لما لم يسمّ فاعله، ورفع به القتل وأضافه إلى شركائهم فخفضهم ونصب أولادهم بوقوع القتل عليهم. وحال بهم بين المضاف والمضاف إليه، وهو قبيح في القرآن، وإنما يجوز في الشعر)[1].

ويصف الطبري هذه القراءة بعدم الفصاحة[2]، أما ابن جنىّ يقول عنها(وهذا في النثر وحال السعة صعب جداً لاسيما والمفصول به مفعول لا ظرف)[3].

فكان ينبغي الرد على هؤلاء العلماء الذين سبقوا الزمخشرى، وقد دافع عن هذه القراءة كثير من العلماء، وردّوا على الزمخشرى بأدلة دامغة، ومن هؤلاء العلماء الإمام أحمد بن المنير[4]، وقد ردّ على الزمخشرى رداً مقنعاً، فنّد فيه ما ذهب إليه الزمخشرى من عدة وجوه منها:-

١) عدم صحة ما ذهب إليه الزمخشرى بأن القراءة اجتهاد لا نقلا وسماعاً[5].

٢) الطعن في قراءة ابن عامر هو طعن فى القراءة المتواترة عن الرسولﷺ لأنها تثبت بسندٍ صحيح.

٣) يرى الزمخشرى أن هذه القراءة خالفت القياس النحوي وهذا غير صحيح؛ لأنه أخضعها لقياس النحو البصري؛ فهذه المسألة مختلف في جوازها، فبعض النحويين يجيز مثل هذا الفصل وأغلب الظن أن هذا الرأي صحيح؛ لأن اللغة العربية لا يمكن حصرها وتضيقها في مجال مكاني وزماني معين أو أن نأخذها من قبيلة واحدة أو ست قبائل فقط، بل هي لغة واسعة منتشرة يمكن توجيه قواعدها على ألسنة العرب المختلفة الموثوق بها.

---

[1]- الحجة في القراءات السبع وعللها لابن خالوية، ص٨٢.

[2]- انظر تفسير الطبري، ٤٣/١ - ٤٤.

[3]- الخصائص لابن جني، ٢: ٤٠٧.

[4]- ينظر الانتصاف من الكشاف للإمام أحمد بن المنير، وهو على هامش الكشاف، ٦٩/٢.

[5]- دافع أستاذنا إبراهيم عبدالله رفيدة رحمه الله عن الزمخشري الذي فهمت عبارته من قوله: (وهذه القراءة تعزي إلى رؤبة بن العجاج، وهو أمصنع العرب للشيح والقيصوم ... وما أظنه ذهب في هذه القراءة إلا إلى هذا الوجه، وهو المطابق لفصاحته) بأنه يميل إلى أن القراءة اجتهاد أو اختيار وقال الدكتور رفيده رحمه الله: (فهل من الضروري أن نفهم قول الزمخشري على هذا النحو المنكر لشأن الرواية؟ وانكارها أمر بعيد ولا يتصور منه ولا تدل عليه أقواله، وهل الميل إلى إحدى القراءات المروية حسب تصوره- لفصاحتها مناف للرواية؟ مادامت القراءة مروية)، ينظر النحو وكتب التفسير، ٧٣٣/١ – ٧٣٤.

٤)اعتقد الزمخشرى أن هذه القراءة تبثث بالرأي، وهذا القول لم يقل به أحد قبله؛ ولذلك يرى ابن المنير أن قراءة ابن عامر لم تخالف القياس النحوي؛ لأن الفصل بين المضاف والمضاف إليه وإن كان عسراً إلاَّ أن المصدر إذا أضيف إلى معموله فهو مقدر بالفعل، وبهذا التقرير عمل وهو إن لم تكن إضافته غير محضة[١].

أما ابن الجزرى فيقول:(والحق في غير ما قاله الزمخشرى ونعوذُ بالله من قراءة القرآن بالرأي والتشهي، وهل يحل لمسلم القراءة بما يجد في الكتابة من غير نقل؟ بل الصواب جواز مثل هذا الفصل وهو الفصل بين المصدر وفاعله المضاف إليه بالمفعول في الفصيح الشائع الذائع اختياراً، ولا يختص ذلك بضرورة في ذلك الشعر ويكفى في ذلك دليلاً هذه القراءة الصحيحة المشهورة التي بلغت التواتر)[٢].

يقول ابن الجزري أيضاً(وقد صح من كلام رسول اللهﷺ"فهل أنتم تاركو لي صاحبي"[٣] ففصل بالجار والمجرور بين اسم الفاعل ومفعوله[٤]).

أما أبو حيان الأندلسي فيقول:(...وهي مسألة مختلف في جوازها فجمهور البصريين:متقدموهم ومتأخروهم لا يجيزون ذلك إلاَّ في ضرورة الشعر،وبعض النحويين أجازها وهو الصحيح لوجودها في هذه القراءة المتواترة المنسوبة إلى العربي الصريح المحض ابن عامر الآخذ القرآن عن عثمان بن عفان قبل أن يظهر اللحن في لسان العرب،ولوجودها في لسان العرب في عِدة أبيات قد ذكرناها في كتاب منهج السالك من تأليفنا ولا إلتفات إلى قول ابن عطية وهذه القراءة ضعيفة في استعمال العرب..ولا التفات أيضاً إلى قول الزمخشري)[٥].

القول في الفصل بين المضاف والمضاف إليه يبقى مدارخلاف بين البصريين والكوفيين فالكوفيون يذهبون إلى أنه يجوزالفصل بين المضاف والمضاف إليه بغير

---

[١]- الانتصاف من الكشاف لابن المنير على حاشية الكشاف، ٦٩/٢.

[٢]- النشر لابن الجزري، ١٩٨/٢.

[٣]- الحديث في صحيح البخاري ونصه: (قال: (عن أبي إدريس الخولاني قال: سمعت أبا الدرداء يقول: كانت بين أبي بكر عمرو محاورة، فأغضب أبوبكر عمر، فانصرف عن عمر غاضباً فأتبعه أبوبكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجه، فأقبل أبوبكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – فقال: ابوالدرداء لحق عنده فقال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما صاحبكم هذا غامر، وندم عمر على ما كان منه، فاقبل حتى سلم وجلس إلى النبي (ص) وقص على رسول الله (ص) الخبر، قال: ابوالدرداء وغضب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وجعل ابوبكر يقول: والله يا رسول الله لانا أظلم فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : هل أنتم تاركو لي صاحبي؟ هل أنتم تاركو لي صاحبي) اخرجه البخاري من حيث أبي الدرداء صحيح البخاري، ٧٥/٦.

[٤]- النشر في القراءات العشر لابن الجزري جـ٢ ص١٩٩.

[٥]- البحر المحيط لابي حيان، ٦٥٧/٤-٦٥٨.

الظرف وحرف الخفض لضرورة الشعر وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز ذلك بغير الظرف وحرف الجر[1].ولكل من الفريقين حجته القويّة، فالكوفيون يميلون إلى هذا الوجه وحجتهم في ذلك أن العرب استعملته كثيراً في أشعارها، ومن هذه الشواهد قول الشاعر:-

فَزَجَجْتُهَا بِمَزَجَّةٍ .·.زَجَّ القَلُوصَ أَبِي مَزَادَهْ

والتقدير:زَجَّ أبي مزادة القَلُوصَ، ففَصل بين المضاف والمضاف إليه بالقلوص؛ وهو مفعول به، وليس بظرف ولا حرف خفض. وقال آخر[2]:

تَمُرُّ عَلَى ما تَسْتَمِرُّ وَقَدْ شَفَتْ .·. غَلاَئِلَ عبدالقَيْس منها صُدُورِهَا

والتقدير:شفت غَلائل صُدُورِهَا عبدُالقيس منها ففصل بين المضاف والمضاف إليه.

(وقد حكي الكسائي عن العرب: هذا غُلامُ والله زيدٍ، وحكى أبو عبيده قال: سمعت بعض العرب تقول: إن الشاة لتجتر فتسمع صوت واللهِ رَجّهَا ففصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله "والله".

وإذا جاء هذا في الكلام ففي الشعر أولى، وقد قرأ ابن عامر أحد القراء السبعة ﴿وكَذلِكَ زُيِّنَ لكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلاَدَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ بنصب "أَوْلاَدَهُمْ" وجر "شُرَكَائِهِمْ" ففصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله "أولادهم" والتقدير فيه: قتل شركائهم أولادهم ولهذا كان منصوباً في هذه القراءة وإذا جاء هذا في القرآن ففي الشعر أولى)[3]. وأمّا حجة البصريين في المنع فيقولون إنه لا يجوز ذلك لأن المضاف والمضاف إليه بمنزلة شيء واحد؛ فلا يجوز أن يفصل بينهما، وإنما جاز الفصل بينها بالظرف وحرف الجر. قال الشاعر:-

كما خُطَّ الكِتَابُ بكفِّ يَوْماً .·. يَهُودِي يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ[4]

ففصل بين المضاف والمضاف إليه؛ لأن تقديره: بكفِّ يهودي يوماً، ويقول البصريون:(...وأما قراءة من قرأ من القرّاء ﴿وَكَذَلِكَ زُيِّنَ الكثير مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلُ أَوْلاَدَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾ فلا يسوغ لكم الاحتجاج بها: لأنكم لا تقولون بموجبها؛ لأن

---

[1] - الإنصاف لابن الأنباري، ٤٢٧/٢-٤٣٨.

[2] - هذا البيت من الشواهد التي لا يعرف قائلها، وهو في خزانة الأدب، ٢٥٠/٢، وذكر أن ابن السد أنشده في أبيات المعاني عن الأخفش.

[3] - الإنصاف، ٤٣١/٢.

[4] - هذا البيت منسوب إلى أبي حيه النميري وهو من شواهد سيبويه ٩١/١، وابن جنى في الخصائص ٤٠٥/٢، والاشموني ٦٦٢/١، ورواة ابن منظور في اللسان في مادة (عجم).

الإجماع واقع على امتناع الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول في غير ضرورة الشعر، والقرآن ليس فيه ضرورة، وإذا وقع الإجماع على امتناع الفصل به بينهما في حال الاختيار سقط الاحتجاج بها على حالة الاضطرار، فبان أنها إذا لم يجز أن تجعل حجة في النظير لم يجز أن تجعل حجة في النقيض)[1].

وبرأيي أن الكوفيين على حق فقراءة ابن عامر صحيحة موصولة السند ولا يجوز ردّها؛لأن الأمة اجتمعت على هذه القراءة وشهدت لابن عامر بالصدق والتقوى، ولكن البصريين دائماً يحاولون إخضاع القراءات إلى القياس والتأويل والتخريج على قواعدهم التي استنبطوا، فهيهات هيهات أن تكون هناك حجة أقوى من حجة كلام الله القرآن العظيم وقراءاته.

١٣- من القراءات التي احتج بها لتبين بعض الوجوه النحوية التي حرص على إبراز معانيها اللغوية ما يلي:-

قال:معلقاً على قوله تعالى:(﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءالِهَتَك قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَهِرُونَ﴾ [2].

وقرئ[3]:"وَيذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ" بالرفع عطفاًعلى أتذرموسى؛بمعنى:أتذره وأيذرك: يعني:تطلق له ذلك أو يكون مستأنفاً أو حالاً على معنى:أتذره وهو يذرك وآلهتك، وقرأ الحسن[4]:ويذرك بالجزم كأنه قيل[5]:يفسدوا كما قرئ:"وأكن من الصالحين" كأنه قيل أصدق. وقرأ أنس -رضى الله عنه-: وتذرك بالنون والنصب أي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ: ويذرك وإلا هتك)[6].

---

[1] - الإنصاف، ٤٣٦/٢.

[2] - سورة الأعراف: ١٢٧.

[3] - (هذه القراءة قرأ بها نعيم بن ميسرة والحسن بخلاف عنه (ويذرك) بالرفع عطفاً على (أتذر) بمعنى أتذره ويذرك)، البحر المحيط ١٤٣/٥.

[4] - (وقرأ الأشهب العقيلي والحسن بخلاف عنه (ويذرك) بالجزم عطفاً على التوهم كأنه توهم النطق يفسدوا جزماً على جواب الاستفهام كما قال: فأصدق وأكون من الصالحين) أو على التخفيف من (يذرك)، وقرأ أنس بن مالك: وتذرك بالنون ورفع الراء توعدوه بتركه وترك آلهته، أو على معنى الإخبار أي أنه الأمر يؤول إلى هذا وقرأ أبي وعبدالله (في الأرض) وقد تركوك أن يعبدوك وآلهتك، وقرأ لاعشق وقد تركك وآلهتك، وقرأ الجمهور وآلهتك على الجمع) البحر المحيط، ١٤٣/٥ - ١٤٤.

[5] - قال الزمخشري (كأنه قيل يفسدوا) يقصد أن (يذرك) بالجزم عطفاً عل التوهم أي إنه توهم النطق يفسدوا جزماً على جواب الاستفهام).

[6] - الكشاف: ١٤٢/٢.

الملاحظ من هذا النص أن الزمخشري احتج بالقراءات لعدة وجوه نحوية أهمها:-

أ- قراءة (وَيَذَرُكَ وَءَالِهَتَكَ) بالرفع:-

هذا الوجه من القراءة وجّهه على أنه عطف الجملة الفعلية(ويذرُك)على جملة أتذر موسى؟الاستفهامية،وأجاز الزمخشري وجهاً آخر وهو أنه مرفوع على الاستئناف[1]. أو أن تكون الجملة حالية،على تقدير(ويذرُك)والمعنى-كما أشار إليه- أتذره وهو يذرك وآلهتك.

ب- قراءة الحسن: (ويذرْك) بالجزم على أنه معطوف على التوهم أي إنه توهم جواباً للاستفهام بمعنى يفسدوا مجزم وتقدير الجملة الاستفهامية أتذرُ موسى وقومه يفسدوا في الأرض ويذرْك وعبادتك. فجعله جواباً للطلب.

الظاهر من كلامه أنه قوّى هذا الوجه بقراءة أخرى من القرآن الكريم وهي: ﴿وأكن من الصالحين﴾[2].

ذهب الزمخشري إلى أن الفعل (يذرْك) بالجزم هو في الأصل من الفعل (يذرُك) المرفوع وهو بهذا القول يؤيد رأي العلامة ابن جنيّ[3]الذي يرى أن الفعل(يذرْكَ) بالسكون أو الجزم من الفعل يذرُكَ كقراءة أبي عمرو:(إن الله يأمرْكم)[4]بالسكون استثقالا للضمة.

١٤-يستدل الزمخشري بالقراءة على صحة تركيب صرفي مقتديا في ذلك بالعلامة سيبويه-رحمه الله-يقول معلقاً على قوله تعالى:﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَلاَ إِنَّمَآ طَآئِرُهُمْ عِندَ اللهِ وَلكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [5].

قرأ الحسن[1]:(إنما طيركم عند الله، وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره: التجر، والركب وعند أبي الحسن هو تكسير)[2].

---

[1]- (الفرّاء يرى أن الرفع يحسن إذا اتبع آخر الكلام أوله). ينظر المعاني، ١: ٣٩.

[2]- سورة المنافقين: ١٠.

قال الزمخشري -رحمه الله- : (وقرأ أبي: فأتصدق على الأصل، وقرئ: وأكن عطفاً على محل (فأصدق) كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن ومن قرأ: وأكونَ على النصب فعلى اللفظ) الكشاف، ٥٤٤/٤.

[3]- قال ابن جني -رحمه الله- (وأما (يَذْرُك) بالإسكان فمن (يَذْرُك) كقراءة أبي عمرو (إن الله يأمركم) النساء: ٥٨)، المحتسب، ٢٥٧/١

[4]- النساء:٥٨.

[5]- الأعراف: ١٣١.

استدل الزمخشري من خلال كلامه هذا على صحة تركيب صرفي، ومال إلى الرأي الذي يرى أن (الطير) اسم جمع لطائر.

وهو بهذا يؤيد سيبويه الذي قال:(وذلك قولك:ركْبٌ وسَفْرٌ،فالركب لم يكسر عليه راكب ألا ترى أنك تقول في التحقير: ركيب وسفير، فلو كان كسر عليه الواحد رد إليه، فليس فعل مما يكسر عليه الواحد ومثل ذلك:طائر وطير، وصاحب وصحب)[٣].

يقول ابن جني:(والطير:جمع طائر في قول أبي الحسن وفي قول صاحب الكتاب اسم للجمع بمنزلة الجامل والباقر غير مكسر، وروينا عن قطرب في كتابه الكبير:أن الطير قد يكون واحداً كما إن الطائر الذي يقرأ به الجماعة واحد، وعلى أنه قد يكون الطائر جماعاً بمنزلة الجامل والباقر)[٤].واستدلّ ابن جنيّ بهذا الشاهد الشعري من قول ابن الأعرابي:

وبالعثانين وبالحناجر　　كأنه تهتان يوم ماطر

على رؤسٍ كرؤس الطائر[٥]

١٥- يبين الزمخشري من خلال احتجاجه بالقراءات وجهاً تصرفياً،يقول في قوله تعالى:﴿وأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَالْفَسِقِينَ﴾[٦]وقرأ الحسن:سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال:أروني كذا، وأوريته ووجهه أن تكون من أوريت الزند، كأن المعني: بينه لي وأنره لأستبينه. وقرئ: سأوريكم وهى قراءة حسنة يصححها قوله:﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾[٧].

---

[١]- وقرأ الحسن ألا إنما طيرهم، وحكم بنفي العلم عن أكثرهم لأن القليل منهم علم كمؤمن آل فرعون وآسية امرأة فرعون)، البحر المحيط ١٤٨/٥.

[٢]- الكشاف، ١٤٥/٢.

[٣]- الكتاب لسيبويه، ٣٢٤/٣.

[٤]- المحتسب لابن جني، ٢٥٦/١.

[٥]- ابن الإعرابي يصف لنا لحية رجل طويلة تتدلى منها شعيرات طوال شبهها بعثنون البعير الذي تحت حنكه، وما قصده من قوله: رؤس الطائر أي رؤس الطير فاستخدم الكلمة بمعنى الطير وفيه دليل على أن الكلمة اسم جمع، انظر المحتسب لابن جني ١/ ٢٥٧.

[٦]- سورة الأعراف: ١٩٥.

[٧]- الكشاف، ١٥٨:٢، سورة الأعراف: ١٣٧.

أ- بيّن الزمخشري ماهية هذا الاحتجاج بالقراءة فأشار إلى أن الحجازيين ينطقون الفعل (أريكم) أوريكم ويقيت في لسانهم إلى الآن، ونحن في لهجتنا الليبية نستخدم هذه اللغة فمثلاً نقول: (تعالْ نوَرّيكْ) أي أبيّن لك الأمر واستبينه.

يقول أبو حيان في ذلك:(وهي أيضاً في لغة أهل الأندلس كأنهم تلقفوها من لغة الحجاز وبقيت في لسانهم إلى الآن)[1].

يرى الزمخشري أن مادة الفعل مأخوذة من القول العربي أوريت الزند، والزند العود الذي يقدح به النار؛ فهو يؤكد على صحة هذه القراءة؛ لأن لها أصل في لغات العرب القديمة، ويختلف ابن جني مع الزمخشري حول صحة هذا الوجه من القراءة فيقول:(إن ظاهر هذه القراءة مردود؛لأن"سأفْعِلَكم"من رأيت وأصله سأوريكم، ثم خففت الهمزة بحذفها، وإلقاء حركتهاعلى الراء فصارت سأريكم قالوا:وإذاً لاوجه لها)[2].وعلى الرغم من تضعيف ابن جني هذه القراءة التي جاءت على لغة فصيحة وهي لغة الحجازيين إلا أنه أجاز لها وجهاً آخر وهو:أن يكون القارئ أراد سأريكم ثمّ أشبع ضمة الهمزة فأنشأ عنها واواً فصارت (سأريكم)؛لأن الحركات أبعاض من الحروف. وهذا برأيي توجيه حسن إذ الواو نتجت من إشباع حركة الضم على الهمزة كما في البيت الشعري:-

وأني حيثما يشري الهوى بصري .·. من حيثما سلكو أنني فأنظور[3]

فالشاعر يريد (أنْظُرُ)فأشبع ضمه الفاء فنشأ عن هذا الإشباع واواً. وصفوة القول في هذه القراءة ما قاله الزمخشري من أنها لغة أهل الحجاز، وما قاله ابن جني من أن الواو نتجت من إشباع ضمة الهمزة.

ب- قراءة:سأورثكم[4]:-

يرى الزمخشري أن هذه القراءة صحيحة وحسنة وقوى وجهها بقراءة أخرى من سورة الأعراف من قوله تعالى:﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ﴾[5]، وهو هنا قوّى القراءة بالقراءة.

---

[1]- البحر المحيط ١٧٣/٥.
[2]- المحتسب لابن جني، ٢٥٨/١.
[3]- ينظر سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق أحمد فريد، ٣٦/١. وتنظر الشاهد في الخزانة للبغدادي، ٥٨/١.
[4]- (وقرأ ابن عباس وقسامة بن زهير سأورثكم)، البحر المحيط١٧٣/٥.
[5]- سورة الأعراف: ١٣٧.

١٦- واحتج بالقراءات ليبين بعض الوجوه الصرفية:-

يقول معلقاً على قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [١]، وقرئ[٢]: بَئِسَ بوزن حَذِرَ وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها إلى الفاء، كما يقال: كَبِدَ في كبد، وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب، وبيئس على فيعل، بكسر الهمزة وفتحها، وبيس بوزن ريس على قلب همزة بيئس ياء وإدغام الياء فيها، وبيس على تخفيف بيس، كهين في هين وبائس على فاعل)[٣].

من خلال عرضه هذه القراءات ذكرعدة وجوه جائزة في وزن كلمة(بئس)وهي:-

أ- يجوز أن تكون كلمة (بئس)على وزن حَذِرَ أى فَعِلَ وهي صيغة مبالغة.

ب- يجوز أن تأتي كلمة(بئس)على تخفيف العين، ونقل حركتها إلى الفاء كما في كَبِدَ.

ج- يجوز أن نقلب الهمزة ياءاً فنقول في بئس بيس، كذيب في ذئب.

د- تأتي بَيْئِس على وزن فَيْعِل بكسر الهمزة وفتحها.

هـ- ويجوز فيها أن تأتي على بيس بوزن ريش على قلب همزة بيس ياء وإدغام الياء فيها.

و- تأتي أيضا على بيس على تخفيف بيس كهين في هيّن.

ز- ويجوز أن تأتي بئس على بائس على وزن فاعل.

تعد كل هذه الوجوه صحيحة في نظر الزمخشري ولها ما يقابلها من أوزان في لغة العرب.

---

[١]- سورة الأعراف: ١٦٥.

[٢]- (وقرأ جرية بن عائذ ونصر بن عاصم في رواية بأس على وزن ضرب فعلاً ماضياً وعن الأعمش ومالك بن دينار بأس أصله بأس فسكن الهمزة جعله فعلاً لا يتصرف، وقرأت فرقة بيس بفتح الباء والياء والسين وحكى الزهراوي عن ابن كثير وأهل مكة (بئس) بكسر الباء والهمزة همزاً خفيفاً ولم يبين هل الهمزة مكسورة أو ساكنة وقرأت فرقة باس بفتح الباء وسكون الألف. وقرأ خارجة عن نافع وطلحة بيس على وزن كيل لفظاً وكان أصله فيعل مهموزاً إلاّ أنه خفّف الهمزة بإبدالها ياء وأدغم ثمّ حذف كميت، وقرأ نصر في رواية مالك بن دينار عنه باس على وزن جبل، وأبو عبدالرحمن بن مصرف بئس على وزن كبد وحذر، وقرأ ابن عباس وابوبكر عن عاصم والأعمش بيأس على وزن ضيغم، وقرأ عيسى بن عمر والأعمش بخلاف عنه بيئس على وزن صيقل بكسر القاف وهما شاذان، وقرأ باقي السبعة ونافع وفي رواية أبي قرة وعاصم في رواية حفص وأبو عبدالرحمن ومجاهد والأعرج والأعمش في رواية أهل الحجاز (بيئس) على وزن رئيس، وقرأ أهل مكة كذلك إلا أنهم كسروا الباء وهي لغة تميم في فعيل حلقي العين ...، وقرأ الحسن والأعمش فيما زعم عصمة بئيس على وزن طريم وحزيم فهذه اثنتان وعشرون قراءة، وضبطها بالتلخيص أنها قرئت ثلاثية اللفظ ورباعية فالثلاثة اسما بئس وبيس وبأس ويأس وبيس، وفعلاً بيس وبئس وبئس وبأس ويأس وبئس والرباعية اسماً بيأس وبيئس وبيئس وبيس وبيس وبئيس وبائس وفعلا باءس)، البحر المحيط ٥/٢٠٥-٢٠٦.

[٣]- الكشاف، ٢/١٧٢.

١٧- من القراءات التي احتج بها لوجه صرفي ونحوي على السواء قال: (وقرأ ابن محيصن "يسألونك علنفال"[١] بحذف الهمزة وإلقاء حركتها على اللام، وإدغام نون عن في اللام، وقرأ ابن مسعود[٢] "يسألونك عن الأنفال" أي يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال)[٣].

احتج الزمخشري بقراءتين الأولى قراءة ابن محيصن وهي قراءة شاذة احتج بها يبين وجه صرفي جائز(يسألونك علنفال) فحذفت الهمزة وألفت حركتها على اللام تم أدغم النون في اللام.

أما الثانية فقراءة ابن مسعود(يسألونك الأنفال)احتج بها ليُبيِّن وجه نحوي وهنا حذف حرف الجر ونصب المفعول به على نزع الخافض،ولذلك قال الزمخشري المعني:يسألك الشبان ما شرطت لهم من الأنفال وبذلك يكون الفعل تعدى لمفعولين،وكأنّ الزمخشري يميل إلى أن هذه القراءة مفسرة للقراءة المشهورة.

يقول أبو الفتح:(هذه القراءة بالنصب مؤدية عن السبب للقراءة الأخرى التي هي"عن الأنفال"وذلك أنهم إنما سألوه عنها تعرضاً لطلبها واستعلاما لحالها:هل يسوغ طلبها؟وهذه القراءة بالنصب إصراع بالتماس الأنفال،وبيان عن الغرض في السؤال عنها،فإن قلت:فهل:يحسن أن تحملها على حذف حرف الجر حتى كأنه قال:يسألونك عن الأنفال،قيل:هذا شاذ إنما يحمله الشعر فأما القرآن فيختار له أفصح اللغات)[٤]. كقوله:

أمرتُكَ الخَيرَ فَافعل ما أُمرتَ بِهِ .·.فَقَد تَركتُكَ ذا مالٍ وَذا نَشب[٥]

الظاهر أن الزمخشري يميل إلى هذا الرأي وإن لم يصرّح به، ولكن فُهم من كلامه أنه يميل إلى أن هذه القراءة مفسرة للقراءة المشهورة.

١- وقرأ ابن محيص (علنفال) نقل حركة الهمزة إلى لام التعريف وحذف الهمزة، واعتدّ بالحركة المعارضة فأدغم نحو، قد تبين لكم)، البحر المحيط ٢٦٩/٥.

٢- (هي قراءة سعد بن أبي وقاص وابن مسعود وعلي بن الحسين ووالديه زيد ومحمد الباقر، وولده جعفر الصادق وعكرمة وعطاء والضحاك وطلحة بن مصرف)، المصدر نفسه، ص٢٦٩.

٣ - الكشاف،

٤- المحتسب لابن جني: ٢٧٢/١، وينظر مختصر ابن خالوية ٤٨، وإعراب القرآن للنحاس، ٨٩/٢

٥- البيت لأعشى طرود، وقيل لعمرو بن معد يكرب، وقيل: للعباس بن مرداس، والشاهد فيه(أمرتك الخير).

١٨- يحتج الزمخشري بالقراءات الشاذة ليبين وجهاً صرفيا ونحوياً شأنها في ذلك شأن المشهورة:قال-رحمه الله-(وقرأ[١]أيوب السجستاني[٢]:"ولاالضألين"بالهمزة كما قرأ عمرو بن عبيد[٣]﴿ولاجأنٌ﴾[٤]وهذه لغة من جدّ في الهروب من التقاء الساكنين).

يلاحظ في هذا النص أن الزمخشري يحتج بالقراءة للدلالة على صحة وجه صرفي لِلغة من لغات العرب،ويلاحظ أيضاً أنه قوّى القراءة بقراءة أخرى، فالقراءة الأولى التي احتج بها على صحة الوجه الصرفي قراءة أيوب السجتياني (ولا الضألين)،وعلل الزمخشري لهذه القراءة أن القارئ جدّ في الهروب من التقاء لساكنين[٥]. يقول ابن حني(اعلم أن أصل هذه ونحوه:الضالّين،وهو "الفاعلون"من ضلّ يضلُّ، فكِره اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد على غير الصورة المحتملة في ذلك فاسكنت اللام الأولى وأدغمت في الآخرة، فالتقى ساكنان:الألف واللام الأولى المدغمة فزيد في مدِّه الألف،واعتُمدت وطأة المد)[٦].أما القراءة الثانية فساقها لكي يقوى بها وجه قراءة (أيوب السجتياني) قراءة عمرو بن عبيد ولا (جأنٌ)من قوله تعالى:(فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جانٌ).

١٩- ومن القراءات التي احتج بها لتبين وجه صرفي قراءة أبي حية النميري.

يقول: (وقرأ أبو حية النميري[٧]من قوله تعالى:﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾[٨].

---

[١]- وقرأ أيوب السجتياني: ولا الضالين، بإبدال الألف همزة فراراً من التقاء الساكنين، وحكي أبو زيد دأبة وشأبة في كتاب الهمز، ومع ذلك لا ينقاس هذا الإبدال، لأنه لم يكثر كثرة توجب القياس، ونص على أنه لا ينقاس النحويون: قال أبوزيد سمعت عمرو بن عبيد يقرأ فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان، فظننته قد لحن حتى سمعت من العرب دأبه وشأبه)، البحر المحيط ٥٢/١.

[٢]- أيوب السجتياني: هو فقيه أهل البصرة، وكان علم الحفاظ، قال عنه شعبه عنه: كان سيد الفقهاء، مات ١٣١ هـ شذرات الذهب، ١٨١/١.

[٣]- (وعمرو بن عبيد بن باب أوبو عثمان البصري، روى الحروف عن الحسن البصري وسمع منه، وروى عنه الحروف بشار بن أيوب الناقد، مات في ذي الحجة سنة ١٤٤هـ (طبقات القرّاء لابن الجزرى: ٦٠٢/١.

[٤]- سورة الرحمن، ٧٤.

٥- الكشاف، ١٧/١.

[٦]- العلماء عللوا لهذه القراءة قبل الزمخشري، فهذا ابن خالوية يقول: (ومن العرب من يجعل المده همزة فيقول (ولا الضألين وقد قرأ أيوب السختياني) (إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالوية، ٥٢/١. وأما ابن جني فيقول: (أن أبازيد الانصاري عندما سمع هذه القراءة منه (اي من عمر بن عبيد) قال: فظننته قد لحن إلى أن سمعت العرب تقول: شأبة ومأدّة ودأبّة)، المحتسب، ٤٧/١.

[٧]- وقرأ الجمهور: يوقنون بواو ساكنة بعد الياء، وهي مبدلة من ياء لأنه من أيقن، أبو حية النمري بهمزة ساكنة بدل الواو)، البحر المحيط ٧٠/١.

[٨]- سورة البقرة: ٤.

"يؤقنون" بالهمز، جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه فقلبها قلب واو "وجوه" و"وقتت" ونحوه:-

لحبُّ المؤقدان إليّ مؤسى .·. وجعدة إذا أضاءهما الوقود)[1]

يفهم من كلام الزمخشري أنه يستدل بقراءتين، القراءة المشهورة(يوقنون) بغير همز، وقراءة أبي حيوة النميري (يؤفنون) بالهمز.

وبرأييّ أنه يشير إلى جوار لغتين لغة الهمز وعدم الهمز، وهما ما عبّر عنه العلماء القدامي بلغة النبر وعدم النبر، فمن القبائل العربية قومٌ يقولون: نحن قوماً لا نَنْبِر أي لا نهمز وهؤلاء يقولون مثلا: يوقنون – يومنون – الباس – الفاس – من غير همز وأما أصحاب اللغة الثانية يقولون: يؤمنون – يؤقنون – البأس – الفأس وهكذا.

ب- أشار الزمخشري إلى حدوث قلب في الفعل (يؤمنون)، ووجّه هذه القراءة بأن هذه الواو التي في الفعل لمّا جاورت المضموم فكأن الضمة فيها، وهم يبدلون من الواو المضمومة همزة كما قالوا في وجوه ووقتت أجوه وأقتت، فأبدلوا من هذه همزة إذ قدروا الضمة فيها. يقول الفارسي:(ومما يقوّه الهمز في ذلك أن من تركها إنما يقلبها واواً ساكنة وما قبلها متحرك بالضم، والواو الساكنة إذا انضم ما قبلها فقد استجازوا قلبها همزة)[2]. يقول ابن جني أيضا (وإما إبدال الهمزة عن الياء والواو فعلى ضربين: تبدل الهمزة منهما وهما أصلان، وتبدل منهما وهما زائدتان، الأول: نحو قولك: وجوه أجوه وفي وُعد أُعد وفي وَقَّتتْ أَقَّتتْ، وكذلك كل واو انضمت ضماً لازماً فهمزها جائز)[3].

٢٠- هذا احتجاج آخر يستدل به الزمخشري بالقراءة على وجه صرفي:قال-رحمه الله-:(في قوله تعالى:﴿وَاتَّبَعُواْ مَاتَتْلُواْ الشَّيطِينُ عَلى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾[4]،وقرأ الحسن"الشياطون"وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون)[5].

---

[1]- الكشاف، ٤٣/١، والبيت الشعري لجرير في مدح هشام بن عبدالملك، وورد هذا الشاهد في الحجة لابي على الفارسي، ١٧٩/١، والمحتسب، ٤٧/١، والنشر ٣١٩/١، والبحر المحيط ٧٠/١.

[2]- الحجة في علل القراءات السبع لأبي عل الفارسي، ١٧٩/١ – ١٨٠.

[3]- سر صناعة الإعراب لابن جني، تحقيق أحمد فريد، ٩٠/١.

[4]- سورة البقرة: ١٠٢.

[5]- الكشاف، ١٧٣/١. وقرأ الحسن والضحاك: الشياطون، بالرفع بالواو وهو شاذ قاسه على قول العرب: بستان فلان حوله بساتون، رواه الاصمعي)، البحر المحيط ٥٢٢/١.

من خلال استدلاله بالقراءة نلحظ أنه يجوّز إجراء جمع التكسير مجرى جمع المذكر السالم في إعرابه بالحروف،وأغلب النحاة لا يجيزون مثل هذا:إلا أن الزمخشري ارتضى هذا الوجه وانتصر له بهذه القراءة واستدل بوجه من كلام العرب، ومن اشهر النحاة الذين اعترضوا على هذا الوجه الإمام الفرّاء،قال:(وجاء عن الحسن"الشياطون"وكأنه من غلط الشيخ ظن أنه بمنزلة المسلمين والمسلمون)[1].

يقول النحاس: (وقرأ الحسن "الشياطون" وهو غلط عند جميع النحويين، قال: سمعتُ علي بن سليمان يقول:سمعت محمد بن يزيد يقول هكذا يكون غلط العلماء، إنما يكون بدخول شبهة، لمّا رأى الحسن –رحمه الله– في أخره ياءاً ونوناً وهو في موضع اشتبه عليه بالجمع المسلم فغلط، وفي الحديث "احذروا زلّة العالم" وقد قرأ هو مع الناس ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ [2] لو كان هذا بالواو في موضع الرفع لوجب حذف النون للإضافة)[3].أما أبو حيان الأندلسي فيقول عنه:–

(هو شاذ قاسه على قول العرب: بستان فلان حول بساتون رواه الأصمعي. قالوا: والصحيح أن هذا لحن فاحش وقال أبو البقاء: شبه الياء قبل النون بياء جمع الصحيح وهو قريب من الغلط وقال السجاوندي : خطأه الخازوريجي)[4].

وقال أيضاً في موضع آخر (شبه الشياطين بفلسطين التي تعرب أحياناً بالحركات كجمع المذكر السالم، وأبو حيان دافع عن قرّائها الثلاثة[5] قائلاً: (فهؤلاء الثلاثة من نقله القرآن قرأوا ذلك، ولا يمكن أن يقال: (غلطوا)؛ لأنهم من العلم ونقل القرآن بمكان)[6].

٢١– لا يخص الزمخشري في احتجاجه بالقراءات غرضاً معيناً، بل يحتج لعدة أغراض فقد يحتج لوجه نحوي، وقد يحتج لوجه صرفي أو صرفي ونحوي في آن

---

[1]- معاني القرآن للفرّاء، ٢٨٥/٢.
[2]- سورة البقرة: ١٤.
[3]- إعراب القرآن للنحاس، ١٣٣/٣.
[4]- البحر المحيط، ٥٢٢/١.
[5]- قرّائها الثلاثة هم: الأعمش والحسن وابن السميفع.
[6]- المصدر نفسه، ١٩٦/٨، (قال أبو حيان: (ووجهت هذه القراءة بأنه لمّا كان آخره كآخر بيرين وفلسطين، فكما أجرى إعراب هذا النون تارة وعلى ما قبله تارة فقالوا بيرين وبيرون وفلسطين وفلسطون، أجرى ذلك في الشياطين تشبيها به فقالوا: الشياطين والشياطون)، البحر المحيط ١٩٦/٨.

واحد أو لغرض نحوي مرتبط بالمعنى أو لغرض نحوي مرتبط باللغة وهكذا وفي هذه القراءة يحتج للغة والصرف معاً.

يقول في قوله تعالي: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[1] وقرأ[2] أبي وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الأنصار، فإن قلت ما وزن التابوت؟ قلت: لا يخلو من أن يكون فعلوت أو فاعولاً، فلا يكون "فاعولاً" لقلته نحو سلس وقلق؛ ولأنه تركيب غير معروف، فلا يجوز ترك المعروف إليه، فهو إذاً "فعلوت" من التوب وهو الرجوع؛ لأنه ظرف توضع فيه الأشياء وتودعه ... وأمّا من قرأ بالهاء فهو "فاعول" عنده إلا فيمن جعل هاءه بدلاً من التاء لاجتماعهما في الهمس وأنها من حروف الزيادة؛ لذلك أبدلت من تاء التأنيث)[3].

احتج الزمخشري في هذا النص بعدة قراءات لعدة أغراض وهي:-

أ- احتج بقراءة أبي وزيد على صحة لغة فصيحة، وهي التابوه بقلب التاء هاء وهي كما أشار – لغة الأنصار.

ب- ذهب الزمخشري إلى أن وزن (تابوت) يحتمل وزنين إما أن يكون فعلوت أو فاعول، ومال الزمخشري إلى أن وزنه فعلوت من التوب، وهو الرجوع؛ لأنه ظرف توضع فيه الأشياء وتودعه.

علل الزمخشري سبب عدم مجيء الوزن على فاعول لسببين هما:-

١) لقلته نحو سلس وقلق.

٢) ولأنه تركيب غير معروف؛ فلا يجوز ترك الوزن المعروف والذهاب إلى الوزن الغير معروف.

ج- يرى الزمخشري أن وزن(تابوه)بالهاء فاعول،وإذا اعتبرت الهاء بدلاً من التاء لاجتماعها في الهمس وأنها من أحرف الزيادة فيكون الوزن(فعلوت).وفي اعتقادي أن الزمخشري وافق النحاس وابن جنيّ في أن الهاء في كلمة(التابوه)منقلبة عن التاء مثل كلمة حمزة وطلحة فقد أبدلوا من التاء هاءأفي الوقف،وذلك منقاد مطرّد.

---

[1]- سورة البقرة: ٢٤٨.

[2]- (وقرأ الجمهور: التابوت بالتاء، وقرأ أبي وزيد: بالهاء وهي لغة الأنصار)، البحر المحيط لأبي حيان، ٥٨/٢.

[3]- الكشاف، ٢٩٣/١.

د- يستفاد من احتجاج الزمخشري في تخيُّر الأوزان؛ إذ يجب اختيار الأوزان المعروفة، وترك الأوزان الغير معروفة؛لأنها غير مشهورة وقليلة الاستعمال.

٢٢- ويقول أيضاً:(وقرئ:(بَيْنَ المَرِّ وَزَوْجِه)[١]بتشديد الراء، ووجهه أنه حذف الهمزة،وألقى حركتها على الراء كالخبّ،ثم الوقف على لغة من يقول:مررت بعمّر)[٢].

يرى الزمخشري أنه يجوز حذف الهمزة من نحو (المرء)وإلقاء حركتها على الراء لغرض التخفيف مع نيّة الوقف والتمكين مع التثقيل أي تشديد الحرف، واستدل على صحة هذا الوجه بلغة من لغات العرب فقال:(تمّ الوقف على لغة من يقول مررتُ بعمّر). واعترض كثير من العلماء على هذه القراءة، ومنهم العلامة ابن جنيّ[٣]الذي فضّل عليها قراءة الجماعة،وقال:هذا الوجه من هذه القراءة ضعيف، ويجوز أن يصلح للشعر أما القرآن فيتخيّر له أحسن القراءات.

٢٣- من القراءات التي استدل بها على صحة وجه نحوي وصرفي قراءة كل من ابن محيصن والأعمش وابن مسعود قال-رحمه الله-:(وقرأ ابن محيض: يعجزون بكسر النون، وقرأ الأعمش:﴿وَلاَ تَحْسِبْ الذِينَ كَفَرُواْ﴾[٤]بكسر الباء وبفتحها،على حذف النون الخفيفة،وقرأ حمزة: وَلاَ يَحْسَبنَّ بالياء على أن الفعل للذين كفروا، وقيل: أصله أن سبقوا، فحذفت كقوله:"وَمِنْ ءَآيَاتِه يُرِيْكُمُ البَرْقَ"واستدل عليه بقراءة ابن مسعود- رضى الله عنه:أنهم سبقوا،وقيل وقع الفعل على أنهم لا يعجزون على أن"لا"صلة،وسبقوا في محل الحال، بمعنى سابقين أى مفلتين هاربين.وقيل معناه:ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا،فحذف الضمير لكونه مفهوماً،وقيل:ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا، وهذه الأقاويل كلها متمحلة،وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة بنيرة)[٥].

---

[١] - البقرة:١٠٢. وقرأ ابن اسحق (بين المرء) بكسر الميم اتباعاً لحركة الإعراب إذ في المرء لغتان: فتح الميم مطلقاً واتباعها حركة الأعراب، وقرأ الحسن والزهري: بين المرّ بتشديد الراء من غير همز)، البحر المحيط ٣٠٣/٥.

[٢] - الكشاف، ٢١١/٢.

[٣] - ينظر المحتسب، ٢٧٥/١.

[٤] - سورة الأنفال: ٥٩.

[٥] - الكشاف، ٢٣١/٢.

(وقرأ ابن عامر وحمزة وحفص ولا يحسبن بالياء وقرا باقي السبعة بالتاء خطاباً للرسول أو السامع، .. وقرأ الأعمش (ولا يحسب) بفتح السين والياء من تحت وحذف النون)، البحر المحيط ٣٤٢/٥.

والملاحظ من هذا الاحتجاج الذي ساقه الزمخشري لتبيين بعض الوجوه الصرفية والنحوية ما يلي:-

أ- يشير الزمخشري من خلال عرضه للقراءة – إلى أنه يجوز حذف نون التوكيد الخفيفة والتعويض عنها بفتحة أو كسرة على حسب السياق.

ويجوز أيضاً حذف نون التوكيد الثقيلة، وإرادة النون الخفيفة، قال الشاعر:-

وسبح على حين العشيات والضحى .·. ولا تحمد المثرين والله فاحمدا[1] قال: فاحمدا وأراد احمدن، ومثله لا تعبد الشيطان والله فاعبدا[2]؛ أي: فاعبدن.

قال النحاس: (وهذا على إرادة النون الخفيفة)[3].

ب- جوّز الزمخشري على قراءة(يحسبن)بالياء أن يكون الفاعل هو(الذين كفروا) وخرّج ذلك على حذف المفعول الأول لدلالة المعني عليه ويرى أن التقدير:(لا تحسبن الذين كفروا أن سبقوا أنهم لا يعجزون)فحذفت(أن)وسد محلها مفعولي (يحسبن). والزمخشري قوّى هذا الوجه بقراءة عبدالله بن مسعود (أنهم سبقوا).

ج- وخرّج الزمخشري القراءة بالياء من نحو يحسبن على أن الفعل وقع على (أنهم لا يعجزون) على أن لا صلة وسبقوا في موضع الحال أي سابقين أو مفلتين هاربين.

د- وقف الزمخشري من قراءة حمزة (وَلاَ يَحْسِبَنَّ) بالياء موقف التضعيف حين قال: وهذه القراءة التي انفرد بها حمزة ليست بنيرة، وهذا غير صحيح لأن الإمام حمزة لم ينفرد بها، فلقد قرأ بها ابن عامر وعثمان بن عفان وحفص بن عاصم وأبو جعفر يزيد بن القعقاع، وأبو عبدالرحمن، وابن محيصن وعيسى والأعمش[4]، ويُفهم من كلام الزمخشري(وهذه الأقاويل كلها متمحلة)أنه لا يرتضي هذه الأوجه على الرغم من صحة هذه القراءات التي لا يمكن ردّها، ويرأيي لم يكن موفقا لعدة أسباب منها:-

١) لم ينفرد الإمام حمزة بهذه القراءة وقد أشرنا إلى ذلك.

---

[1]- ينظر ديوان الأعشى، ص١٨٧.

٢- هذا عجز بيت للأعشى، وشطره: فإياك والمبيتاتِ لاتقربنّها ولا تعبد الشيطان والله فاعبدا. من قصيدة قالها حين عزم على الإسلام فمدح رسول الله ﷺ ثم غلبت عليه شقوته فمات على كفره.

٤- إعراب القرآن للنحاس، ١٠٣/٢.

[4]- ينظر البحر المحيط لأبي حيان، ٣٤٢/٥، و٦٩٧/١.

٢) يرى أن قراءة الفتح من نحو يحسب،لم تأتِ على القياس أو على الكثير الشائع من كلام العرب وهذا غير صحيح لأن يحسب ماضيه حَسِبَ على وزن فعل بكسر العين وهو القياس دائماً؛لأنه كثر في كلامهم،فالفتح لغة بني تميم والكسرلغة الحجاز.

٣) في كلامه أن الفعل وقع على أنهم لا يعجزون على أن(لا)صلة فهذا التقدير لا ينطبق على قراءة الإمام حمزة؛ لأنه يقرأ بكسر الهمزة من(أنهم)ولو وقع الفعل عليه لفتح كما فعل من السبعة ابن عامر باعتبارها تعليل للنهي أي(لاَ تَحْسِبَنَّهُمْ فَائِتِينَ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْجِزُونَ).فالقراءة المشورة التي اشتهرت كاشتهار الشمس في النهار لا يمكن تضعيفها أو القول بأنها غير نيّرة.

٢٤- من احتجاج الزمخشري بالقراءات في القضايا النحوية والصرفية:-

يقول:(تُسَاقِطْ عَلَيكِ رُطَباً جَنِيًّا)[١]فيه تسع قراءات[٢]:تساقط بإدغام التاء، وتتساقط بإظهار التاءين،وتساقط بطرح الثانية،ويساقط بالياء وإدغام التاء وتساقط، وتسقط ويسقط،وتسقط تِسقط:التاء للنخلة، والياء للجذع،(ورطباً)تميز أومفعول على حسب القراءة وعن المبرد جوازانتصابه بهزّي وليس بذاك، والباء في بجذع النخلة) صلة للتأكيد، كقوله تعالي:﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أو على معني: افعلي الهز به كقوله:- * يجرح في عراقيبها نصلي *[٣]

والقراءات التي احتج بها الزمخشري في هذا النص هي :-

---

[١]- سورة مريم: ٢٥.

[٢]- (واختلفوا في (تساقط) فقرأ حمزة بفتح التاء والقاف وتخفيف السين ورواه حفص بضم التاء وكسر القاف وتخفيف السين أيضاً، وقرأ يعقوب بالياء على التذكير وفتحها وتشديد السين وفتح القاف واختلف عن أبي بكر فرواه العليمي كقراءة يعقوب، وكذلك رواه أبو الحسن الخياط عن شعيب عن يحيى عنه ورواه سائر أصحاب يحيى بن آدم عنه عن أبي بكر كذلك إلا أنه بالتأنيث، وبذلك قرأ الباقون)، النشر لابن الجزري ٢: ٢٣٨ – ٢٣٩ (وقرأ الجمهور (تساقط) بفتح التاء والسين وشدها بعد ألف وفتح القاف، وقرأ الأعمش وطلحة وابن وثاب ومسروق وحمزة كذلك إلا أنهم خففوا السين، وقرأ البزاء بن عازب والاعمش في رواية يساقط بالياء من تحت مضارع أساقط وقرأ أبو حيوة ومسروق تسقط بالتاء من فوق مضمومة وكسر القاف – وعن أبي حيوة كذلك إلا أنه الياء من تحت وعنه تسقط بالتاء من فوق مفتوحة وضم الف، وعنه كذلك إلاّ أنه بالياء من تحت)، البحر المحيط ٢٥٥/٧.

[٣]- الكشاف، ١٣/٣، وتتمة البيت: إن تعتذر بالمحل عن ذي ضروعها ** إلي الضيف يجرح في عراقيبها نصلي وهذا البيت الذي الزمه بمدح نفسه (انظر شاهد الإنصاف على شواهد الكشاف للشيخ محمد عليان المرزوقي على هامش الكشاف، ٥٧٨/٢.

أ- قراءة (تساقط):-

أصل هذه القراءة (تتساقط بتاءين، فلمّا سكنت التاء الثانية أدغمت في السين ثمّ شدّدت السين.إذن في هذه القراءة احتجاج لوجه صرفي، أجازه علماء العربية وهو إدغام المثلين وذلك لتخفيف وتسهيل النطق.

ب- قراءة (تتساقط) بتاءين، وهذه القراءة صحيحة، ومن قرأ بها جاء بها على أصل الفعل بتاءين.

ج- قراءة (تُساقط) بطرح التاء الثانية مع التخفيف، وحذف التاء الثانية لغرض التخفيف، فعلى هذه القراءة اجتمع حرفان متجانسان، وهما متحركان فثقل النطق بهما فحُذف الثاني لتسهيل النطق.

د- قراءة(يسّاقط) بالياء وإدغام التاء والمعني هنا ذهب إلى الجذع، وأصل هذه القراءة يتساقط، فالتاء ساكنة والسين متحركة فأدغمت التاء في السين فصارت يسّاقط. يقول الإمام الفرّاء رحمه الله(التشديد والتخفيف في المبدوء بالتاء والتشديد في المبدوء بالياء خاصة)[1] .

هـ- قراءة (تتساقط) (قرأ بها أصحاب عبدالله يريدون النخلة)[2].

و- قراءة (تسقط) و(يسقط) بالتاء للنخلة، وبالياء للجذع وقراءة (تُسْقِط عليك) قرأ بها أبو حيوة[3] وروى أيضاً (يسقط عليك) وفي هذا الحرف من القراءات: يسّاقط وتُسّاقط ويُساقط وتُساقط وتَسْقُط وتَسْقُطُ وتَسقِط وتساقط[4].

وخلاصة القول أن هذه القراءات يتسلط الفعل فيها على رطباً فيعربُه الزمخشري مفعولاً به أو تمييزاً على حسب سياق كل قراءة.

يلاحظ من كلام الزمخشري أنه ذيّل كلامه بعرض رأياً نحويّا للمبرد فقال: (وعن المبرد جواز انتصابه بهزى وليس بذاك)[5]. فالمبرد يري أن رطباً منصوب جوازاً بالفعل(هزى)والزمخشري يخالفه الرأي ويري أنه منصوب بالفعل تساقط أو يجوز إعرابه تمييزاً على حسب القراءة.ويري الزمخشري أيضاً أن الباء في (بجذع النخلة)

---

[1]- معاني القرآن للفرار، ١٦٦/٢.
[2]- المصدر نفسه، ١٦٦/٢.
[3]- البحر المحيط، ١٨٥/٦.
[4]- مختصر شواذ القراءات لابن خالوية، ص٨٤
[5]- الكشاف، ١٣/٣.

هي حرف جر يفيد الصلة للتأكيد كما في الآية الكريمة:-﴿وَلاَ تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[1]والباء-في اعتقاده- بدخولها أفادت التأكيد.

٢٥- تقوية بعض الوجوه الأعرابية: -

قال:(قرأ أبو عمرو:﴿إِنَّ هَذَيِنِ لَسَاحِرَانِ﴾[2]على الجهة الظاهرة المكشوفة، وابن كثير وحفص:"إنَّ هذان لساحران"على قولك:إن زيد لمنطق، واللام هي الفارقة بين أن النافية والمخففة من الثقيلة، وقرأ أبي:إن ذان لساحران،وقرأ ابن مسعود:إن هذان ساحران: بفتح أن وبغير لام بدل من النجوى، وقيل في القراءة المشهورة "إن هذان لساحران" هي لغه بلحرث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الأسماء التي آخرها ألف كعصا وسعدى، فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب، وقال بعضهم "أن" بمعني نعم "وساحران"خبر لمبتدأ محذوف واللام داخلة علي الجملة تقديره:لهما ساحران وقد أعجب به أبو إسحق)[3].

احتج الزمخشرى في هذا النص بعدة قراءات من أهمها:.

أ . قراءة أبي عمرو[4]:(إِنَّ هَذَيِنِ لَسَاحِرَانِ)

وصف الزمخشري هذه القراءة علي أنها جاءت على الجهة الظاهرة المكشوفة التي يقتضيها القياس النحوي الظاهر،فالمثنى إذا سبق بحرف نصب أو جاء في السياق في موضع نصب، نُصِب وعلامة نصبه الياء نيابة عن الفتحة.

ب . قراءة (إن هذان لساحران)

يرى الزمخشري أن حرف التوكيد(إن)هو في الواقع من إن المخففه، واللام التي في الخبر هي اللام الفارقة التي تفرق بين إن النافية والمخففة من الثقيلة وهذا معني قوله علي قولك:إن زيدٌ لمنطلق.

---

[1]- سورة البقرة:١٩٥.

[2]- سورة طه: ٦٣.

[3]- الكشاف جـ٣ ص٧٢ .

[4]- قال الإمام الفرّاء (وقرأ أبو عمرو (إن هذين لساحران) واحتج أنه بلغه عن بعض أصحاب محمد (ص) أنه قال: إن في المصحف لحنا وستقيمه العرب، ولست اشتهي على أن أخالف الكتاب وقرأ بعضهم (إن هذان لساحران خفيفة وفي قراءة عبدالله: (وأسروا النجوى أن هذان ساحران) وفي قراءة أبيّ (إن ذان إلا ساحران) فقراءتنا بتشديد (إنَّ) وبالالف على جهتين: احداهما على لغة بني الحارث بن كعب: يجعلون الاثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالالف ... والوجه الاخر أن تقول: وجدت الألف من هذا عامة وليست بلام فعل، فلما ثبت زدت عليها نونا ثم تركت الألف) ثابتة على حالها لا تزول على كل حال، كما قالت العرب الذي، ثم زادوا نوناً تدل على الجماع فقالوا: الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم كما تركوا هذان في رفعه ونصبه وخفضه وكناية يتولون: (اللذون) معاني القرآن للفرّاء، ١٨٣/٢ – ١٨٤.

والمبرد يقول: (وأحسن ما قيل في هذا: أن يجعل "إن" بمعني "نعم" والتقدير: نعم هذان لساحران فيكون ابتداءً وخبراً)[1]،والزمخشري مال إلي هذا الرأي وأجازه إلاَّ انه قدّر(ساحران)خبر لمبتدأ محذوف واللام جعلها داخلة علي الجملة والتقدير: لهما ساحران.

ج . قراءة أبي (إنْ ذانِ إلاَّ ساحران)

ذكر الزمخشري هذه القراءة بعد ذكره للقراءة المشهورة(إنَّ هذان)وهذا يؤكد لنا أنه قوّي بها وجه القراءة المشهورة قال ابن خالويه(إن أبيّاً قرأ:"إن ذانِ إلاَّ ساحران" وهذا يقوّى قراءة حفص وابن كثير)[2].

د . قراءة عبد الله بن مسعود:(إن هذان ساحران)بغير لام ووجهها الزمخشري علي أنها بدل من النجوى.

٢٦- يحتج الزمخشري بالقراءات في القضايا النحوية والصرفية معاً ويربطهما بالمعني،ويقوى القراءة بالقراءة،وكل هذه الوجوه يحتج بها مجتمعة في آن واحد ومن ذلك:قال:(و قرئ[3]:﴿وَخَالقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَاثَّ مِنْهَا﴾[4]بلفظ اسم الفاعل، وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره:وهو خالق و(تساءلون به)تتساءلون به،فأدغمت التاء في السين،وقرئ:(تساءلون)[5]بطرح التاء الثانية،أي يسأل بعضكم بعضاً بالله وبالرحم فيقول: بالله وبالرحم، أفعل كذا علي سبيل الاستعطاف، وأناشدك الله والرحم، أو تساءلون غيركم بالله والرحم، فقيل (تفاعلون) موضع (تفعلون) للجمع كقولك:رأيت الهلال وتراءيناه.وتنصره قراءة من قرأ:تسلون به، مهموز أو غير مهموز ،وقرئ:(والأرحام) بالحركات الثلاث، فالنصب علي وجهين:إماعلى: واتقوا الله والأرحام أو أن يعطف علي محل الجار والمجرور كقولك: مررت بزيدٍ وعمراً وينصره قراءة ابن مسعود تسألون به والأرحام،والجر علي عطف الظاهر علي المضمر،وليس بسديد،لأن الضمير المتصل متصل كاسمه،والجار والمجرور كشيء واحد،فكانا في قولك:(مررت به وزيد)(وهذا غلامه وزيد)شديدي الاتصال، فلما اشتد

---

[1]- إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالوية، ٣٧/٢.

[2]- المصدر نفسه، ٣٩/٢.

[3]- قال أبو حيان (وقرئ: وخالق منها زوجها وباث على أسم الفاعل وهو: خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق)، البحر المحيط ٤٩٨/٣.

[4]- سورة النساء: ١.

[5]- واختلفوا في (تساءلون) فقرأ الكوفيون بتخفيف السين وقرأ الباقون بتشديدها)، النشر ١٨٦/٢.

الاتصال لتكرره أشبه العطف علي بعض الكلمة،فلم يجز وجب تكرير العامل كقولك:(مررت به ويزيد)،وهذا غلامه وغلام زيد ألا تري إلي صحة قولك:رأيتك وزيداً(ومررت بزيد وعمرو)لمّا لم يقو الاتصال؛لأنه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها علي تقدير تكرير الجار ونظيرها * فما بك والأيام من عجب*)[1].

يلحظ من كلام الزمخشرى هذا أنه احتج بقراءات عديدة واحتجاجه كان للقضايا النحوية والصرفية،وفي احتجاجه هذا لم يفصل النحو والصرف عن المعني، فالزمخشري لا يهتم بالقاعدة النحوية والصرفية وحسب بل هو من أنصار المعني واللفظ معا، وأهم هذه القراءات :.

أ . قراءة (وَخَالقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَاثٌّ مِنْهَا) علي اسم الفاعل وجهها الزمخشري علي أنها خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو خالق وهو باث) .

ب . قراءة (تَتَساءلونِ) يقول الزمخشري أن أصل الفعل تتساءلون بتاءين الأول متحركة والثانية ساكنة فحذفت الأولي للتخفيف وأدغمت الثانية في السين، وفي إدغامها زيادة في المعني من ناحية الصناعة اللغوية.

ج . قراءة (تساءلون)بحذف التاء الثانية، والحذف هنا للتخفيف والزمخشري يميل إلي الرأي الذي يقول:تأتي(تفاعلون) موضع(تفعلون)للجمع كقولك:(رأيت الهلال وتراءيناه)، وانتصر لهذا الرأي بقراءة:(تسلون به) مهموزاً وغير مهموز.

د . قراءة (والأرحام) بالحركات الثلاث.

أولاً:قراءة(والأرحام)بالنصب وجّهها بوجهين هما: الأول: أن الأرحام منصوب؛ لأنه معطوف علي لفظ الجلاله و التقدير اتقوا الله والأرحام.

و الثاني أن يكون معطوفاً علي محل الجار والمجرور كقولك: مررتُ بزيد وعمراً، ومحل الجار و المجرور أن يكونا متعلقين تقديراً بمفعول به محذوف يُفهم من سياق المعني.وقوّى الزمخشري هذا الرأي الأخير بقراءة عبدالله بن مسعود (تساءلون به وبالأرحام).

---

[1]- الكشاف ٤٦٢/١ – ٤٦٣، وتتمة البيت = فاليوم قربت تهجونا وتشتمنا:: فاذهب فما بك والأيام من عجبِ.
والبيت للاعشى.
ينظر الشاهد في الكتاب: ص٤٠٤، وخزانة الأدب: ١٢٣/٥، وشرح المفصل: ٧٨/٣، والبحر المحيط: ٤٩٨/٣.

ثانياً: قراءة (والأرحام) بالجر عطفاً علي الضمير المجرور يرى الزمخشري أنه ليس بسديد لعدة أسباب وهي كما يراها:-

أ . إن الضمير المتصل متصل كاسمه، والجار والمجرور كشيء واحد .

ب . لا يجوز عطف الاسم الظاهر علي الضمير المجرور إلاّ بإعادة العامل قال: (فلمّا اشتدّ الاتصال لتكرره أشبه العطف علي بعض الكلمة،فلم يجز،ووجب تكرير العامل كقولك: مررت به ويزيد وهذا غلامه و غلام زيد) ويري إن هذا الوجه تمحل لصحة هذه القراءة بأنها علي تقدير تكرير الجار.يقول أبو حيان الأندلسي (وما ذهب إليه أهل البصرة وتبعهم فيه الزمخشري وابن عطية:من امتناع العطف علي الضمير المجرور إلا بإعادة الجار، ومن اعتلالهم لذلك غير صحيح، بل الصحيح مذهب الكوفيين في ذلك، وأنه يجوز وقد أطلنا الاحتجاج في ذلك عند قوله تعالي: ﴿وكفر به والمسجد الحرام﴾[1].

ثالثاً: قراءة (والأرحامُ)بالرفع.

وجّهها الزمخشري علي أن الواو للاستئناف والأرحام مبتدأ وخبره محذوف، قال:(كأنه قيل:والأرحام كذلك)[2]، وارتضى هذا الوجه واستحسنه كما فعل ابن جنى الذي قال:(ينبغي أن يكون رفعه علي الابتداء وخبره محذوف أي والأرحام مما يجب أن تتقوه، وحسن رفعه؛ لأنه أكد في معناه)[3].

---

[1]- البقرة:١١٧. ينظر البحر المحيط لأبي حيان، ٤٩٩/٣. وقال ابو حيان (العطف المضمر المجرور فيه مذاهب، أحدها: أنه لا يجوز إلا بإعادة الجار إلا في الضرورة فإنه يجوز بغير إعادة الجار فيها، وهذا مذهب البصريين. والثاني: أنه يجوز ذلك في الكلام، وهو مذهب الكوفيين، ويونس وأبي الحسن والأستاذ أبي علي الشلوبين. والثالث: أنه يجوز ذلك في الكلام إن أكد الضمير وإلا لم يجر في الكلام نحو: مررت بك نفسك وزيد وهذا مذهب الجرمي والذي نختاره أنه يجوز ذلك في الكلام مطلقاً، لأن السماع يعضده والقياس يقويه أما السماع فما روى من قول العرب: ما فيها عنده وفرسه بجر الفرس عطفاً على الضمير في غيره .. وأما القياس: فهو أنه كما يجوز أن يبدل منه ويؤكد من غير إعادة جار، كذلك يجوز أن يعطف عليه من غير إعادة جاره ومن احتج للمنع بأن الضمير كالتنوين فكان ينبغي أن لا يجوز العطف عليه إلا مع الإعادة، لأن التنوين لا يعطف عليه بوجه، البحر المحيط، ٣٨٧/١ – ٣٨٨. وينظر الأنصاف للأنباري٢: ٤٦٣.

[2]- الكشف، ٤٦٢/١.

[3]- المحتسب لابن جني، ١٧٩/١ – ١٨٠.

٢٧ . وقال الزمخشرى أيضاً (غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ)[١]قُرِئ[٢]بالحركات الثلاث فالرفع صفة ل(القَاعِدُونَ)،والنصب استثناء منهم أو حال عنهم،والجرّ صفة للمؤمنين)[٣].

استدل الزمخشري بالقراءات الثلاث علي صحة بعض الأوجه النحوية وهي:-

أ- قراءة (غير أولى الضرر) بالرفع، يري الزمخشري أنها وقعت صفه لكلمة (القاعدون) من نحو قوله تعالي:- ﴿لاَ يَسْتَوِي الْقَعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ويري الفرّاء أن اقتران(غير)بالقاعدين يكاد يوجب الرفع، لأن الاستثناء ينبغي أن يكون بعد التمام[٤].

ب . قراءة (غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ) بالكسر خرّجها الزمخشري علي أنها صفه للمؤمنين.

ج . قراءة (غيرَ أولي الضرر) بالنصب خرّجها علي أنها استثناء منهم أو حال عنهم، فالاستثناء من القاعدين، وقيل: انتصب علي الحال من القاعدين.

والزمخشري بذكره قصة نزول هذه الآية وما كان من ابن أم مكتوم عندما سمع هذه الآية) قال وكان أعمي . (يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد) فنزلت ﴿غيرَ أولي الضرر﴾ علي النصب تبيّناً لحاله.

يؤيد الزمخشري هذا الوجه ويفضله؛ لأن القراءة نزلت بعد ذكر فضل المجاهد علي القاعد، فكان الوجه كما يري الاستثناء.

٢٨ . ومن استدلال الزمخشرى بالقراءات علي بعض الوجوه النحوية قال: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾[٥]رفعها علي الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه قيل: وفيما فرض عليكم السارق والسارقة أي حكمهما، ووجه آخر وهو: أن يرتفعا والخبر (فاقطعوا أيديهما) ودخول الفاء لتضمنها معني الشرط؛ لأن المعني: والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا أيديهما والاسم الموصول يضمن معني الشرط، وقرأ[٦] عيسي بن عمر

---

[١]- سورة النساء: ٩٥.

[٢]- (واختلفوا في غير أولي الضرر فقرأ المدنيان وابن عامر والكسائي وخلف بنصب الراء وقرأ الباقون برفعها وتقدم)، النشر ١٨٩/٢، وقرأ الأعمش وأبو حيوة: بكسرها)، ينظر البحر المحيط:٣٥/٤.

[٣]- الكشاف، ٥٥٣/١.

[٤]- ينظر معاني القران للفرّاء، ٢٨٣/١ – ٢٨٤.

[٥]- سورة المائدة: ٣٨.

[٦]- وقرأ لجمهور والسارق والسارقة بالرفع وقرأ عبدالله السارقون والسارقات، وقرأ عيسى بن عمر وابن أبي عبلة: والسارق والسارقة بالنصب، البحر المحيط، ٢٤٦/٤.

بالنصب، وفضّلها سيبويه علي قراءة العامة لأجل الأمر، لأن (زيداً فاضربه) أحسن من (زيدٌ فاضربه)[1].

احتج الزمخشري بالقراءات، في هذا النص للوجوه النحوية التالية: وعلل أسبابها وهي:-

أ. قراءة العامة (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ) بالرفع

خرج الزمخشري وجهها علي أنهما رفعا علي الابتدأ والخبر (فاقطعوا أيديهما) وعلل دخول الفاء لأن السياق تضمن معني الشرط، وذكر الزمخشرى أن هذا الرأي هو رأي سيبويه و يري الزمخشري أن رأي سيبويه هو الأقوى من ناحية الصناعة اللغوية.

قال ابن المنير:(والرفع علي وجهين: أحدهما ضعيف وهو الابتداء وبناء الكلام علي الفعل،والأخر قوي بالغ كوجه النصب، وهو رفعه علي خبر ابتداء محذوف دلّ عليه السياق، وحيثما تعارض لنا وجهان في الرفع، وأحدهما قوي والآخر ضعيف تعيّن حمل القراءة علي القوي كما أعربه سيبويه)[2].

ب . قراءة (وَالسَّارِقَ وَالسَّارِقَةَ) بالنصب، وهي قراءة عيسي بن عمر ومن قبله ابن اسحق وغيرهما.

فضل الزمخشري وجه هذه القراءة لقوة وجهها اللغوي والبلاغي مقتدياً في ذلك بالعلامة سيبويه وعلل ذلك بقوله:لأجلِ الأمر فإذا كان حد الكلام الأمر والنهي كان النصب أفضل.

٢٩. ومن احتجاجه بالقراءة لنصرة وجه نحوي يفضله قال:(وقرأ الأعمش[3] (جواب قومه)[4] بالرفع والمشهورة أحسن)[5].

الملاحظ من كلامه أنه يحتج لوجه نحوي ويقويّه بالقراءة المشهورة وهو: إذا كان أحد المعمولين المعرّفين للفعل الناسخ مصدراً مؤولا -كما هو الحال في الآية

---

[1] ـ الكشاف، ٦٣١/١.

[2] - الانتصاف من ا لكشاف لأحمد بن المنير وهو على هامش الكشاف، ٦٣١/١.

[3] - (وقرأ الجمهور (جواب) بالنصب، والحسن وابن أبي إسحاق بالرفع، البحر المحيط، ٢٥٥/٨.

[4] - سورة النمل : ٥٦.

[5] - الكشاف، ٣٧/٣.

الكريمة–﴿فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا ءال لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون﴾، فالأقوى أن يقضي باسميته.

فضّل ورجّح الزمخشري وجه النصب علي الرفع بقوله والنصب أقوى وعلل ذلك عند شرحه لقوله تعالي: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1].

بقوله: (وعن الحسن: قول المؤمنين بالرفع والنصب أقوى؛ لان أولي الاسمين بكونه اسماً لكان أوغلهما في التعرف وأن يقولوا: أوغل؛ لأنه لا سبيل عليه للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ﴿مَا كَانَ لِلهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ﴾ ﴿مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾، وظاهر الأمر أن الزمخشري أيّد سيبويه في هذا الرأي قال سيبويه ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُواْ﴾ فأن محمولة علي كان، كأنه قال: فما كان جواب قومه إلاَّ قولُ كذا و كذا، وإن شئت رفعت الجواب فكانت أن منصوبة)[2].

٣٠ . ومن القراءات التي احتج بها الزمخشري لوجه نحوي:–

قال (وقرأ اليزيدي ﴿وَإِنَ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ﴾[3] بالرفع، ووجهها أن تكون "كان" مزيدة كما في قوله: وجيران لنا كانوا كرام[4]، والأصل: وإن هي لكبيرة كقولك: إن زيد لمنطق تمّ، وإن كانت لكبيرة)[5].

خرّج الزمخشري (كان)علي أنها مزيدة، وكثير من العلماء لا يقولون بزيادتها وهذا الرأي الصحيح الذي يجب أن نميل إليه؛ لأن القرآن منزه عن الزيادة والنقصان ويمكن تخريجها علي أنها أعطت معنيً توكيدياً، قال الأشموني:(تمّ إن القول بزيادة كلمة في كتاب الله تعالي دون دليل قوي أومقتضى ظاهر يحسن البعد عنه،والتفتيش عن غيره كأن تجعل كان تامة في هذه الآية علي قراءة اليزيدي وهي شاذة إذ الزيادة خلاف الأصل)[6].

---

[1]- سورة النور: ٥١.
[2]- الكتاب لسيبويه، ١٣٥/٣، وانظر ٥٠/١.
[3]- سورة البقرة: ١٩٣.
[4]- تتمة البيت: فكيف إذا مررت بدار قوم .·. وجيران لنا كانوا كرام، والبيت للفرزدق، انظر الكتاب ١٥٣/٢، والمقتضب ١١٦/٤، ومغنى اللبيب ٢٨٧/١، والاتقان في علوم القرآن ٢٠٧/١.
[5]- الكشاف: ٢٠١/١.
[6]- شرح الاشموني على الألفية، ١/ ٢٣٩ – ٢٤٢.

٣١- قد يضعف الزمخشري وجه القراءة؛لأنها برأيه تخالف القياس والاستعمال:-

قال . رحمة الله .﴿إِنْ كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾[١]، إن كانت الأخذة أو العقوبة إلاَّ صيحة واحدة، و قرأ أبو جعفر المدني[٢] بالرفع علي كان التامة، أي: ما وقعت إلاَّ صيحة، والقياس و الاستعمال علي تذكير الفعل؛ لأن المعنى: ما وقع شيء إلاَّ صيحة، ولكنه نظر إلي ظاهر اللفظ وأن الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن: فأصبحوا لا ترى إلاّ مساكنهم، وبيت ذي الرمة (وما بقيت إلاَّ الضلوع الجراشع)[٣].

وما يلاحظ من كلام الزمخشري أنه يعترض علي وجه قراءة الرفع بسبب لحوق تاء التأنيث الفعل، ولحوق تاء التأنيث الفعل إذا كان الفاعل مؤنثا يجوز في للضرورة الشعرية فقط، كما في البيت الشعري ما بقيت إلاَّ الضلوع الجراشع والأصل ما بقي إلا الضلوع الجراشع. واعترض الزمخشري علي هذه القراءة لسببين الأول: لأنها عارضت القياس، والثاني: لأنها لم تلائم المعني إذا المعني: ما وقع شيء إلاَّ صيحة.

٣٢- يحتج الزمخشري علي صحة وجه نحوي، ويبينُ المعني المراد من وجه القراءة، وهو بذلك: يربط القاعدة النحوية بالمعني البليغ لان النحو هو البلاغة بمعانيها، قال مفسراً قوله تعالي:﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾[٤](قد)نقيضة(لما) وهي تثبت المتوقع و(لمّا) تنفيه،ولاشك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه البشارة،وهي الأخبار بثبات الفلاح لهم، فخاطبوا بما دل علي ثبات ما توقعوه والفلاح:الظفر بالمراد، وقيل: البقاء في الخير، و(أفلح) دخل في الفلاح كأبشر: دخل في البشارة، ويقال: أفلحه: أصاره إلي الفلاح، وعليه قراءة طلحة بن مصروف[٥]: أفلح على البناء للمفعول

---

[١]- سورة يس: ٢٩.

[٢] - (وقرأ أبو جعفر، وشيبه، ومعاذ بن الحارث القارئ: صيحة بالرفع في الموضعين على أن كانت تامة)، البحر المحيط ٦٠/٩.

وقال أبو حيان أيضاً: (ومثله قراءة الحسن، ومالك بن دينار، وأبي رجاء، والجحدري، وقتادة، وأبي حيوة، وابن أبر عبلة، وأبي بحرية: لا ترى إلا مساكنهم بالتاء، والقراءة المشهورة بالياء)، ينظر ٦٠/٩.

[٣]- الكشاف، ١٢/٤.

[٤]- سورة المؤمنون: ١.

[٥]- (وقرأ طلحة بن مصرف وعمرو بن عبيد (قد أفلح المؤمنون) بضم الهمزة وكسر اللام مبنياً للمفعول، ومعناه ادخلوا في الفلاح فاحتمل أن يكون من قلح لازماً او يكون أفلح يأتي متعدياً ولازماً، وقرأ طلحه أيضاً بفتح الهمزة واللام وضم الحاء، قال عيسى بن عمر: سمعت طلحة بن مصرف يقرأ: قد أفلحوا المؤمنون، فقلت له: أتلحن، قال : نعم، كما لحن أصحابي، وليس بلحن، لأنه على لغة أكلوني البراغيث)، البحر المحيط ٥٤٦/٧.

وعنه:أفلحوا،علي:أكلوني البراغيث أو علي الإبهام والتفسير، وعنه: أفلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقوله: * فلو أنَّ الاطِبَّا كان حولي)[1].

٣٣. ويحتج أيضاً بالقراءة لوجه نحوي، ويقوى هذا الوجه بقراءة اخري:-

قال:معلقاً علي قوله تعالي:﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحاً إِنْ كُنْتُمْ قَوْماً مُسْرِفِينَ﴾[2]، والفاء للعطف علي محذوف تقديره:أنهملكم فنضرب عنكم الذكر، إنكاراً؛ لأن يكون الأمر علي خلاف ما قدم من إنزاله الكتاب، وخلقه قرآناً عربياً[3] ليعقلوه ويعملوا بمواجبه، وصفحاً علي وجهين:إما مصدر من صفح عنه: إذا أعرض، منتصب على أنه مفعول له على معنى:أفنعزل عنكم إنزال القرآن، وإلزام الحجة به إعراضاً عنكم. وإما بمعنى الجانب من قولهم نظر إليه بصفح وجهه على معنى: أفننحيّه عنكم جانباً، فينتصب علي الظرف كما تقول: ضعه جانباً، وامشِ جانباً، وتعضده قراءة من قرأ[4]:صُفحاً بالضم، وفي هذه القراءة وجه آخر: وهو أن يكون تخفيف صفح جمع صفوح، وينتصب علي الحال أي: صافحين معرضين)[5].

والزمخشري ينتصر هنا لعدة وجوه نحوية وهي:-

١) العطف من نحو (أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ) هنا علي محذوف، ويرى أن الهمزة في محلّها الأصلي . وهو حق الصدارة . والعطف علي جملة مقّدرة بينها وبين العاطف، وهو بهذا الرأي يخالف جمهور النحاة[6] .

٢) يري أنه يجوز أن يكون (صفحاً) منصوب على أنه مفعول له، ويجوز أن يكون منصوب علي الظرفية على معنى: ننحيّه عنكم جانباً.

---

[1]- الكشاف، ١٧٤/٣، هذا البيت لم ينسب صاحب الخزانه، وأورده صاحب الكشاف في سورة المؤمنين شاهداً لقراءة من قرأ: (قد أفلح) بضم الحاء اجتزاء بالضمة عن الواو، والأصل قد أفلحوا على لغة أكلوني البراغيث) خزانة الأدب، للبغدادي، ٢٣١/٥.

[2]- سورة الزخرف: ٥.

[3]- قوله: (وخلقه قرآناً عربياً) هذا كلام المعتزلة بمعنى جعل بخلق عنهم.

[4]- (وقرأ حسان بن عبدالرحمن الضبعي والسميط بن عمير، وشميل بن عذرة: بضم الصاد، والجمهور: بفتحها)، البحر المحيط ٣٥٩/٩.

[5]- الكشاف، ٢٣٧/٩.

[6]- ينظر الكتاب ١٨٧/٣ ــ ١٨٩، وشرح الكافية ٣٦٨/٢، .ومغني اللبيب ١٦/١، وهمع الهوامع ٦٩/٢، وكتاب نحو الزمخشري بين النظرية والتطبيق لزكريا شحاته ولقد حدد شحاته الأماكن التي تتطرّد فيها هذه الهمزة من أي الذكر الحكيم وهي الآية ١٠٠ من سورة البقرة، الأعراف ٦٣، الإسراء ٦٨، السجدة ٢٦، سبأ، الصافات ٥٨، الزمر ١٩، الزمر ٤٣، الزخرف ٢٤، الجاثية ٣١، وقال شحاته: (على أنه عاد فرأي رأي الجمهور في الآيات (٩٥، ٩٦، ٩٧ من سورة الأعراف) نحو الزمخشري بين النظرية والتطبيق، ص٢١٨.

٣) ويجوز أن يكون (صفحاً) منصوب علي الحال أي بمعني (صافحين) وقوّى هذا الرأي الأخير بقراءة صُفحاً بضم الصاد.

المبحث الثالث

الحجاب الذعشي بالقصلات في القضايا الدلالية

احتجاج الزمخشري بالقراءات في القضايا الدلالية

لايخفى على أحد أن الزمخشري عالم باللغة، يستبطن معنى القراءة، ويعمل عقله وفكره في معانيها المختلفة، كاشفاً من خلالها بذلك عمّا وراء الآيات القرآنية من دلالات مختلفة؛ إما للغة أو للمعنى أو ليبيّن وجه بلاغي، تمثل القراءة المفضلة عند الزمخشري، تلك التي توافق النسق المعنوي، والنحوي والبلاغي التي تحفظ على الأسلوب القرآني جماله وقوّة معناه.

يقتضي التنبيه على أمر وهو أن الزمخشري عند احتجاجه بالقراءات قد يجمع بين الاحتجاج النحوي والصرفي والدلالي على السواء، فرعايته المعنى أولاً ورعاية الصناعة النحوية ثانياً جعلته يسير وفق النظم[1]الذي يهتم بالكلم والمعنى، فالنظم عنده لا يتأتى إلاّ بالاهتمام بالقواعد النحوية والصرفية مع المعنى واللفظ.

يقول الزمخشري:(ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ، وشهد لصحته، وإلا كان منه بمنزلة الأروى من النعام، ومن حق مفسر كتاب الله الباهر، وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه، والبلاغة على كمالها، وما وقع به التحدي سليماً من القادح، فإذا لم يتعهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل)[2].

يحتج الزمخشري بالقراءات في القضايا الدلالية على لغة تكلم العرب بها، أو ليعرّف القارئ مدى صحة بعض اللغات، أو ليدلّ على ألفاظ معيّنة يقوم بشرحها، أو ليوضّح معنى بلاغياً تولّد من القراءات.

وحسب رأيي أن الزمخشري لا يفصل بين هذه الأمور اللغوية عند احتجاجه بالقراءة، والأمثلة التي تعبر عن هذه المظاهر كثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:-

---

[1]- يقول الدكتور: عبدالعزيز عبده أبو عبدالله: (أن الزمخشري هو أول من أطلق على مباحث النظم: علم المعاني، وقد تابع السكاكي (الكشاف) في ذلك كما يتضح ذلك من مقدمة الكشاف التي نص فيها على أن علمي البيان والمعاني هما من ألزم اللوازم لمن يتعرض للتفسير، ولقد تولى الزمخشري تفصيل قضية النظم في تفسير الكشاف؛ فوقف عند آيات الذكر الحكيم جميعها آية آية ليتبين ما يتعلق بكل نص قرآني من مسائل المعاني والبيان)، ينظر المعنى والإعراب عند النحويين والعامل للدكتور عبدالعزيز عبده أبو عبدالله، منشورات الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، طرابلس-ليبيا، ط١، ١٩٨٢، ص(٥٨٩-٥٩٠).

[2] - الكشاف، ٦٨/١.

١- ذكرنا آنفاً أن الزمخشري يسوق القراءة للاحتجاج لوجهين في آنٍ واحدٍ، ومن هذه المظاهر قراءة (نستعين) بكسر النون.

احتج الزمخشري بهذه القراءة لوجه صرفي ذكرناه سابقاً وأيضاً احتج بها ليوضح لغة مشهورة من لغات العرب، وهو لم يذكر في الكشاف صاحب هذه اللغة، ولم يحدد قبيلة بعينها تكلمت بها.

أشار العلماء إلى هذه اللغة ذاكرين من تكلم بها من القبائل العربية.

قال أبو جعفر النحاس: (وقرأ يحي بنُ وثّاب والأعمش (نستعين) بكسر النون، وهذه لغة تميم وأسد، وقيس وربيعة)[١].

وقال ابن الجزري: (وقرأ يحي بن وثّاب "تستعين" بكسر النون الأولى وهي لغة مشهورة حسنة)[٢].

وقال أبو حيان عنها (وفتح نون نستعين قرأ بها الجمهور، وهي لغة الحجاز، وهي الفصحى، وقرأ عبيد بن عمير الليثى، وزرين حبيش، ويحي بن وثّاب، والنخعي والأعمش بكسرها وهي لغة قيس، وتميم، وأسد، وربيعة، وكذلك حكم حرف المضاعة في هذا الفعل وما أشبهه، وقال أبو جعفر الطوسي: هي لغة هذيل)[٣].

وخلاصة الأمر أن الزمخشري عندما يعرض قراءتين أو أكثر في موضع واحد عند تفسيره الآية الكريمة يتوسع في رواية القراءات؛ فيأتي بالقراءة المشهورة والشاذة وبالغة الشذوذ، ويفاضل فيما بين هذه القراءات، ويوضح اللغات التي تحتويها هذه القراءات ويخبرنا بأن اللغات التي بيّنها من خلال القراءات لا تقل فصاحة عن اللغة التي وردتْ في القراءة المشهورة.

٢- يسوق الزمخشري القراءة؛ فيقوي بها تفسيره، ويوضح بها دلالات المعاني، ومن ذلك يقول: في سياق قوله تعالى:(﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الحَقَّ﴾)[٤]، فيه أربع قراءات، المشهورة: وحقيق عليّ أن لا أقول وهي قراءة نافع، وحقيق أن لا أقول وهي قراءة عبدالله، وحقيق بأن لا أقول وهي قراءة أبي وفي المشهورة إشكال،

---

[١] - إعراب القرآن للنحاس، ٢٠/١.
[٢] - النشر لابن الجزري، ٤٣/١.
[٣] - البحر المحيط لابن حيان، ٤٢/١.
[٤] - سورة الاعراف:١٠٥.

ولا تخلو من وجوه أحدها: أن تكون مما يقلّب الكلام لأمن الإلباس كقوله:-

* وتشقى الرّماحُ بالضياطرة الحُمرِ[1] *

ومعناه: وتشقى الضياطرة بالرماح، وحقيق علىّ أن لا أقول وهي قراءة نافع والثاني:أن ما لزمك فقد لزمته، فلمّا كان قول الحق حقيقاً عليه كان هو حقيقاً على قول الحق أي لازماً له، والثالث: أن يضّمن (حقيق) معنى حريص، كما ضمّن هيجنى معنى ذكرني في بيت الكتاب[2]، والرابع -وهو الأوجه- الأدخل في نكت القرآن: أن يَعرق[3] موسى في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لاسيما وقد روى أن عدو الله فرعون قال له-لما قال ﴿إني رسول من ربِّ العالمين﴾ كذبت فيقول: أنا حقيق على قول الحق أي واجب علىّ قول الحق...)[4].ويلحظ متتبع هذا الشرح المحكم للآية الكريمة أن الزمخشري قد قوّى تفسيره بالقراءات، وانتصر للمعنى اللغوي والنحوي فِي آن واحد، فالنحو عنده وليد المعنى؛ وإذا أراد أن يصل إلى المعنى فإنه يتوصل إليه عن طريق نظم النحو.

يحتج الزمخشري في هذا النص بأربع قراءات وهي كالآتي:-

أ- القراءة المشهورة من نحو قوله تعالي:﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الحَقَّ﴾[5]. وردت لفظة(على)في هذه القراءة حرف جر بمعنى الباء، ويرى الزمخشري أن في هذه القراءة إشكالاً ولا تخلو من وجوه من ناحية المعنى، وهذه الوجوه كما أشار إليها هي:-

١) أن تكون مما يُقلّب من الكلام لأمن الإلباس أي أن الكلام يحتمل من ناحية

---

[1] - تتمة البيت: نزلت بخيل لاهوادة بينها .·. وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر، والبيت لخداش بن زهير مخاطباً قومه، ينظر شرح ديوان الحماسة.

[2] - يعني بالكتاب كتابه سيبويه والبيت هو (إذا تغنى الحمام الورق هيجنى : ولو تغربت عنها أم عمار، قال الخليل-رحمه الله- لما قال هيجنى عرف أنه قد كان ثم تذكر لتذكرة الحمام وتهييجه، فألقى تلك الذي قد عرف منه على أم عمار والبيت للنابغة الذبياني، الكتاب ٢٨٦/١، ولم ينسبه ابن جنى في الخصائص، ٤٢٤/٢، والشاهد فيه (نصب (أم عمار) بفعل دل عليه ما قبله؛ لأن (هيجنى) تدل على (فذكرني).

[3] - يغرق: فعل مضارع من أغرق: إذا استوفى المدى، والفعل مأخوذ من أغرق النازع في القوس، وأغرق موسى: استوفى الكلام في وصف نفسه بالصدق والصفات الحميدة.

[4] - الكشاف، ١٣٦/٢-١٣٧.

[5] - قرأ بها جميع القرّاء ما عدا نافع، فقرأ بها أبو جعفر وأبو عمرو وأهل مكة وأهل الكوفة، البحر المحيط ٣٥٦/٤. وفي النشر (قرأ نافع (علىّ) بتشديد الباء وفتحها على أنها باء الإضافة، وقرأ الباقون (على) أنها حرف جر، النشر ٢٠٣/٢

المعنى أن يكون مقلوباً من الناحية النحوية من حيث التقديم والتأخير، ويحتمل أن يكون مقلوباً من الحقيقة إلى المجاز لوجه من المبالغة، كما قال الشاعر: نزلت بخيل لا هوادة بينها:وتشقى الرماح بالضياطره الحمر، والمعنى هنا نزلت بمجموعة من الفرسان؛ لأن الخيل هنا كناية عن الفرسان، ولا هوادة بينها لا يرجى صلحهم، وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر المعنى هنا: تشقى الضياطرة من طعن الرماح، والضياطرة مفردها ضيطر، وهو الرجل الضخم الجبان، فالرماح لا تشقى على هذا المعنى وإنما الذي يشقى هو الضيطر فالحقيقة إذاً تقتضي شقاء الضياطرة بطعن الرماح، ولكن قلبت الحقيقة إلى المجاز على سبيل المبالغة عن طريق الاستعارة المكنية. ويتفق الألوسى مع الزمخشري في كون هذه الآية تحتمل أوجهاً من المبالغة، وهو ما يطلق عليه القلب للتوسع اللغوي، يقول في ذلك:﴿حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلاَّ الحَقَّ﴾ جواب لتكذيبه عليه السلام المدلول عليه بقوله سبحانه:﴿فَظَلَمُواْ بِهَا﴾وحقيق صفة رسول أو خبر بعد خبر، وقيل: خبر مبتدأ محذوف أي أنا حقيق وهو بمعنى جدير و(على) بمعنى الباء كما قال الفرّاء أو بمعنى حريص و(على) على ظاهرها، قال أبو عبيدة أو بمعنى واجب واستشكل بأن قول الحق هو الواجب على موسى عليه السلام لا العكس والكلام ظاهر فيه، وأجيب بأن أصله (حقيق عليّ) بتشديد الباء كما في قراءة نافع ومجاهد (أن لا أقول) الخ فقلب لأمن الالتباس كما في قول خراش بن زهير:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ حَتَى تَعَلَّجُواْ ∴ قَوَادِمُ حَرْبٍ لاَ تَلِينُ وَلاَ تَمْرِي[1]

وضعف بأن القلب سواء كان قلب الألفاظ بالتقديم والتأخير كخرق الثوب المسمار أم قلب المعنى فقط كما هنا إنما يفصح إذا تضمن نكته كما في البيت، وهي فيه الإشارة إلى كثرة الطعن حتى شقيت الرماح بهم لتكسرها بسبب ذلك، وقد أفصح عن هذا المتنبي بقوله:-

والسيفُ يَشْقَى كَمَا تَشْقَى الضُّلُوعُ بِهِ ∴ وَلِلسُّيوفِ كَمَا لِلنَّاسِ آجَالُ[2]

١- البيت لخداش العامري. ينظر الموسوعة الشعرية.

٢ - ديوان أبو الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبط وتصحيح الدكتور كمال طالب، ٢٩٦/٣، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤١٨هـ/٢٠٠٧م. ورواية البيت في الديوان هي:
القاتل السيف في جسم القتيل به ∴ وللسيوف كما للناس آجال. وورد في روح المعاني ١٩/٥-٢٠.

يوجد وجه آخر وهو أن يكون المعنى أنه بالغ في ضخمهم حتى كأنّ الرماح تتعب من طعنهم، وعلى هذا المعنى يستبعد أن يكون الكلام مقلوباً، وأجاز الزمخشري أن يكون القلب لأمن اللبس كقولهم خرق الثوب المسمار.

يرى الإمام أحمد بن المنير أن هذا الوجه غير فصيح قال: (والوجه الثاني: قلب معرى عن هذا المعنى البليغ؛ ولذلك لا يستفصح كقولهم خرق الثوب المسمار وأشباهه وعلى الوجه الأول الأفصح جاءت الآية على هذه القراءة)[1].

قال أبو حيان الأندلسي معترضاً على الزمخشري (وأصحابنا يخصون القلب بالشعر ولا يجيزونه في فصيح الكلام، فينبغي أن ننزه القراءة عنه وعلى هذا يصير معنى هذه القراءة معنى قراءة نافع) ، وبرأيي أن القلب المجازي يجوز في شرح معاني القرآن الكريم؛ ولذلك مال إليه الزمخشري. فالمفسرون مهما أوتوا من عِدة وعتاد وأدوات لا يستطيعون الوصول إلى منتهى كلام الله تعالى. وما الزمخشري إلاّ عالمٌ مجتهدٌ يبحث عن المعاني الجليلة للنص القرآني.

٢) المعنى الثاني: أشار الزمخشري إليه من قوله (إن ما لزمك فقد لزمته)[2] وهذه العبارة يقصد بها أن الكلام تضمن معناً فُهم من سياق الكلام؛ وهو: لمّا كان قول الحق حقيقاً على موسى واجباً عليه كان هو حقيقاً على قول الحق لازماً له.

يقول الألوسي:(... وبأن بين الواجب ومن يجب عليه ملازمة فعبّر عن لزومه للواجب بوجوبه على الواجب كما استفاض العكس وليس هو من الكناية الإيمائية كقول البحتري:-

أَوَ مَا رَأَيتَ الجُودَ أَلقَى رِحْلَه .·. في آل طلحة ثمّ لم يتحولِ

بل هو تجوز فيه مبالغة حسنة، وبأن ذلك من الاغراق في الوصف بالصدق بأن يكون قد جعل قول الحق بمنزله رجل يجب عليه شيء ثمّ جعل نفسه أي قابليته لقول الحق وقيامه به بمنزلة الواجب على قول الحق فيكون إستعارة مكنية وتخيلية، والمعنى أنا واجب على الحق أن سعى في أن أكون قائله والناطق به، فكيف يتصور مني الكذب واعترضه القطب الرازي وغيره بأنه إنما يتم لو كان هو حقيقاً على قول

---

[1] - الانتصاف للامام أحمد بن المنير الاسكندري، على هامش الكشاف ١٣٧/٢.

[2] - اعترض الشيخ أحمد بن المنير بحجة عقليّة مفادها أن اللزوم قد يكون من طرف واحد دون الآخر فلا يكون دائماً من الطرفين) ينظر الانصاف ١٣٧/٢.

الحق، وليس كذلك بل على قوله الحق، وجعل قوله الحق بحيث يجب عليه أن يسعى في أن يكون قائله لا معنى له وأجيب بأن مبنى ذلك على أن المصدر المؤول لابد من إضافته إلى ما كان مرفوعاً به وليس بمسلم فإنه قد يقطع النظر عن ذلك)[1].

٣) المعنى الثالث:أن يتضمن (حقيق) معنى حريص أو جدير أو خليق أو واجب عليه أن يفعل وعلى هذا فمعنى (حقيق عليّ ألا أقول على الله إلاّ الحق) أي واجبٌ عليّ أو جدير بأن أفعل أو حريص على قول الحق وهكذا.

٤) المعنى الرابع:أن يستوفي موسى في وصف نفسه بالصدق ويعاهد الله عليه في هذا المقام ويرى الزمخشري أن الذي يؤكد هذا المعنى أن فرعون عندما قال موسى– عليه السلام–﴿إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾[2]،قال:كذبت،فقال موسى: (إني رسول من رب العالمين حقيق على قول الحق أي واجب عليّ. وهذا المعنى أيّده الزمخشري ومال إليه وقال عنه(وهو الأوجه– الأدخل في نكت القرآن)[3].وهذه كل المعاني التي تولّدت من القراءة المشهورة كما يرى عالمنا الزمخشري.

ب– قراءة نافع المدني ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَن لاَّ أَقُولَ عَلَيَّ اللهِ إلاَّ الحَقَّ﴾ بتشديد الياء وفتحها من نحو (عليّ) على أنّها ياء الإضافة والمعنى هنا واجبٌ عليّ قول الحق.

ج– قراءة عبدالله بن مسعود–رضي الله عنه– ﴿حَقِيقٌ أَنْ لاَ أَقولَ عَلَى الله إلاَّ الْحَقَّ﴾ بتقدير الجار وهو على أو الباء، يرى الزمخشري أن هذه القراءة تقوى وجه القراءة المشهورة يقول الإمام ابن خالوية (وأوقعها على ألاّ أقول فكان بها في موضع خفض)[4].

د– قراءة أبي بن كعب (حقيق بأن لا أقول)، يرى الزمخشري أن الباء في نحو (بأن) نابت مكان حرف الجر (على) وهذه القراءة تقوى أيضاً القراءة المشهورة.

تناوب الحروف كثير في كلام العرب مثل قولهم رميتُ على القوس أو بالقوس، وجئت على حالٍ حسنة وبحال حسنة وهكذا.

---

[1] ـ روح المعاني: ٢٠/٥.
[2] ـ سورة الزخرف: ٤٦.
[3] ـ الكشاف ١٣٧/٢.
[4] ـ الحجة في القراءات السبع لابن خالوية /٨٧.

٣- يحتج الزمخشري بالقراءات ليستدل على اللغة والمعنى من خلال اللفظ، فهو من أنصار اللفظ والمعنى معاً ومن ذلك قوله: ﴿وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[١] قرأ ابن عباس: الجمَل بوزن القَمِل، وسعيد بن جبير: الجَمَل بوزن الثَّغَر) وقرئ: "الجُمُل بوزن القُفُل"، "والجَملَ بوزن النصب"، "والجَمِل بوزن الحَبِل" ومعناها القلس الغليظ؛ لأنه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة، وعن ابن عباس -رضى الله عنه- إن الله أحسن تشبيها من أن يشبّه بالجمل يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة والبعير لا يناسبه، إلاّ أن قراءة العامة أوقع؛ لأن سم الإبرة مثل في ضيف المسلك، يقال: أضيق من خرت الإبرة)[٢].

احتج الزمخشري بهذه القراءات للدلالة على مناسبة اللفظ للمعنى، فلا يكتمل المعنى إلاّ إذا تناسب مع اللفظ وهو يؤيد أن تكون قراءة الجُمْل بضم الجيم وسكون الميم، وقراءة "الجُمُل بضم الجيم والميم"، وقراءة "الجَمْل بفتح الجيم وسكون الميم" وقراءة "الجُمَّلُ بالتثقيل" كلها بمعنى واحد وهو الحبل الغليظ؛ لأنه مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة.

يتفق الزمخشري مع ابن جنىّ في هذا الرأي، فابن جنى يقول: (أما الجُمَّلُ بالتثقيل والجُملُ بالتخفيف فكلاهما الحبل الغليظ من القِنَّبِ ويقال: حبل السفينة ويقال الحبال المجموعة، وكله قريب بعضه من بعض، وأما الجُمْلُ فقد يجوز في القياس أن يكون جمع جَمَل كأُسد وأُسِد ووُثُنٍ ووُثِن وكذلك المضموم الميم أيضاً كأُسِد)[٣]، والظاهر أن كلاً من ابن جنىّ والزمخشري مالا إلى رأي العلامة ابن عباس-رضى الله عنه- في هذا الرأي، في أن المعنى الحبل الغليظ، لأنه مناسب للخيط الذي يسلك في سم الإبرة، والبعير لا يناسبه ونلحظ أن الزمخشري بعد أن توسع في رواية القراءات المختلفة، رجّح القراءة المشهورة فقال: (إلاّ أن قراءة العامة أوقع)[٤].

---

[١] - سورة الاعراف: ٤٠.
[٢] - الكشاف: ١٠٣/٢.
[٣] - المحتسب: ٢٤٩/١.
[٤] - الكشاف: ١٠٣/٢.

٤- يربط الزمخشري كثيراً بين دلالة اللفظ والمعنى ومن ذلك قال: (وقرأ عبدالله: ﴿نقضه فريق منهم﴾[١] وقال: فريق منهم؛ لأن منهم من لم ينقض)[٢].

يفهم من كلام الزمخشري أنه احتج للمعنى اللغوي الذي تولّد من الفعل (نقض) فالفعل نقض غير الفعل (نبذ) الذي ورد في القراءة المشهورة. نقض الشيء عمل على إبطاله، ونبذ أبعد ورمى بالذم أو الذمام كما جاء في الصحاح.

وعلى هذا فالمعنى كما يرى الزمخشري أن النقض لم يكن من جميع اليهود، وهذا يفهم من مجئ (من) التبعيضية في الآية الكريمة؛ (فمن) بيّنتْ أن بعض اليهود نقضوا العهد، وعملوا على إبطاله.

٥- قد يختلف المعنى باختلاف القراءة؛ فلكل قراءة دلالة لغوية يتولّد منها معنى يميّز كل قراءة، يتغيّر اللفظُ فيتغيّر معه المعنى المراد في سياق الكلام.

ومن ذلك قال الزمخشري وقرئ:﴿مَا نَنْسَخْ مِن ءَايَةٍ﴾[٣]ومانُنْسخ بضم النون من أنسخ أو ننسأها وقرئ:(نَنْسَها) و(ننسّها) بالتشديد، ونتسها على خطاب رسول الله ﷺ، وقرأ عبدالله (مانُنْسِكَ مِنَ ءَايَةٍ أَوْ نَنْسَخْهَا، وقرأ حذيفة: مَا نَنْسَخُ مِن ءَايَةٍ أَوْ نُنْسِكَهَا)[٤].

يلاحظ أن الزمخشري احتج في هذا النص بعدة قراءات بعضها مشهور والآخر من الشواذ وهي كالأتي:-

أ- القراءة المشهورة (نَنْسَخْ) من الفعل نسخ الذي بمعنى أزال (وهو عام في إزالة اللفظُ والحكم معاً، أو إزالة اللفظ فقط أو الحكم فقط) ، يشير الزمخشري إلى أن المعنى ما نزيل من آية بإبدال أخرى مكانها.

---

[١] - سورة البقرة: ١٠١.

[٢] - الكشاف: ١٧٢/١.

[٣] - سورة البقرة: ١٠٦، واختلفوا في (ننسخ من آية) فقرأ ابن عامر من غير طريق الداجوني عن هشام بضم النون الأولى وكسر السين وقرأ الباقون بفتح النون والسين، وكذا رواه الداجوني عن أصحابه عن هشام، واختلفوا في (ننساها) فقرأه ابن كثير وأبو عمرو بفتح النون والسين وهمزة ساكنة بين السين والهاء، وقرأ الباقون (ننسها) بضم النون وكسر السين من غير همزة) النشر: ١٦٥/٢.
وينظر المحتسب ١٠٣/١، ١٠٤، البحر المحيط ٥٤٨/١-٥٤٩.

[٤] - البحر المحيط: ٥٤٨/١.

ب- قراءة (نُنْسِخ) بضم النون الأولى وكسر السين، وهذه قراءة ابن عامر عن هشام[1]، ننسخ هنا من الإنساخ من الفعل أنسخ، جعل الزمخشري الهمزة فيه للتعدية قال (وإنساخها الأمر بنسخها) [2].

اعترض أبو حيان الأندلسي على الزمخشري في هذا الرأي قال: (وهذا تثبيج[3] في العبارة عن معنى كون الهمزة للتعدية وإيضاحه أن نسخ يتعدى لواحد، فلما دخلت همزة النقل تعدى لاثنين تقول: نسخ زيدُ الشيء أي أزاله وأنسخه إياه عمرو: أي جعل عمرو زيداً ينسخ الشيء أي يزيله)[4].

يتأول أبو علي الفارسي لقراءة ابن عامر ثلاثة أوجه[5] هي:-

١) أن يكون أفعل لغة في هذا الحرف، كقولهم حلّ من إحرامه وأحلّ، أو يكون المعنى أنسخت الآية أي وجدتها منسوخة كقولهم: أجبنت زيداً وأبخلته أي أصبته على بعض هذه الأحوال.

٢) أن ينزل القرآن فيعمل به ويُتلى، ثمّ يؤخر بعد ذلك بأن ينسخ فترفع تلاوته، ويمحى فلا يتلى، ولا يعمل بتأويله.

٣) أن يؤخر العمل بالتأويل؛ لأنه نسخ، ويترك خطه مثبتاً وتلاوته قرآن يتلى أي يثبت خط الآية ويبدل حكمها.

ج- قراءة (نُنْسِهَا من الفعل أنسى المنقول من نَسِيَ ومثلها قراءة (نُنَسِّهَا) بالتضعيف، وزيادة التضعيف تدل على زيادة النسيان أو تدل على قوة النسيان).

قال الإمام الفرّاء: (والنسيان هنا على وجهين: أحدهما على الترك، نتركها ولا ننسخها، والوجه الآخر من النسيان كما قال ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾)[6].

قال تعالى ﴿نَسُواْ الله فَنَسِيَهُمْ﴾[7] أي تركوا طاعة الله فترك الله رحمتهم والله أعلم.

د- قراءة (نَنْسَها) وقراءة عبدالله (مانَنْسِكَ مِنَ ءَايَةٍ أَوْ نَنْسَخْهَا) الملاحظ أن القراءتين قد دلتا على معنى النسيان والخطاب فيهما للرسول.

---

[1] - ينظر النشر: ٢/١٦٥.
[2] - الكشاف: ١/١٧٦.
[3] - التثبيج، اضطراب الكلام وتفتته، والتثبيج التخليط.
[4] - البحر المحيط: ١/٥٤٨.
[5] - ينظر الحجة في علل القراءات السبع لابي علي الفارسي: ٢/١٤٤-١٤٧.
[6] -الكهف:٢٤. ينظر معاني القرآن للفرّاء: ١/٦٤-٦٥.
[7] - سورة التوبة: ٦٧.

أشار الزمخشري إلى أمرين تحتملهما القراءتان هما:-

١) قد يكون المنسي هو الله تعالى.

٢) وقد يكون المنسي أمور الدنيا ووسوسة الشيطان.

يرجّح الزمخشري في عرضه هذه القراءات أن يكون المعنى النسيان لا الترك، وانتصر لهذا الرأي بقراء عبدالله بن مسعود وأبيّ بن كعب.

هـ- قراءة (نَنْسَأها) بفتح النون الأولى مع الهمز، وهي قراءة ابن كثير وأبوعمرو والمعنى هنا التأخير؛ لأنه من النسيئة وهي التأخير.

(وقرأ أبو عمرو (ما نَنْسَخْ من ءَايةٍ أَوْ نَنْسَأها) المعنى: ما نَنْسَخْ لك اللوح المحفوظ أو نَنْسَأها: نُؤَخِّرْها ولا نُنْزِلها، وقال أبو العباس: التأويل أنه نسخها بغيرها، وأقرّ خَطَّها، وهذا عندهم الأكثر والأجود والنَّسِيءُ: شهر كانت العرب تؤخره في الجاهلية، فنهى الله عز وجل عنه، وقوله عزّ وجل: ﴿إنما النسيئ زيادة في الكفر﴾ قال الفرّاء: النسيئُ المصدر ويكون المَنْسُوءَ مثل قَتِيل وَمقْتولٍ، والنَّسِيءُ فعيل بمعنى مفعول)[1].

قال الفرّاء: (وكان بعضهم يقرأ: "أَوْ نَنْسَأهَا" بهمز نريد نؤخرها من النسيئة وكل حسن)[2]. ومن المعاني البلاغية التي تتضح من الفعل (نسخ) أنه يحتوي على أسلوب الإلتفات ففي الآية خروج من الغيبة إلى التكلم:-(والالتفات عند الجمهور هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها)[3]. ولقد أشار السكاكي إلى (أنه غير مختص بالمسند ولا بهذا القدر بل التكلم والخطاب والغيبة مطلقاً)[4].

٦- هذه قراءات أخرى انتصر الزمخشري بها للمعنى، قال: (وقرأ أبيّ ﴿أنظرنا﴾[5] من النظرة، أي أمهلنا حتى نحفظ، وقرأ عبدالله بن مسعود راعونا على أنهم كانوا

---

[1] - مادة نسأ، لسان العرب لابن منظور، ط ٢٠٠٣، دار الحديث القاهرة، ٥٢٨/٨.

[2] - معاني القرآن للفرّاء: ٦٥/١.

[3] - بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، المعاني والبيان والبديع تأليف عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشر ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م، ص١٣٨.

[4] - ينظر المصدر نفسه، ١٣٧-١٣٨، وقد نقله عبدالعال الصعيدي من كتاب المفتاح للسكاكي.

[5] -سورة البقرة:١٠٤،(وقراءة الجمهور: راعنا، وفي مصحف عبدالله وقراءته، وقراءة أبي راعونا على اسناد الفعل لضمير الجمع،وقرأ الحسن،وأبي ليلى وأبو حيوة وابن محيض: راعناً بالتنوين)البحر المحيط:٥٤٢/١-٢٤٣.

يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير، وقرأ الحسن: راعناً بالتنوين من الرعن وهو الهوج)[1]، والملاحظ أنه:-

أ- احتج بقراءة أبي (انظرنا) وهذا الفعل كما أشار الزمخشري من النظرة والتمهل أي امهلنا حتى نحفظ.

ب- قراءة ابن مسعود -رضى الله عنه- (راعونا) بصيغة الجمع، فإنها أفادت معنى بلاغياً وهو التوقير والتعظيم لمكانة الرسول.

ج- قراءة الحسن "راعناً" بالتنوين اختلف المعنى هنا؛ لأنه من الرعن والهوج والمعنى: لا تقولوا قولاً راعناً فالمعنى انتقل إلى النهى عن الساقط من القول الغير حسن.

٧- قد يستعمل الزمخشري دلالة الإشارة التي يتضمنها المعنى، قال:﴿وقرئ من حيث أفاض الناس﴾[2]بكسر السين، أي الناسي وهو آدم من قوله:(ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى)،يعني أن الإفاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوه)[3]، والمعنى الذي ينتصر له الزمخشري ويفضله هو(أفيضوا يا حجاج من حيث أفاض آدم عليه السلام) وعلى هذا فهو يؤيد الرأي الذي يرى أن الإفاضة من عرفات شرع قديم.

وأما القراءة المشهورة (مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ)[4]، فأنها أشارت إلى مكان دون زمن محدد.

قال ابن جنىّ معلقاً على قراءة(الناس) بالكسر:(في هذه القراءة دلالة على فساد قول من قال: إن لام التعريف إنما تدخل الأعلام للمدح والتعظيم وذلك نحو قولك: العباس والمظفر، وما جرى مجراها، ووجه الدلالة من ذلك قوله "الناسي" إنما نعني به آدم عليه السلام- فصارتْ صفة غالبة كالنابغة والصّعق، وإن كانت أعلاماً، فإنها تجرى مجرى الصفات)[5]، ويرى الزمخشري أن "ثمّ" أفادت معنى التفاوت قال: (فإن قلت: فكيف موقع ثم؟ قلت: نحو موقعها في قولك أحسن إلى الناس، ثم لا تحسن لغير كريم، تأتي ثم للتفاوت ما بين الاحسان إلى الكريم والاحسان إلى غيره)[6].

---

[1] - الكشاف: ١٧٤/١.
[2] - سورة البقرة: ١٩٩.
[3] - الكشاف ١: ٢٤٧.
٥- البقرة:١٩٩.
[5] - المحتسب، ابن جنى ١: ١١٩.
[6] - الكشاف، حـ١ ص٢٤٧، وانظر الموضوع في نحو الزمخشري بين النظرية والتطبيق، ص١٨٠.

٨- من القراءات التي فضّلها الزمخشري لوجهها البلاغي، يقول: (وقرأ أبي والأعمش:﴿إلاّ قَلِيلٌ﴾ [١] بالرفع، وهذا من ميلهم مع المعنى، والاعراض عن اللفظ جانباً، وهو باب جليل من علم العربية، فلمّا كان معنى "فَشَرِبُوا منه" في معنى لم يطيعوه، حمل عليه كأنه قيل: فلم يطيعوه إلاّ قليلٌ منهم)[٢] بين الزمخشري المعنى المستوحي من الألفاظ في القراءة المشار إليها، فلمّا شربوا من النهر، لم يطيعوا أمر الله بهذا الفعل، وعلى هذا رفعت كلمة قليل على تقدير فعل فُهِم من سياق الكلام، والتقدير شربوا من النهر ولم يطيعوا الله إلاّ قليلٌ منهم.

والذي يغلب على ظنيّ أن الكلام مثبت من ناحية الألفاظ، منفي في المعنى وكأنّ المعنى (لم يطيعوه فشربوا إلاّ قليلٌ منهم).

وعلى هذا التقدير فكلمة (قليل) مرفوعة باعتبارها فاعل لأن الكلام منفي ناقص، فيعرب المستثنى حسب موقعه من الجملة.

(وفي القراءة المشهورة "قليلاً" بالنصب، منصوب على الاستثناء ولكن روعي فيه معنى النفي فرفع)[٣].

وهذا ما قصده الزمخشري من ميل العرب مع المعنى وإعراضهم عن اللفظ وهو باب جليل في العربية.

٩- الزمخشري يحتج بالقراءة للانتصار لوجه لغوي ويقوّي القراءة بقراءة أخرى، قال معلقاً على الآية الكريمة: (﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[٤].

قال: "وما يشعركم" وما يدريكم "أنها" أن الآية التي تقترحونها إذا جاءت لا يؤمنون بها، يعني أنا أعلم أنها إذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرون بذلك، وذلك أن المؤمنين كانوا يطمعون في إيمانهم إذا جاءت تلك الآية، ويتمنون مجيئها، فقال عزّوجل وما يدريكم أنهم لا يؤمنون، على معنى أنكم لا تدرون ما سبق علمي به من أنهم لا يؤمنون به، ألاَ ترى إلى قوله ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوّلَ مَرّةٍ﴾ وقيل "أنها" بمعنى "لعلها" من قول العرب: ائت السوق أنك تشتري لحماً وقال امرؤ القيس:-

---

[١] - سورة البقرة: ٢٤٩.

[٢] - الكشاف، جـ١، ص٢٩٥.

[٣] - ينظر رأي الفرّاء-رحمه الله في هذه القراءة، معاني القراءات جـ١، ص١٦٦.

[٤] - سورة الأنعام: ١١٠، (واختلفوا في (أنها إذا جاءت) فقرأ ابن كثير والبصريات، وحلف بكسر الهمزة من (أنها) واختلف عن أبي بكر، فروى العليمي عنه كسر الهمزة) النشر ١٩٦/٢.

عوجا على الطلل المحيل لأننا .·. نبكي الديار كما بكى ابنُ خُزَام[1]

وتقويها قراءة أبيّ: لعلها إذا جاءت لا يؤمنون، وقرئ بالكسر على أن الكلام قديم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال: أنها إذا جاءت لا يؤمنون البتة، ومنهم من جعل "لا" مزيدة في قراءة الفتح وقرئ: وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ، أي يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجيئها)[2].وأورد الزمخشري عدداً من القراءت فاحتج للغة والمعنى والنحو وهذه القراءات هي:-

أ- قراءة (أنّها) بالفتح، يرى الزمخشري أنها لغة بمعنى (لعلها) وقوّى هذا الوجه من القراءة بقراءة أبيّ (لعلها إذا جاءت لا يؤمنون)، وللعرب في "أن" لغة بمعنى لعلّ، قال سيبويه: (وأهل المدينة يقولون "أنها" فقال الخليل هي بمنزلة قول العرب: ائتِ السّوق أنّك تشتري لنا شيئاً أي: لعلك)[3]، وللعرب في لعلّ لغة بأن يقولوا ما أدري أنك صاحبها، يريدون لعلك صاحبها، ويقولون: ما أدري أنك صاحبها وهو وجه جيد أن تجعل "أن" في موضع لعلّ[4]. وأما أبو علي الفارسي فيرى: (أن وجه قراءة من فتح أنّ في فتحها تأويلان هما: أن تكون بمعنى لعلّ والآخر أن تكون "أنّ" الشديدة التي تقع بعد الأفعال، التي هي عبارة عن ثبات الشيء وتقرره نحو: علمت وتبيّنتُ "وما يشعركم أنّها إذا جاءت يؤمنون" والمعنى على أنها إذا جاءت لم يؤمنوا)[5].

ب- قراءة (وَمَا يُشْعِرُكُمْ إِنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ) بالكسر والمعنى كما يشير الزمخشري (وما يشعركم ما يكون منهم) على تمام الكلام ثمّ ابتدأ فاخبرهم بعلمه فيهم فقال إنها إذا جاءت لا يؤمنون البتة.

ج- قراءة: (وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لاَ يُؤْمِنُونَ) والمعنى أنهم يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجئها.

---

[1] - هذا البيت لامرئ القيس يبكي الديار واستخدم لفظة أن بمعنى لعلّ، ووردت المسألة في الكتاب ١٢٣/٣-١٢٤، (قال ابن رشيق في العمدة: يروى في البيت: لأننا بمعنى لعلنا وهي لغة امرؤ القيس فيما زعم بعض المؤلفين) الخزانة، ٣٧٧/٤-٣٧٨.

[2] - الكشاف: ٥٧/٢.

[3] - الكتاب، ١٢٣/٣.

[4] - معاني القرآن للفرّاء، ٣٥٠/١.

[5] - الحجة لابي على الفارسي، ح_٣، ص٢٠٩-٢١٠.

١٠- من القراءات التي احتج بها للمعنى البلاغي، يقول:(وقرئ "مُشَيَّدَةٌ" من شاد القصر إذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجصّ، وقرأ نعيم بن ميسرة "مُشَيِّدَة" بكسر الياء وصفاً لها بفعل فاعلها مجازاً، كما قالوا: قصيدة شاعرة، إنما الشاعر فارضها)[١].

١١- الزمخشري دائم البحث عن المعاني، وهنا يقف عند كثير من النكرات، فيبحث عن سر تنكيرها والتنكير عند الزمخشري له عدة معاني[٢] منها:-

أ- النكرة تفيد الابهام، وتكلم الزمخشري عن الابهام وأثره في النفس يقول: (﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدىً مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [٣] نكر "هدى" ليفيد ضرباً مبهماً لا يبلغ كنهه، ولا يقادر قدره؛ كأنه قيل على أي هدى كما تقول: لو أبصرت فلاناً لأبصرت رجلاً) [٤] ويقول في تعليقه على قوله تعالى ﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾[٥] (أرضاً منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف، ولإبهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة)[٦].

ب- تفيد النكرة النوعية أي تبين النوع، مثل قوله تعالى (وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ)[٧]، معنى التنكير كما أشار الزمخشري على أبصارهم نوعاً من الأغطية.

ج- تفيد معنى التعظيم والكثرة، قال الزمخشري: (وقرئ: ﴿إِنَّ لَنَا لأَجْراً[٨]﴾ على الاخبار وإثبات الأجر العظيم وإيجابه: كأنهم قالوا: لابدَّ لنا من أجر، والتنكير للتعظيم، كقول العرب: إنَّ له لإ بلاً، وإن له لغنماً يقصدون الكثرة)[٩].

د- النكرة تفيد أيضاً التعليل، قال في تعليقه على قوله تعالى (﴿واحْلُلْ عُقْدَةً من لساني﴾ [١٠] وفي تنكير العقدة – وإن لم يقل عقدة لساني – أنه طلب حل بعضها إرادة أن يفهم عنه فهماً جيداً ولم يطلب الفصاحة الكاملة)[١١].

هـ- النكرة تفيد قلة الالتفات.

---

١ ـ الكشاف، حـ١، ص٥٣٨.
٢ ـ ينظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري محمد حسنين أبو موسى، ص٣١٦.
٣ ـ سورة البقرة: ٥.
٤ ـ الكشاف، حـ١، ص٤٥.
٥ ـ سورة يوسف: ٩.
٦ ـ الكشاف، حـ٢، ص٤٤٧.
١ـ البقرة:٧.
٨ ـ الأعراف: ١١٣.
٩ ـ الكشاف، حـ٢، ١٣٩.
١٠ ـ سورة طه: ٢٧.
١١ ـ الكشاف، حـ٣، ص٦١.

و- يرى الزمخشري أن النكرة تفيد الكثرة، كما في قوله تعالى: ﴿قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغلبين﴾[1]، يقول: (كأنهم قالوا لابد لنا من أجر والتنكير للتعظيم، كقول العرب: إن له لإبلاً، وإن له لغنماً يقصدون الكثرة)[2].

ز- يكشف الزمخشري عن مغزى التنكير ووجهه بالموازنة بين أسلوب التنكير وبين ما يمكن أن يكون عليه الكلام بعد ذهاب خصوصية التنكير، وبقاء السياق، ثمّ يلحظ ذهاب معنى كثير من الكلمة بذهاب التنكير والسياق باق والمقام هو، وخير مثال على ذلك يقول: (﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ﴾[3] فإن قلت: فلم قال حياة بالتنكير؟ قلت لأنه أراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة؛ ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة أبيّ على: الحياة)[4].

ح- تفيد النكرة معنى زيادة التعميم والإحاطة إذا كانت منفية، يقول معلقاًعلى قوله تعالي: (﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم﴾[5]، فإن قلت ما معنى زيادة قوله في الأرض، ويطير بجناحيه؟ معنى ذلك زيادة التعميم والإحاطة، كأنه قيل وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم محفوظةً أحوالها غير مهمل أمرها)[6].

١٢- من انتصاره بالقراءة لوجه بلاغي، يقول: (﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ﴾[7] هذا مثل كأن الغضب كان يغريه على ما فعل ويقول له: قل لقومك كذا، وألق الألواح، وجرّ برأس أخيك إليك، فترك النطق بذلك وقطع الإغراء، ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح إلاّ لذلك؛ ولأنه من قبيل شعب البلاغة وإلاّ فما لقراءة معاوية بن قرّة: ولمّا سكن عن موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئاً من تلك الهزة، وطرفاً من تلك الروعة وقرئ: ولما سكت وأسكت أي أسكته الله أو أخوه باعتذاره إليه وتنصله، والمعنى: ولما طفئ غضبه)[8].

---

[1] ـ الأعراف: ١١٣.
[2] ـ الكشاف: ١٣٩/٢.
[3] ـ سورة البقرة: ٩٦.
[4] ـ الكشاف، حـ١، ص١٦٨.
[5] ـ الأنعام: ٣٨.
[6] ـ الكشاف: ٢١/٢.
[7] ـ سورة الاعراف: ١٥٤.
[8] ـ الكشاف، حـ٢، ص١٦٣.

وكل هذه الوجوه من القراءات المعنى فيها من نمط قلب الحقيقة إلى المجاز وأصل الكلام فيها: ولمّا سكت موسى عن الغضب وهو قلب على سبيل الاستعارة المكنية حيث حُذِف المشبة وَجِيء بالمشبه به على سبيل الاستعارة المكنية، فالغضب لا يسكت إنما الذي يسكت عن الغضب هو موسى عليه السلام، يقول الألوسي:(وفي الكلام استعارة مكنية، حيث شبه الغضب بشخص ناه آمر، وأثبت له السكوت على طريق التخييل، وقال السكاني: إن فيه استعارة تبعية حيث شبه سكون الغضب، وذهاب حدته بسكون الآمر الناهي والغضب قرينتها، وقيل الغضب استعارة بالكناية عن الشخص الناطق، والسكوت استعارة تصريحية لسكون هيجانه وغليانه؛ فيكون في الكلام مكنية قرينتها تصريحية لا تخيلية، وأيّا ما كان ففي الكلام مبالغة وبلاغة، لا يخفى علو شأنها)[1].

١٣- يفضل الزمخشري القراءة التي تلاءم المعنى البلاغي وتظهر نظم الكلام ومن ذلك قال:معلقاً على قوله تعالى:(﴿ولا تَزِر وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وإن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلىَ حَمْلِهَا ولا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيءٌ وَلوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [2]، فإن قلت: ما تقول فيمن قرأ ﴿وَلَوْ كَانَ ذُو قُرْبَى﴾ على كان التامة كقوله تعالى ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ﴾؟ قلت: نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة؛ لأن المعنى على أن المثقلة إذا دعت أحداً إلى حملها لا يحمل منه شيء وإن كان مدعوّها ذا قربى، وهو معنى صحيح ملتئم، ولو قلت: ولو وجد ذو قربى، لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه)[3]، ويتفق الألوسي مع الزمخشري في قوله إن نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة.

يقول: وقرئ: (﴿ وَلَوْ كَانَ ذُو قُرْبَى﴾ بالرفع وخُرّج على أن كان ناقصة أيضاً "وذو قربى" اسمها والخبر محذوف أي ولو كان ذو قربى مدعواً، وجوّز أن تكون تامة: وتعقب- بأنه لا يلتئم معها النظم الجليل؛ لأن الجملة الشرطية كالتتميم والمبالغة في أن لاغياث أصلاً فيقتضي أن يكون المعنى أن المثقلة إن دعت أحداً إلى حملها لا يجيبها إلى ما دعته إليه ولو كان ذو قربى مدعواً، ولو قلنا إن المثقلة

---

[1] - روح المعاني للالوسي، ٦٨/٥.
[2] - سورة فاطر: ١٨.
[3] - الكشاف، ٦٠٧/٣.

إن دعت أحداً إلى حملها لا يحمل مدعوها شيئاً، ولو حضر ذو قربى لم يحسن ذلك الحسن)[1].

١٤- يحتج الزمخشري بالقراءة فيكشف وجهها البلاغي، ففي هذه القراءة يشير بأنها تحتوي على أسلوب الالتفات الذي يعطى المعنى قوّة وبلاغه ودقة إشارة، يقول: وقرئ: (بما تعملون بالتاء وبالياء، فالتاء على طريقة الالتفات وهي أبلغ في الوعيد والباء على الظاهر)[2].

١٥- يدلنا إيضاً على المعنى القوي من خلال القراءة،يقول:(وقرأ قتادة:كَاشِفُ الضُرِّ على فاعل بمعنى فعل وهو أقوى من كشف؛لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة)[3].

١٦- من الاستدلال بالقراءة لتبيين معنى بلاغى، يقول الزمخشري: (فإن قلت فما وجه قراءة من قرأ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهُ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءَ﴾ [4]، برفع لفظ الجلالة – وهو عمر بن عبدالعزيز ويحكي عن أبي حنيفة؟ قلت: الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى: إنما يجلهم ويعظمهم، كما يجل المهيب المخشى من الرجال بين الناس من بين جميع عباده)[5].

إذن وجه هذه القراءة أن تكون الخشية بمعنى الإجلال.

١٧- يستدل أيضاً بالقراءة للدلالة على صحة لغة، يقول الزمخشري: وقرئ: (﴿يا بشراي﴾ [6] على إضافتها إلى نفسه، وفي قراءة الحسن وغيره: يا بشري، بالياء مكان الألف، جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الإضافة، وهي لغة للعرب مشهورة سمعت أهل السروات يقولون في دعائهم: يا سيدي ومولىّ، وعن نافع يا بشرى بالسكون، وليس بالوجه لما فيه من إلتقاء الساكنين على غير حدّه، إلاّ أن يقصد الوقف)[7].

احتج الزمخشري بهذه القراءات على جواز هذه الوجوه من الناحية الصرفية:-

أ- ففي قراءة: يا بشراي أضيفت ياء المتكلم إلى كلمة بشرى.

---

[1] ـ المصدر نفسه، ٣٥٨/١١.
[2] ـ الكشاف، ١٨٠/١.
[3] ـ الكشاف، ٦١١/٢، النحل: ٥٤.
[4] ـ سورة فاطر: ٢٨.
[5] ـ الكشاف، ٦١١/٣.
[6] ـ سورة يوسف: ١٩.
[7] ـ المصدر نفسه، ٤٥٢/٢.

ب- قراءة يا بشرى بالياء مكان الألف والياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الإضافة وهي كما أشار لغة مشهورة عند العرب فهم يميلون بالكسرة فتكون الياء.

قال الفرّاء: (ومن قال يا بشرىّ فأضاف وغيرّ الألف إلى الياء فإنه طلب الكسرة التي تلزم ما قبل الياء من المتكلم في كل حال ألا ترى أنك تقول: هذا غلامي فتخفض الميم في كل جهات الإعراب فحطُّوها إذا أضيفت إلى المتكلم، ولم يحطُّوها عند غير الياء في قولك: هذا غلامك وغلامه؛ لأن "يا بُشْرَى" من البشارة والإعراب يتبين عند كل مكنىّ إلاَّ عند الياء)[1].

ج- قراءة نافع (يا بشراي) بالسكون يرى الزمخشري أنها ليست بالوجه لما فيه من إلتقاء الساكنين على غير حدّه، إلاَّ أن يقصد الوقف، أي يجوز وجه هذه القراءة في حالة الوقف أما في الوصل فلا يجوز، وجّهها للعلة السابقة.

١٨- يعرض الزمخشري قراءات يقوى بها تفسيره وهذه القراءات تتغيرّ دلالات المعاني فيها، يقول: (وقرئ:﴿تَجْرِى إِلَى مُسْتَقَرٌّ لَّهَا﴾[2]،وقرأ ابن مسعود:لا مستقر لها، أي لا تزال تجرى لا تستقر، وقرئ: لا مستقر لها على أن لا بمعنى ليس)[3].

نلاحظ من خلال عرض الزمخشري للقراءات أنه يشير إلى معاني محتملة في الآية وهي:-

أ- القراءة المشهورة تجري لمستقر لها المعنى تجري إلى حدٍ معين باعتبار اللام تشير إلى الغاية.

ب- وقراءة ﴿ تَجْرِي إِلَى مُسْتَقَرٌّ لَّهَا﴾ أيضاً (إلى) هنا تفيد انتهاء الغاية وهي في رأي الباحث تقوّى المشهورة.

ج- قراءة ابن مسعود ﴿لاَ مُسْتَقَر لَهَا﴾ أي لا تزال تجري ولا تستقر وتقويها قراءة ﴿لا مستقر لها﴾ على أن (لا) بمعنى (ليس) والمعنى فيهما أن الجريان مستمر.

١٩- يحتج الزمخشري بالقراءات لمدلول اللغة والمعنى، والقواعد الصرفية والنحوية، ومن ذلك يقول: (وقرأ ابن أبي إسحاق: عصىّ على لغة هذيل ومثله "يا بشريّ"، أرادوا كسر ما قبل الياء لالتقاء الساكنين، وهو مثل قراءة حمزة "بمصرخيّ"، وعن ابن

---

[1] - معاني القرآن للفرّاء، ٤٠/٢.
[2] - سورة يس: ٣٨.
[3] - الكشاف، ١٦/٤.

أبي إسحاق: سكون الياء ﴿أتوكأ عليها﴾[1]، يعتمد عليه إذا اعيت أو وقفت على رأس القطيع وعنده الطفرة، هش الورق: خبطه، أي أخبطه على رؤس غنمي تأكله، وعن لقمان بن عاد: أكلت حُقاً وابن لبون وجذعاً، وهشة نخب وسيلاً دفع والحمد لله من غير شبع، سمعته من غير واحد من العرب، ونخب وادي قريب من الطائف كثير السدر، وفي قراءة النخعي: أهشُ وكلاهما من هش الخبز يهشُ: إذا كان ينكسر لهشاشته، وعن عكرمة: أهس بالسين، أي: أنحي عليها زاجراً لها، والهش: زجر الغنم. ذكر على التفصيل والاجمال المنافع المتعلقة بالعصا، كأنه أحس بما يعقب هذا السؤال من أمر عظيم يحدثه الله تعالى فقال: ما هي إلا عصا لا تنفع إلا منافع بنات جنسها، وكما تنفع العيدان، ليكون جوابه مطابقاً للغرض الذي فهمه من فحوى كلام ربه)[2].

الملاحظ أن الزمخشري يحتج في هذا النص بعدة قراءات ولعدة أغراض مجتمعة وهي كالأتي:-

أ- قراءة ابن أبي اسحاق: عصيّ على إرادة كسر الياء لالتقاء الساكنين، ويشير الزمخشري إلى أنها لغة هذيل، وبهذا القول يفهم من كلامه أنها لغة صحيحة لقبيلة عربية يحتج بكلامها من لغة العرب.

ويلاحظ أيضا أنه يحتج لصحة هذه القراءة بقراءة أخرى بقوله: ومثله (يابشرى)، أرادوا كسر ما قبل ياء المتكلم؛ فلم يقدروا عليه فقلبوا الألف إلى أخت الكسر وهي الفتحة.

ب- قراءة عصاي بكسر الياء لالتقاء الساكنين وشبهها بقراءة (بمصرخيّ) التي قرأ بها الإمام حمزة.

ج- قراءة النخعي: (أهش)، وقراءة عكرمة: (أهس) بالسين يستدل بهما الزمخشري ليدلنا على لغتين صحيحتين، فالهش زجّ للغنم بالصياح، والهش معناه أنحي عليها زاجراً لها.

ويفهم من كلام الزمخشري أن في ذكر المنافع يكون التفصيل بعد الاجمال وبذلك يكون الاحتجاج لمدلول المعنى البلاغي.

---

[1] - سورة طه: ١٨.
[2] - الكشاف، ٣/٥٧.

ويعقب الزمخشري على هذه القراءة ويقول: ينبغي أن يكون الجواب مطابقاً للغرض الذي فهم من فحوى الكلام، ويفهم من كلامه أن يكون الكلام مطابقاً للمقام.

٢٠- ومن القراءات التي يجمع فيها الزمخشري الاحتجاج للغة والنحو والبلاغة قراءة طلحة بن مصرف من نحو قوله تعالي: ﴿قد افلح المؤمنون﴾[١] على البناء للمفعول.

يقول الزمخشري:(أفلحه: أصاره إلى الفلاح، وعليه قراءة طلحة بن مصرف: افلح على البناء للمفعول،وعنه:أفلحوا على: أكلوني البراغيث، أو على الإبهام والتفسير. وعنه:افلح بضمة بغير واو اجتزاء بها عنها كقولهم:*فلو أن الأطِبّا كان حولي)[٢].

احتج الزمخشري بقراءة (قد افلحُ) بضم الحاء اجتزاء بالضمة عن الواو إذ الأصل قد افلحوا على لغة أكلوني البراغيث.

---

[١] - سورة المؤمنون:١.

[٢] - تتمة البيت: فلو أن الاطبا كان حولي ﷺ وكان مع الأطباء الأساةُ، وروايته في الخزانة: ولو أن الأطبا كان عندي.
والبيت مجهول النسب. الخزانة ٢٣١/٥.

ضوابط القراءة وأدلة الاحتجاج عند الزمخشري

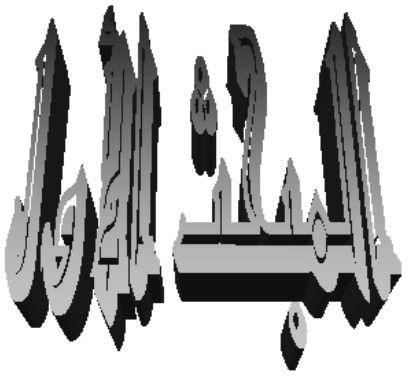

ضوابط القبلة عند الدعشمي

ضوابط القراءة عند الزمخشري

لا يختلف الزمخشري كثيراً عن النحويين والمفسرين وعلماء القراءات في التزامه بضوابط القراءة الصحيحة، (وهو لا يتحدث عن ضوابط القراءة الصحيحة إلاّ نادراً)[1]؛ ولكن مَنْ يتتبع منهجه في الاحتجاج بالقراءات يجدْ عالماً بالقراءات يلتزم بضوابط يسير عليها، بل يؤكد على أن هذه الضوابط يجب أن يلتزم بها كل لغوي أو دارس للقراءات القرآنية، وأهم هذه الضوابط كما فهمها الباحث من منهجه في الاحتجاج بالقراءات ما يلي:-

١- أن توافق القراءة أحد أوجه اللغة العربية الصحيحة الذائعة التي لا تخرج عن قياس النحويين، وهو لا يفرق في هذا بين قراءة مشهورة أو شاذة.

يقول الزمخشري: (لا يجوز أن تحمل القراءة المستفيضة على وجه ضعيف ليس بحدّ الكلام ولا وجهه)[2].

٢- أن توافق القراءة رسم المصحف، والزمخشري يرى أن خط المصحف سنة يجب أن تتبع، وهو كثيراً ما يذكر اسم المصحف أو المصاحف.

قال في تعليقه على قوله تعالى: ﴿وقَالُوا مَالِ هَذَا الرسُولِ يَأْكُلُ الطعَامَ وَيمْشِّي في الأسْوَاقِ﴾ [3]، وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن أوضاع الخط العربي، وخط المصحف سنة لا تغير)[4].

ويرى الزمخشري أيضاً أن كثيراً من الألفاظ القرآنية وقعت في الخط المصحفي وهي خارجة عن قياس الخط العربي، قال معلقاً على قوله تعالى: ﴿وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [5] وأما قول أبي عبيد: إن التاء داخلة على حين فلا وجه له، واستشهاده بأنّ التاء ملتصقة بحين في الإمام لا متثبت به، فكم وقعت في المصحف أشياء خارجة عن قياس الخط)[6].

---

[1] - النحو وكتب التفسير، د. عبدالله رفيده، ٧٣١/١.
[2] - الكشاف: ٤٧٢/٣.
[3] - سورة الفرقان: ٧.
[4] - الكشاف، ٢٦٥/٣.
[5] - سورة ص :٣.
[6] - الكشاف، ٧٢/٤.

وقال أيضاً: (وقد اتفقت في خط المصحف أشياء خارجة عن القياسات التي بُنِى عليها علم الخط والهجاء، ثمّ ما عاد ذلك بضير ولا نقصان؛ لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ، وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف، قال عبدالله بن درستويه في كتابه: المترجم بكتاب الكتاب المتمم: في الخط والهجاء خطان لا يقاسان: خط المصحف؛ لأنه سنة، وخط العروض؛ لأنه يثبت فيه ما أثبته اللفظ، ويسقط عنه ما أسقطه)[1]، ويمكن القول أن الزمخشري يقرُّ كل الاقرار خط المصحف ويجعله ضابطاً من ضوابط القراءة الصحيحة التي يلتزم بها.

يحتج الزمخشري بالمصاحف التي اجمعت عليها الأمة؛ ويذكرها في تفسيره الكشاف قال: (وفي مصاحف أهل مكة: ﴿تَجْرِى مِنَ تحتِهَا﴾ [2] وهي قراءة ابن كثير، وفي سائر المصاحف تحتها بغير من)[3].

ويقول أيضاً: (في مصاحف أهل المدينة والشام: ﴿الذِّينَ اتَّخَذُواْ﴾ [4] بغير واو؛ لأنها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي أحدثه المنافقون على سائر قصصهم)[5].

٣- التأكيد على صحة الرواية، يؤكد الزمخشري على ضرورة أن تكون الرواية صحيحة موصولة السند، ويؤكد على ضرورة ضبط الرواية وأن يكون الراوي ملماً بعلم النحو.

قال مخطِّئاً قراءة ﴿فَيَغْفِرْ لِمَنْ يَّشَاءُ﴾ [6] بإدغام الراء في اللام، قال (ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشاً ورواية عن أبي عمرو مخطيء مرتين؛ لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم، والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا إلاّ أهل النحو)[7]

---

[1] - المصدر نفسه، ٢٧/١.
[2] - سورة التوبة: ١٠٠.
[3] - الكشاف، ٣٠٥/٢.
[4] - سورة التوبة: ١٠٧.
[5] - المصدر نفسه، ٣٠٩/٢.
[6] - سورة البقرة: ٢٨٤.
[7] - الكشاف، ٣٣٠/١.

٤- يرى الزمخشري أن القراءة اختيار، ولا يقوم بهذا الاختيار إلاّ رجل درب القراءات وعرفها خير معرفة، وتمحصّها واطلع على فصاحة وجوهها اللغوية والبلاغية.

لم يكن الزمخشري أول من قال بالاختيار، بل الاختيار كان معروفاً عند المتقدمين من علماء اللغة والتفسير كالفرّاء والفارسي وابن جنيّ وغيرهم.

قال ابن مجاهد: (كان لابن محيصن اختيار في القراءة على مذهب العربية فخرج به عن إجماع بلده فرغب الناس عن قراءته، وأجمعوا على قراءة ابن كثير)[١].

والاختيار: من خار الشيء، واختاره وتخيره: انتقاه، وخار الرجل على غيره خيرة: فضّله[٢]. (والاختيار: ما اختاره إمام من القرّاء فيما روى وعلم وجهه من القراءات، وما هو الأحسن عنده والأولى، فالتزمه طريقة وعُرف به ونُسب إليه)[٣]. والاختيار أيضاً (انتقاء قارئ ما هو أولى من القراءات عنده واعتماد طريقة في القراءة، وهذا المعنى لا تخفى علاقته بالمفهوم اللغوي للاختيار)[٤].

يقول النحاس: (والسلامة من هذا عند أهل الدين إذا صحت القراءتان عن الجماعة أن لا يقال: إحداهما أجود من الأخرى، لأنها جميعاً عن النبيﷺ، فيأثم من قال ذلك، وكان رؤساء الصحابة ينكرون مثل هذا)[٥].

وقال أبو حيان الأندلسي:(وهذا الترجيح الذي يذكره المفسرون والنحويون بين القراءات لا ينبغي؛ لأن هذه القراءات كلها صحيحة ومروية وثابته عن الرسولﷺ، ولكل منها وجه ظاهر وحسن في العربية، فلا يمكن ترجيح قراءة على أخرى)[٦]. وهناك من اتهم الزمخشري بأنه يرى أنّ القراءة اجتهاد بالرأي وهذا في اعتقادي غير صحيح؛ لأن علاّمتنا يخضع القراءات للاختيار، فالاختيار الأول عنده لصحة اللغة وفصاحتها وقوة وجهها البلاغي.

---

[١] - غاية النهاية، ٢: ١٦٧.
[٢] - مادة (خار) لسان العرب.
[٣] - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ٤٦/١.
[٤] - كتاب الاختيار في القراءات والرسم والضبط محمد بالوالي، ط١٩٩٧، ص(١١-١٢)، وينظر الموضوع في النشر، ٥٢/١، وفتح الباري، ٣٢/٩، وغاية النهاية ١٦٧/٢.
[٥] - إعراب القرآن للنحاس: ٨٢/٥.
[٦] - البحر المحيط لأبي حيان، ٢٦٥/٢.

ولقد دافع أستاذنا الدكتور ابراهيم عبدالله رفيده–رحمه الله– عن الزمخشري وردَّ عنه هذه التهم[1].

والزمخشري لا ينكر صحة الرواية، ولكن يعطي لنفسه حق قبول هذه الرواية أو رفضها لضعف الرواية من جهة وجهها اللغوي بإخضاعها للقياس النحوي، ويختار من القراءات ما هو أفصح وأبلغ.

[1] - انظر الموضوع في كتاب النحو وكتب التفسير، ٧٣٣/١.

أدلة الاحتجاج عند الزمخشري

سبق علم الفقه علم النحو في النشأة والتأصيل؛ فالفقهاء أصّلوا لقواعدهم قبل النحاة الذين نهجوا منهج أهل الفقه في تأسيس الأصول النحوية، واستفادوا منه خير استفادة؛ لأنهم كانوا إمّا فقهاء ونحاة في آن واحد على عادتهم في السابق، فالرعيل الأول من العلماء المتقدمين كانوا متنوعي الثقافة؛ العالم منهم هو الفقيه، والنحوي، والبلاغي، والمفسر والداعية، والنسّابة والعالم بالفلك وإلى غير ذلك من العلوم، وإذا سلّمنا بأن هناك علماء فقه، وعلماء لغة ونحو كلٌ حسب مجاله، فهؤلاء كانوا أيضاً معاصرين للفقهاء أو لاحقين تأثروا بالفقهاء ومنهجهم في أصول الفقه، ونسجلوا عليه قواعدهم.

الذي دفع الباحث للمقارنة بين الفقهاء والنحاة من خلال هذين الأصلين، شخصية البحث العلمية الزمخشري فلا يخفى على أحد أنه الفقيه، واللغوي والنحوي، وهذه ومضة أودُّ فيها المقارنة بين الفقهاء والنحاة حول مصطلحي السماع والقياس.

أولاً: السماع[1]:-

يقصد بالسماع عند الفقهاء سماع النص من كتابٍ وسنة، والسماع عند النحويين يقصد به السماع من الكتاب الشريف ومن كلام العرب الفصحاء الموثوق بهم مع التحفظ على الاستدلال بالحديث الشريف.

إذن يمكن القول إن السماع هو الأصل المشترك بين الفقه والنحو، وعليه يبنى الأصل الثاني وهو القياس مع اختلاف طبيعة كل منهج.

وخلاصة القول وصفوته أن السماع عند النحاة يقابله النص عند الفقهاء، والفرق بينهما أن الأول يعتمد على المشافهة، والثاني نص صريح صحيح مدوّن موثوق فيه، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه كلام الله القرآن الكريم؛ ولذلك يشارك النحاة الفقهاء في الاعتماد عليه واتخاذه الدليل الأول من أدلّة السماع إضافة إلى ما يسمعونه من كلام العرب الفصحاء.

يلاحظ أن النحاة أوسع اعتماداً على النص القرآني من الفقهاء فيحتجون به في قضايا اللغة المختلفة من لغة ونحو وألفاظ ومعاني وبلاغة وإلى غير ذلك من

١- السماع هو الأخذ المباشر من المادة اللغوية عن الناطقين.

المواضيع والتراكيب المختلفة،؛ أمّا الفقهاء فيحتجون به في الأحكام الفقهية وما يتعلق بها من أدلة.

المشترك السمعي الثاني الحديث الشريف؛ فالفقهاء يتخذونه دليلاً قوياً في توثيق قواعدهم الفقهية بينما النحاة يجعلونه دليلاً ثالثاً بعد القرآن الكريم، وكلام العرب الفصحاء لمّا صح أنه يروى بالمعنى.

خالف النحويون الفقهاء في الاستدلال بالحديث؛ لأن طبيعة عمل النحوي تتعلق باللفظ والمعنى معاً، فلا يمكن إهمال أحدهما عن الآخر.

ثانياً: القياس:-

يمكن القول أن القياس النحوي يشبه إلى حد كبير القياس الفقهي؛ لأن النحاة استفادوا من علماء الأصول في هذا الشأن وبقوادح العلة القياسية وتقسيم النقل إلى متواتر وآحاد ومرسل ومجهول[1].

والفقهاء يقيسون قضية لم يرد بحكمها نص منقول على أخرى ورد بها نص من الكتاب أو السنة، وفعل النحاة الشيء نفسه، فالنحو يحتاج النص المسموع لاستنباط القاعدة اللغوية، ويحتاج القياس لا ثبات حكم قضية لغوية لم يرد بها نص مسموع على قضية أثبت لها الحكم استناداً إلى ما ثبت سماعه من القرآن وكلام العرب الفصحاء مع التحفظ على الاستدلال بالحديث، ووجه الخلاف بين الفقهاء والنحاة أنهما يختلفان في قياس العلة، فقد يبطل نص مسموع بقياس العلة، في حين أن النص مقدم على العلة عند الفقهاء.

ونعود إلى نقطة البحث الرئيسة؛ وهي أدلة الاحتجاج عند الزمخشري، فنقول:

يُعدُّ الزمخشري عالماً باللغة والنحو؛ لذلك سار على نهج اللغويين الأوائل الذين اعتمدوا أصول النحو العربي من سماعٍ وقياس واجماع وغيرهما من الأدلة.

كان السماع هو الأصل الأول في مباحث النحاة المتقدمين، وكلنا يعلم كيف اعتمد النحاة المتقدمين السماع في جمع اللغة من البوادي كما فعل ابن أبي إسحق وأبو عمرو بن العلاء والأصمعي والفرّاء وغيرهم، وكان لهم في ذلك سبيلان هما:-

---

[1] ـ ينظر باب القياس في الاقتراح للسيوطي، ص٩٤.

السيوطي: (وهو معظم أدلة النحو، والمعول في غالب مسائله عليه، لذلك قيل (إنما النحو قياس يتبع) ولهذا قيل في حدّه: إنه علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب، فالفقه بعضه بالنصوص الواردة في الكتاب وبعضه بالاستنباط والقياس، والنحو بعضه مسموع مأخوذ من العرب، وبعضه مستنبط بالفكر والرواية).

١- النقل أو الرواية.

٢- مشافهةُ الأعراب في البوادي.

من أدلة الاحتجاج عند الزمخشري:-

أولاً: النقل أو الرواية عند الزمخشري:-

لا يختلف الزمخشري كثيراً عن النحاة المتقدمين في اعتماد النقل أو الرواية الصحيحة دليلاً في المسائل اللغوية المختلفة وهو حريص كل الحرص على الأخذ من القرآن الكريم بقراءاته المختلفة، وكلام العرب المسموع الموثوق بفصاحته وجزالة ألفاظه، والأخذ من الحديث الشريف في قضايا اللغة والاستئناس به في تفسير معاني الآيات القرآنية.وفي تفسير الكشاف أمثلة كثيرة تدل على هذا الكلام نذكر منها على سبيل المثال، قال الزمخشري معلقاً على قوله تعالى:-

(﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ والْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾[1]، فإن قلت: هلا فسرت عُفِي بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به؟ قلت: لأن عفى الشيء بمعنى تركه، ليس يثبت، ولكن أعفاه، ومنه قوله عليه السلام: واعفوا اللحى، فإن قلت: فقد ثبت قولهم عفا أثره إذا محاه وأزاله، فهلا جعلت معناه: فمن محى له من أخيه شيء؟ قلت عبارة قلقة في مكانها، والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب والسنة، واستعمال الناس، فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نابية عن مكانها، وترى كثيراً ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ إذا أعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله على اختراع لغة وأدّعاء على العرب ما لا تعرفه، وهذه جرأة يستعاذ بالله منها)[2].

ربما لم يتسنَّ للزمخشري الخروج إلى البوادي العربية لسماع الأعراب الفصحاء؛ الذين لم يتطرق اللحن إلى ألسنتهم، ولكن كان له طريق آخر في رحلاته العلمية، وهو الاتصال بالأعراب الوافدين على الحواضر كالبصرة والكوفة وبغداد ومكة، وهذا السماع في واقع الأمر يدخل في النقل أو الرواية.

---

[1] - سورة البقرة: ١٧٨.

[2] - الكشاف: ٢٢٢/١.

الزمخشري كغيره من العلماء كان يسمع ممن لم يشك بفصاحته من الأعراب الوافدين على الحواضر؛ لأنهم كانوا في ذلك الوقت يمثلون لسان قبائلهم.

قال الزمخشري – مفسراً قوله تعالى: ﴿وَنُوحاً إِذْ نَادَى مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ وَنَصَرْنَهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوءٍ فَأَغْرَقْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [1]، قال: (من قبل) من قبل هؤلاء المذكورين، هو (نصر) الذي مطاوعه (انتصر) وسمعت هذليّا يدعو على سارق: اللهم انصرهم منه، أي اجعلهم منتصرين منه والكرب: الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه)[2].

مشافهة الأعراب في البوادي:ـ

الذي يغلب على ظنيّ أنّ الزمخشري لم يكن له اتصال بالبوادي العربية لسماع الأعراب، ولكن اكتفى برحلاته العلمية والرواية من الأعراب الوافدين على الحواضر.

خلاصة الأمر أن السماع عند الزمخشري ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي:-

أ- القرآن الكريم:-

يحتج الزمخشري بالقرآن الكريم بقراءاته المختلفة، وعدّ لغته في المرتبة العليا من كلام العرب في الفصاحة والتوثيق شأنه شأن النحاة المتقدمين (الذين عدّوا القرآن الكريم أعلى نص رتبةً في استخلاص قواعد العربية)[3]، إلا أنهم اختلفوا في مسألة القراءات ولاسيما القراءات الشاذة.

يختلف الزمخشري قليلاً عن النحاة في احتجاجه بالقراءات فأغلب النحاة يحتجون بالقراءات المشهورة في قضايا اللغة المختلفة، ويعتدون بها، ويردون القراءات الشاذة؛ لأنهم لا يقبلون المروي النادر منها؛ لأنهم يقيسونه على كلام العرب الكثير الشائع، بينما يحتج الزمخشري بالقراءات المشهورة والشاذة وبالغة الشذوذ في قضايا اللغة المختلفة وقد يرجح قراءة شاذة على مشهورة إذا أبانتْ المعاني البلاغية الجليلة.

يخضع الزمخشري القراءة للقياس النحوي شأنه شأن النحاة المتقدمين؛ فيحكم على بعض القراءات بالضعف أو عدم الفصاحة أو السماجة وإلى غير ذلك من

---

[1] ـ سورة الانبياء: ٧٦-٧٧.

[2] ـ الكشاف: ١٢٨/٣.

[3] ـ قال الفرّاء: (الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر)، معاني القرآن للفرّاء، ١٢/١.

النعوت. بهذا يكون الزمخشري قد ركب مركباً صعباً في التعليل والتأويل والتخريج مما لم يكن فاشياً في عمل النحاة المتقدمين، ويخضع الزمخشري أيضاً القراءة لمذهبه المعتزلي؛ فيستدل بها على بعض أصولهم، (فالمعتزلة مثلاً يرون أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان[1]).وهذا برأيي غير صحيح فالقرآن والقراءات حقيقة واحدة، وما القراءات إلا طريقة يُودّي بها القرآن الكريم، والقراءات توقيفيه وليست اختيارية تدور مع اختيار الفصحاء، واجتهاد البلغاء كما يري بعض المعتزلة، والذي دفعهم إلى هذا الرأي أنهم يحكّمون العقل والمنطق فيما يتعرضون له من مسائل وقضايا.

فُهِمتْ عبارات الزمخشري التي يرى فيها أنه يجوز للقارئ أن يعدل عن قراءاته المخالفة للقاعدة إلى ما يوافقها خطأً، فهو يقصد من ذلك البحث عن القراءات التي تُظهر الصناعة اللغوية، وتبرز المعاني الجليلة؛ لأنه عالم دائم البحث عن النظم البلاغية التي يحتويها النص القرآني.

وخلاصة الأمر أنّ الزمخشري اتّخذ منهجاً وسطاً بين موقف النحاة الذين اعتمدوا القراءات المشهورة الشائعة الذائعة مصدراً لاستنباط القواعد النحوية، ورفضوا القراءات الشاذة؛ لأنها لا تتفق مع قياسهم النحوي، وبين النحاه الذين قبلوا أغلب القراءات المشهورة والشاذة؛ لأنها صحيحة موصولة السند عن الرسولﷺ وقبلوا بعضها ولو كانت الرواية فيها نادرة.

يستدل الزمخشري بالقراءات المشهورة والشاذة وبالغة الشذوذ على السواء، فيقبل بعضها، ويضعف بعضها، ويرجّح البعض الآخر، وهدفه السامي من ذلك النظم البلاغية وإظهار النكات البلاغية، فهو دائم البحث عن الأفصح والفصيح ودائم البحث عن المعاني الجليلة؛ ولذلك نجده ميّالاً إلى القراءة على المعنى، ويُجَوّز إبدال كلمة مكان كلمة إذا كانت هذه الكلمة تؤدي معناها من أجل التفسير والتوضيح وإظهار المعاني البلاغية والأعجاز البلاغي للنظم القرآنية.

---

[1] - قال الزركشي (واعلم أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبه الحروف وكيفيتها من تحقيق وتشديد وغيرها والظاهر من كلام الزركشي أنه تأثر بأراء المعتزلة فهم يرون أن الكلام على قسمين لفظي ونفسي وهم يريدون من ذلك تنزيه الله تعالى عن مشابهة خلقه.

قال الزمخشري: وقرئ:(﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾[1]بكسر الشين وفيها ثلاث لغات: شجرة بفتح الشين وكسرها وشيرة، بالياء، وروى أنه لما نزل﴿أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ﴾قال ابن الزبعرى: إن أهل اليمن يدعون أكل الزبد والتمر: التزقم، فدعا أبو جهل بتمر وزبد فقال:تزقموا فإن هذا هو الذي يخوّفكم به محمد؛ فنزل ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ﴾وهو الفاجر الكثير الآثام،وعن أبي الدرداء أنه كان يُقرئ رجلاً فكان يقول: طعام اليتيم، فقال: قل طعام الفاجر يا هذا، وبهذا يستدل على أن إبدال كلمة مكان كلمة جائز إذا كانت مؤدية معناها، ومنه أجاز أبو حنيفة القراءة بالفارسية على شريطة، وهي: أن يؤدي القارئ المعاني على كمالها من غير أن يخرم منها شيئاً، قالوا: وهذه الشريطة تشهد أنها إجازة كلا إجازة،لأن كلام العرب خصوصاً في القرآن الذي هو معجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعاني والأغراض ما لا يستغل بأدائه لسان من فارسية وغيرها، وما كان أبو حنيفة–رحمه الله–يحسن الفارسية فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر، وروى على بن الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبه في إنكار القراءة بالفارسية)[2].والذي يظهر لي من هذا الشرح أنّ الزمخشري لايدعو إلى القراءة على المعنى إنما يقصد أن يستأنس بوضع كلمة مكان كلمة مؤدية معناها في الشرح والتفسير،وهو ما قام به أبو الدرداء حين وضّح وشرح للرجل الذي التبس عليه الأمر حين خلط بين الأثيم واليتيم فقال له: قل طعام الفاجر، موضحاً له المعنى ليستعين على أن يأتي بالقراءة الصحيحة المشورة كما أنزلت.

وخلاصة الأمر أنّ الزمخشري أجاز إبدال كلمة مكان كلمة مؤدية معناها في الشرح والتوضيح والاستعانة على معرفة المراد من النص القرآني.

قال أبو عمر: (معناه عندي أن يُقْرأ به في غير الصلاة ؛ وإنما لم تجز القراءة به في الصلاة؛ لأنّ ما عدا مصحف عثمان لا يقطع عليه، وإنما يجره مجرى خبر الآحاد؛ لكنه لا يقدم أحدٌ على القطع في ردّه)[3]

ب– كلام العرب:–

---

[1] ـ سورة الدخان: ٤٣.
[2] ـ الكشاف، ٢٨١/٤.
[3] ـ البرهان للزركشي: ٢٢٢/١.

كلام العرب شعره ونثره هو الميدان الثالث للسماع، ولكن علماء النحو جعلوه مقدماً على الحديث الشريف؛ لأنه في رأيهم الأمثل والأكمل شروطاً لاستنباط قواعد اللغة.

يُعدُّ كلام العرب من أدلّة السماع التي اعتمدها الزمخشري في تفسيره، وهو يستدل بالشعر العربي، فيحتج بشعر الشعراء الجاهيلين، وشعر شعراء طبقة الإسلاميين مثل: جرير، والفرزدق، والأخطل، ويحتج بشعر شعراء طبقة المولدين مثل: بشار بن برد وأبي نواس وأبي تمام.

وبرأيي أنّ الزمخشري يجوّز الاحتجاج بالشعر العربي حتى بعد عصر الاحتجاج الذي حدده العلماء عند سنة (١٥٠هـ)[١].

يرى الزمخشري أنه يجوز الاحتجاج بالشعراء الاسلامين مثل جرير والفرزدق والأخطل.

ويرى الزمخشري أنه يجوز الاحتجاج بالشعراء المولدين مثل: بشار بن برد، وأبي نواس وأبي تمام ونحوهم، قد نصر الزمخشري هذا الرأي في تفسيره كما سيأتي في الأمثلة اللاحقة.

المتتبع للشواهد الشعرية في تفسير الكشاف يجد الزمخشري يحتج بأبيات من شعره في القضايا اللغوية المختلفة، ومن ذلك قال مفسراً قوله تعالى: ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها﴾ [٢] فإن قلت كيف يضرب المثل بما دونه البعوضة، وهي النهاية في الصغر؟ قلت: ليس كذلك فإن جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات، وقد ضربه رسول الله ﷺ مثلاً للدنيا وفي خلق الله حيوان أصغر منها ومن جناحها، ربما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحادّ إلاّ تحركها، فإذا سكنت فالسكون يواريها، ثمّ إذا لوحت لها بيدك حادت عنها، وتجنبت مضرتها، فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة، وتفاصيل خلقتها، ويبصر بصرها، ويطلع على ضميرها، ولعلّ في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون) وأنشدت لبعضهم:-

---

[١] - الاقتراح للسيوطي، ص٧٠.
[٢] - سورة البقرة: ٢١.

يا من يرى مَدَّ البعوض جناحها في ظلمة الليل البهيم الأليلِ
ويرى عُروق نياطها في نحرها والمخَّ في تلك العظام النُحَّل
اغفر لعبد تاب من فرطاته ما كان منه في الزمان الأول[1]

وهذا الشعر للزمخشري وإن كانت عادته في تفسير الكشاف لا ينسبَ شعره لنفسه.

وخلاصة الأمر أن الزمخشري -رحمه الله- احتج بالشعر العربي في عدة أغراض في مجال النحو واللغة والبلاغة والمعنى والقراءات وخوفاً من الإطالة اخترنا بعض الأمثلة من تفسير الكشاف تمثل احتجاج الزمخشري بالشعر العربي من مختلف الطبقات وهي:-

١- يحتج الزمخشري بشعراء قبل الإسلام في مجالات اللغة المختلفة من نحو وصرف وبلاغة ومعاني وقراءات.

أ- قال مفسراً قوله تعالى: (﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين) أي لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين إلى ولاية الكافرين، وقال أميّة # يا نفس مالك دون الله من واقي#[2]، أي إذا تجاوزت وقاية الله، ولم تنالها لم يقك غيره (ومن دون الله) متعلق بادعوا أو بشهداءكم، فإن علقته بشهداءكم فمعناه: ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم أنهم يشهدون لكم يوم القيامة أنكم على الحق أو ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله)[3].

ب- يستدل الزمخشري بالشعر الجاهلي على رأي نحوي، قال (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين) فإن قلت لم صحت الإشارة بذلك إلى ما ليس ببعيد؟، قلت: وقعت الإشارة إلى آلم بعد ما سبق التكلم به وتقضي، والمنقضى في حكم المتباعد، وهذا في كل كلام، يحدّث الرجل بحديث ثمّ يقول: وذلك مالا شك فيه ويحسب الحاسب ثمّ يقول: فذلك كذا وكذا ..... تقول هند ذلك الإنسان، أو ذلك الشخص فعل كذا.وقال الذبياني:

---

[1] - الكشاف: ١١٦/١.
[2] - البيت لأميه بن أبي الصلت وتتمة البيت:-
يا نفس مالك دون الله من واقٍ ∴ ولا للسع بنات الدهر من راقِ
مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف للمرزوقي ٩٩/١.
[3] - الكشاف: ٩٩/٢.

نُبِّئتُ نُعْمَى على الهِجرانِ عاتبه .·. سُقْيًا ورَعْيًا لِذَاكَ العاتِبِ الزَّارِي[1]

ج- وقال مفسراً قوله تعالى:﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾[2]، قرأ ابن أبي ليلى: حذار الموت، وانتصب على أنه مفعول له كقوله: واغفر عوراء الكريم ادّخاره[3].

الملاحظ أنه انتصر لوجه القراءة (حذار الموت) على أنه مفعول له وقوّى هذا الوجه ببيت شعري من قول حاتم الطائي.

٢- يحتج الزمخشري بشعر الشعراء الاسلاميين كجرير والفرزدق وكعادته يأتي بالقراءة؛ فيقوى بها تفسيره، ويقوى وجه القراءة بالشعر، وهنا يستدل ببيت شعري للشاعر جرير، قال (وقرأ حيوة النميري "يُوَقِّئُونَ" بالهمز[4] جعل الضمة في جار الواو كأنها فيه؛ فقلبها قلب واو "وجوه" و"وقتت" ونحوه:-

لحب المؤقدان إلىّ مؤسى .·. وجعدة إذا أضاءهما الوقود[5])

يصف الزمخشري قراءة بأنها مشكلة، ويوجهها على إشكالها بوجه نحوي؛ ينتصر له ببيت شعري للشاعر جرير، قال الزمخشري: (وقرأ أبو السميفع[6]:- ﴿وَخَلَقَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ وفي قراءة زيد بن على ﴿وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾، وهي قراءة مشكلة ووجهها على إشكالها أن يقال: أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيداً، كما أقحم جرير في قوله:-

ياتيمَ تيم عدى لا أبالكم .·. تيماً الثاني بين الأول

---

[1] - البيت للنابغة الذبياني، مشاهد الانصاف على شواهد الكشاف للسبح المرزوقي، ٣٤/١.

[2] - سورة البقرة: ١٩.

[3] - (أورد صاحب الكشاف هذا البيت في التفسير من قوله (حذر الموت) على أنه مفعول له معرفاً بالإضافة كما في (ادّخاره)، وهو من قصيدة طويلة لحاتم الطائي تتعلق بالكرم ومكارم الاخلاق، خزانه الأدب ولب لسان العرب، لعبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي، ط١، ١٩٨٦، ١٢٣/٣.

[4] - قرأ الجمهور يؤقدون بواو ساكنة بعد الياء، وهي مبدلة من ياء وقرأ أبوحيه النميري بهمزة ساكنة بدل الواو، البحر المحيط ٧٠/١.

[5] - البيت الشعري لجرير في مدح هشام بن عبدالملك، مشاهد الانصاف، ٩٤/١، البحر المحيط، ٧٠/١، والنشر ٣١٩/١.

[6] - وقرأ بن السميفع، وخلق من قبلكم، جعله من عطف الجمل وقرأ زيد بن علي (والذين من قبلكم) بفتح ميم من) البحر المحيط ١٥٨/١.

وما أضيف إليه، وكإقحامهم لام الإضافة بين المضاف والمضاف إليه في لا أبالك)[1].

الملاحظ أن الزمخشري وصف قراءة زيد بن علي (وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ) بأنها مُشْكِلة وانتصر لوجهها النحوي بتوجيه حسن وهو أنّ الشاعر أقحم الموصول الثاني بين الأول وصلته تأكيداً كما في البيت الشعري حين أقحم جرير تيماً الثاني بين الأول وما أضيف إليه.

قال أبو حيان الأندلسي مدافعاً عن هذه القراءة (وهذا التخريج الذي خرّج الزمخشري قراءة زيد عليه هو مذهب لبعض النحويين، زعم أنك إذا اتيت بعد الموصول بموصول آخر في معناه مؤكد له، ولم يحتجْ الموصول الثاني إلى صلة نحو قول الشاعر:-

من النفر اللائي الذين أذاهم .·. يهاب اللئام حلقة الباب قعقعوا

فإذا وجوابها صلة اللائي، ولا صلة للذين؛ لأنه إنما أتى به للتأكيد، قال أصحابنا: وهذا الذي ذهب إليه باطل؛ لأن القياس إذا أكد الموصول أن تكرره مع صلته؛ لأنها من كماله وإذا كانوا أكّدوا حرف الجر أعادوه مع ما يدخل عليه لافتقاره إليه، ولا يعيدونه وحده إلاّ في ضرورة، فالأحرى أن يفعل مثل ذلك بالموصول الذي الصلة بمنزلة جزء منه)[2].

٣- يحتج الزمخشري بشعر الشعراء المولّدين، فيقوى به وجه القراءة، ويُبين من خلاله معنىً لغوياً.

أ) قال في سياق قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْاْ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ اللهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ﴾ [3] وأظلم: يحتمل أن يكون غير متعدٍ وهو الظاهر، وأن يكون متعدياً منقولاً من ظلم الليل، وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب: (أظلم) على ما لم يُسمّ فاعله وجاء في شعر حبيب ابن أوس:-

هما أظلما حالىّ ثُمّت أجْلَيا .·. ظلاَ مَيُهما عن وجهِ أمرد أشْنَبِ[4]

---

[1] - الكشاف، ٩١/١، تتمة البيت الشعري ياتيم تيم عدى لا أبالكم: لا يلقينكم في سوءة عمر وهو لجرير في هجاء عمر بن لجام التميمي وقبيلته، ينظر مشاهد الانصاف للشواهد الكشاف للمرزوقي، ٩١/١، البحر المحيط ١٥٤/١.

[2] - البحر المحيط ١٥٤/١.

[3] - سورة البقرة: ٢٠.

[4] - يقال أن البيت الشعري لأبي تمام، ويقال لحبيب بن أوس الانصاف على شواهد الكشاف، ٨٦/١.

وهو وإن كان محدثاً لا يستشهد بشعره في اللغة؛ فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه، ألاَ ترى إلى قول العلماء: الدليل عليه بيت الحماسة، فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته وإتقانه)[1].

يُفهم من كلام الزمخشري أنه يحتج بشعر المولدين في المعاني، لأنه أصحابه أهل للثقة وحسن الإتقان.

إذن العلماء –ومنهم الزمخشري– يحتجون بشعر المولدين في المعاني كما يحتجون بالشعر الجاهلي الموثوق فيه في الألفاظ[2].

ب) يبيّن الزمخشري الصور البلاغية من خلال شرحه للآيات القرآنية.

قال في سياق الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحِيِ أَنْ يَّضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَسِقِينَ﴾[3].

لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحي أن يتمثل بها لحقارتها، ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا: أَمَا يستحي رب محمد أن يضرب مثلاً بالذباب والعنكبوت؟ فجاءت على سبيل المقابلة وإطباق الجواب على السؤال، وهو فن من كلامهم بديع، وطراز عجيب منه قول أبي تمام:–

مَنْ مُبْلِغٌ أَفْنَاءَ يَعْرُبَ كُلَّها ∴ أنى بنيت الجار قبل المنزلِ)[4]

يُفهم من كلام الزمخشري أن من فنون البديع المقابلة، والمقابلة في الآية الكريمة ظهرت من إطباق الجواب على السؤال الذي سأله الكفار، وفي البيت الشعري لولا بناء الدار لم يصح بناء الجار.

ج– الحديث الشريف:–

يختلف موقف الزمخشري في الاستشهاد بالحديث الشريف عن موقفه من الاستشهاد بالقرآن الكريم وكلام العرب، يحتج الزمخشري بالقرآن الكريم وكلام العرب بكثرة في قضايا اللغة المختلفة بينما هو قليل الاتكاء على الحديث في القضايا اللغوية من نحو وصرف ولغة، ويمكن القول أنه يستدل بالحديث في المعاني؛ فيقوى

---

[1] ـ الكشاف، ٨٧/١.
[2] ـ ينظر المزهر للسيوطي: ٣٧/٢.
[3] ـ سورة البقرة: ٢٦.
[4] ـ الكشاف: ١١٣/١. البيت الشعري لابي تمام.

بـه تفسيره، وأغلـب الأحاديث التـي فـي الكشـاف سـاقها الزمخشـري لتقويـة الشـروح اللغوية وبيان معانيها.

وهذه بعض الأحاديث التي قوّى بها تفسيره:-

١- يقول الزمخشري في سياق قوله تعالى: (في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون)[١]، وقرئ: يكذبون، من كذبه الذي هو نقيض صدقه، أومن كذّب الذي هو مبالغة في كذب، كما بولغ في صدق فقيل: صدّق، ونظيرهما: بـان الشـيء وبيّن، وقلـص الثـوب وقلـص، أو بمعنـى الكثرة كقولهم: موتت البهـائم، وبركت الإبل، أو من قولهم: كذب الوحشي إذا جرى شوطاً ثمّ وقف لينظر ما وراء، لأن المنافق متوقف متردّد في أمره؛ ولذلك قيل له مذبذب، وقال عليه السلام: (مثل المنافق كمثل الشاه العائرة بين الغنمين تعير إلى هذه مرّة وإلى هذه مرّه)[٢].

استدل الزمخشري بالحديث الشريف في هذا النص على معنى التردد والتذبذب في الأمر.

٢- يبيّن الزمخشري معنى بعض الألفاظ بالحديث الشريف ومن ذلك يقول: (والريب: مصدر رابني إذا حصل فيك الريبة، وحقيقة الريبة: قلق النفس واضطرابها، ومنه ما روى الحسن بن علي قال: سمعت رسول الله يقول: (دع ما يُريبك إلى ما لا يُريبك) فإن الشك ريبة، وإن الصدق طمانينة)[٣].

٣- يقوّى الزمخشري تفسيره بالحديث الشريف، ومن ذلك يقول في سياق الآية الكريمة (واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون)[٤]، الاستكبار بالحق: إنما هو لله تعالى، وهو المتكبر على الحقيقة أي: المتبالغ في كبرياء الشأن، قال رسول الله فيما روى عن ربّه: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في النار) وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق)[٥].

---

١ - سورة البقرة: ١٠٠.

٢ - للكشاف، ٦١/١، والحديث أخرجه مسلم من رواية موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما، تخريج أحاديث الكشاف للحافظ بن حجر العسقلاني على هامش الكشاف ٦١/١.

٣ - للكشاف، ١:٣٤.

والحديث أخرجه الترمذي في سننه في آخر الطب، والحاكم في الأحكام وفي البيوع، والطبراني، والبزار ورواه البيهقي في الشعب بلفظ: (فإن الشر ريبة والخير طمأنينة)، الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني على هامش الكشاف ٣٤/١.

٤ - للقصص، /٣٩.

٥ - للكشاف، ٤١٥/٣.

القياس عند الزمخشري:-

نهج الزمخشري نهج ابن جني الذي يرى (أنه ليس من شرط المقيس عليه الكثرة، فقد يقاس على القليل لموافقته القياس، ويمتنع عن الكثير لمخالفته له)[1]، هذا الأمر يفسر لنا احتجاج الزمخشري بالقراءات الشاذة وبالغة الشذوذ؛ فقد يرى الزمخشري فيها أنها الأقيس على كلام العرب الموثوق به، وقد يرى فيها النموذج الأكمل في الصناعة النحوية واللغوية والبلاغية.

والقياس بأقسامه الأربعة من حمل الفرع على الأصل، وحمل الأصل على الفرع، وحمل النظير على النظير، وحمل الضد على الضد منقاد عند الزمخشري.

ويلاحظ أنه قبل أن يصدر أحكامه اللغوية والنحوية يعلل لها بعلل النحويين.

وقبل أن نمثل لهذه العلل النحوية عند الزمخشري لابد من الإشارة إلى أن الزمخشري سار على الصنفين الأساسين من اعتلالات النحويين وهما:-

٤- علة تطّرد على كلام العرب وتنساق إلى قوانين لغتهم.

٥-علة تظهر حكمتهم، وتكشف عن صحة أغراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم[2].

وهذه بعض الأمثلة لبعض العلل عند الزمخشري على سبيل المثال لا الحصر:-

أ- علة السماع:

كثيراً ما يعلل الزمخشري لقواعده اللغوية والنحوية بعلة السماع من العرب الموثوق فيهم.

يقول الزمخشري (وقرأ ابن أبي اسحاق عصيّ على لغة هذيل ومثله (يا بشريّ) بكسر الياء.

ب- علة الاستثقال:

ج-يقول الزمخشري:

والحديث أخرجه مسلم عن طريق أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي عن ربه، الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلاني على هامش الكشاف، ٤١٥/٣.

[1] - ينظر الخصائص لابن جني، ١١٥/١.

[2] - الاقتراح للاسيوطي، ص١١٥.

(وقرئ: (أأنذرتهم) بتخفيف الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر، وبتخفيف الثانية بين بين، وبحذف حرف الاستفهام، وبحذفه وإلقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ: (قد افلح))[1].

ويقول أيضاً (وقرأ أيوب السجتاني: ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمر بن عبيد (ولا جأنّ) وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين)[2].

فهمز القارئ هنا للهروب من التقاء الساكنين وهي بذلك بدل من المدة.

د- علة التعويض:

مثل تعويض الميم في اللهم من حرف النداء يقول الزمخشري: (إن الميم في اللهم عوض من الياء؛ ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم، وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف، وبقطع همزته في ياء أللهِ وبغير ذلك)[3].

هـ-علة الحمل على المعنى:

يقول الزمخشري: (وقرأ أبيّ: فاتّصدق على الأصل، وقرئ: وأكن عطفاً على محل (فأصدق)، كأنه قيل إن أخرتني أصدق وأكن، ومن قرأ: وأكونَ على النصب فعلى اللفظ، وقرأ: وأكون على وأن أكون عدةً منه بالصلاح[4].

ويقول أيضاً: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾، محمول على المعنى؛ لأن معنى أحرص الناس أحرص من الناس)[5].

و- علة مشاكلة:

يقول وقرئ: (سلاسل غير منون، وسلاسلاَ بالتنوين وفيه وجهان: أحدهما: أن تكون هذه النون بدلاً من حرف الإطلاق، ويجري الوصل مجرى الوقف، والثاني أن يكون صاحب القراءة به ممن ضرى برواية الشعر ومرن لسانه على صرف غير المنصرف)[6].

---

[1] ـ الكشاف، ٤٨/١.
[2] ـ الكشاف، ١٧/١.
[3] ـ المصدر نفسه، ٣٤٩/١.
[4] ـ الكشاف، ٥٤٤/٤.
[5] ـ الكشاف، ٢٩٨/١.
[6] ـ الكشاف، ٦٦٧/٤.

والعلل في تفسير الكشاف كثيرة لا يمكن حصرها في هذه الدراسة خوفاً من الإطالة، لذلك اكتفيت بهذه الأمثلة.

قال ابن مكتوم: (وأما علة التحليل فقد اعتاص عليّ شرحها، وفكرت فيها أياماً فلم يظهر لي فيها شيء)[1].

وربما علل الزمخشري قواعده محللاً ومفسراً وبذلك يكون قد استخدم هذه العلة؛ لأنه كثير التحليل والتعليق في جل شروحه والله أعلم.

الخاتمة

إن دراسة القراءات في هذا التفسير الكبير تحتاج إلى متسع من الوقت، وإلى الجهد الجهيد المضني كي تأتي الدراسة محكمة متأنيةً، لينكشف من خلالها كمين أسرار اللغة وجليل معانيها، والاحتجاج بمفهومه الواسع لا يمكن الإحاطة به في هذه الدراسة التي خصُصتْ في الاحتجاج بالقراءات في القضايا النحوية واللغوية، وهذه الدراسة ما هي إلاّ محاولة لتسليط الضوء على أهمية القراءات في إثراء الدرس النحوي واللغوي.

اعترض الشيخ أحمد بن منير على الزمخشري بقوله وهذا من الطراز الأول؛ لأن معتقده أن القراءة المستفيضة غير موقوفة على النقل المتواتر عن النبي ﷺ في تفاصيلها وأنها موكولة إلى اجتهاد القراء واختيارهم بمقتضى نظرهم كما مر له، وطم على ذلك هاهنا فجعل تنوين سلاسل من قبيل الغلط الذي يسبق إليه اللسان في غير موضعه لتمرنه عليه في موضعه، والحق أن جميع الوجوه المستفيضة منقولة تواتراً عنه ﷺ، وتنوين هذا على لغة من يصرف في نثر الكلام جميع ما لا ينصرف إلا أفعل.

والقراءات مشتملة على اللغات المختلفة، وأما قوارير فقرئ بترك تنوينهما وهو الأصل، وتنوين الأول خاصة بدل من ألف الاطلاق لأنها فاصلة، وتنوين الثانية كالأولى اتباعاً لها، ولم يقرأ أحدى بتنوين الثانية وترك تنوين الأولى، فإنه عكس أن يترك تنوين الفاصلة مع الحاجة إلى المجانسة وتنوين غيرها من غير حاجة. انتهى كلامهم.

وابن المنير فهم عبارة الزمخشري هذه على غير ما أراد بها الزمخشري، فالزمخشري لم يضعف القراءة إنما جوّز لها وجهين فقط.

[1] - الاقتراح لسيوطي، ص١١٧.

وبعد هذه الرحلة الطويلة توصل هذا البحث بعد القراءة والإطلاع، والعمل الدؤوب إلى غايته المحددة له، وانتهت هذه الرحلة الطويلة الممتعة مع هذا الإمام الجليل وهذه أهم النتائج التي اشتمل عليها هذا البحث:-

١- توسع الزمخشري في رواية القراءات، ولم يفرق في ذلك بين القراءات المشهورة والشاذة وبالغة الشذوذ.

٢- يُوجه الزمخشري الانتقادات إلى بعض القراءات المشهورة؛ فيصفها بالضعف أحياناً أو أنها غير فصيحة أو غير نيرة، ويصفها ثارة بالسماجة وغيرها من النعوث التي لا تناسب القراءات القرآنية، ولا يمكن القول أنه جاهل بالاسانيد الصحيحة إنما الذي دفعه إلى هذه الأقوال إخضاعه القراءات إلى القياس اللغوي.

٣- يكثر الزمخشري من الاحتجاج بالقراءات الشاذة لما فيها من النكات البلاغية.

٤- يخضع الزمخشري جميع القراءات المشهورة وغير المشهورة والشاذة وبالغة الشذوذ إلى المعيارية؛ معيار اللغة والفصاحة والبلاغة.

٥- القراءة الجيدة الكاملة المفضلة عند الزمخشري التي تؤدي معنى بلاغياً مع صحة وجهها اللغوي والنحوي والتي تتكشف من خلالها المعاني السامية.

٦- لا يفصل الزمخشري بين النحو والبلاغة عند احتجاجه بالقراءات، فالنحو عنده لا يكون نحواً إلاّ إذا أدّى المعاني البلاغية وهو بذلك يهتم باللفظ والمعنى معاً.

٧- وظّف الزمخشري بعض المعاني المتولدة من القراءات لخدمة مذهبه المعتزلي، وهذه المظاهر قليلة في تفسير الكشاف فيما يتعلق بالقراءات.

٨- في أكثر ما رجح الزمخشري من القراءات نظر؛ فقد تتفاوت القراءات بما يشمل عليها بعضها من خصوصيات البلاغة أو الفصاحة أو كثرة المعاني أو الشهرة وهو تمايز متقارب، وقلّ أن يكسب إحدى القراءات رجحاناً.

٩- قد يجمع الزمخشري عند احتجاجه بالقراءات عِدة أغراض، فالقراءة الواحدة يحتج بها للغة والمعنى والنحو والصرف والبلاغة، وهذا الأمر إن دلّ فيدل على تمكنه من علوم اللغة المختلفة.

١٠- يمكن الجزم والتأكيد على أن الزمخشري عالمٌ بالقراءات وأحوالها المختلفة وأسانيدها ونلمس ذلك من خلال توظيفه للقراءات في خدمة تفسيره للقرآن الكريم.

١١- عبارة الزمخشري التي مدح فيها فصاحة رؤبة بن العجاج من نحو قوله (وهذه القراءة تعزى إلى رؤبة بن العجاج، وهو أمضغ العرب للشيح والقيصوم ... وما أظنه ذهب في هذه القراءةإلاّ إلى هذا الوجه، وهو المطابق لفصاحته) فهمت خطأً أنه يدعو إلى القراءة بالرأي أو أنه يميل إلى أن القراءة اجتهاد لا نقل وسماع، بل المقصود منها بحثه عن الفصاحة والبلاغة واختياره القراءات التي تحقق له هذا الهدف السامي؛ لأن الزمخشري من أساطين علماء البلاغة، فالميل إلى إحدى القراءات المرويّة لفصاحتها لا ينفي بالضرورة الرواية ما دامت القراءة مروية.

١٢- تعد القراءة الصحيحة حجة في الأحكام عند الفقهاء والشاذة لا يقرأ بها عندهم في الصلاة ولا غيرها ولا يحتج بها عند جمهورهم بينما النحاة يحتجون بمتواتر القراءة وشاذها كما فعل العلامة الزمخشري.

١٣- انتقد المتأخرون ردّ العلماء المتقدمين للقراءات وانتقادهم لها وبعضهم تلقى هذا النقد بالقبول وبالغ فيه مستخدماً بعض الأساليب التي لا تليق بمنزلة النحاة وجهودهم في خدمة اللغة والقرآن الكريم.

١٤- اهتم الزمخشري بالاحتجاج بالقراءات وللقراءات، وتوسع في الإعراب والإكثار من الأدلّة وموقفه من القراءات يجمع بين مواقف السابقين من الترجيح بينها مرة والتوفيق أخرى، وردّها حيناً، والرد عنها حيناً آخر وجعل عتاده في ذلك جهود العلماء من قبله مبدياً في القليل النادر رأيه واجتهاده.

١٥- تتعدد مصادر الزمخشري في الاحتجاج بالقراءات فينقل عن بعضها مباشرة، وعن بعضها الآخر بواسطة مع التصريح بالنقل أو عدمه.

والحمد لله على التمام حمداً كثيراً إلى يوم الدين، وأسأل الله أن يتقبل منّا، وينفعنا بما علمنا فيا مفهم سليمان فهمنا ويا معلم داوود علّمنا ويغفر الله لنا ولوالدينا ولمعلمينا خاصة، ويختم لنا ولجميع المؤمنين بالسعادة وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المراجع والمصادر

أولاً: القرآن الكريم برواية حفص.

ثانياً: المصادر الأخرى:-

١- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر لأحمد بن محمد البنّا (ت ١١١٧هـ)، تحقيق الدكتور شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط١ ١٤٠٧/١٩٨٧م.

٢- الإتقان في علوم القرآن لأبي بكر عبدالرحمن السيوطي، ت(٩١١هـ)، ط٤، دار الفكر بيروت لبنان.

٣- أثر القراءات القرآنية في تطور الدرس النحوي للدكتور عفيف دمشقية، معهد الإنماء العربي.

٤- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشاسي المقدسي، ط٢، دار الكتب العلمية.

٥- (أخبار النحويين البصريين ومراتبهم وأخذ بعضهم عن بعض) لأبي سعيد السيرافي، ت محمد ابراهيم البنّا، دار الاعتصام، ط١، ١٩٨٥م.

٦- اختلاف النحاة من خلال كتاب الإنصاف لابن الأنباري، تأليف نوري حسن حامد المسلاتي، ط١/٢٠٠٥م، دار الفضيل للنشر والتوزيع – بنغازي ليبيا.

٧- الاختيار في القراءات والرسم والضبط لمحمد بالوالي، ط١/١٩٩٧م.

٨- الإعراب والاحتجاج للقراءات في تفسير القرطبي، ط٢/١٩٩٩م، منشورات كلية الدعوة الإسلامية طرابلس ليبيا، لسيدي عبدالقادر بن محمد محمود الطفيل.

٩- إعراب القرآن للعلامة أبي جعفر أحمد بن اسماعيل ابن النحاس ت ٣٣٨هـ، ط٢/٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، وضع حواشية وعلّق عليه عبدالمنعم خليل.

١٠- إعراب القراءات السبع وعللها لأبي عبدالله الحسين بن أحمد بن خالوية الهمذاني النحوي الشافعي المتوفى ٣٧٠هـ، حققه الدكتور عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة الخانجي القاهرة، ط١/١٩٩٢م.

١١- الإعلام لخير الدين الزركلي، دار القلم للملايين بيروت لبنان، ط٦/١٩٨٤م.

١٢- الإقتراح في علم أصول النحو للإمام الحافظ جلال الدّين عبدالرحمن السيوطي، تحقيق د. أحمد محمد قاسم، ط١، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م.
١٣- إنباه الرواة على أنباء النحاة لأبي الحسن على بن يوسف القوطي (ت٦٤٦هـ)، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط١/١٩٨٦م، دار الفكر العربي القاهرة.
١٤- الإنصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لأحمد بن المنير الإسكندري المالكي (ت٦٨٣هـ) بهامش الكشاف، دار الكتاب العربي.
١٥- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لأبي البركات عبدالرحمن بن محمود الأنباري (ت٥٧٧هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار إحياء التراث العربي، ط٤/١٩٦١م.

-ب-

١٦- البحر المحيط لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي (ت٧٤٥هـ).
١٧- البداية والنهاية لأبي الفراء إسماعيل بن كثير القرينى (ت٧٧٧هـ) بيروت، دار الفكر.
١٨- البرهان في علوم القرآن لمحمد بن عبدالله الزركشي، (ت٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣/دار الحبل بيروت لبنان، ١٩٨٨م.
١٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١/١٩٦٤م.
٢٠- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب القاهرة.
٢١- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية للدكتور محمد محمد أبو موسى، ط١، مكتبة وهبة القاهرة.

-ت-

٢٢- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان، نقله إلى العربية الدكتور رمضان عبدالتواب، راجع الترجمة الدكتور السيّد يعقوب بكر، ط٢، دار المعارف المصرية.
٢٣- التبصرة في القراءات السبع لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني القرطبي (ت٤٣٧هـ) تحقيق الدكتور محمد غوث الندوي، دار السلفية، ط٢/١٩٨٢م.

٢٤- التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء عبدالله بن حسين العكبري، ت٦١٦هـ، تحقيق علي محمد البحاوي، لبنان بيروت، دار الشام للتراث.
٢٥- التحرير والتنوير لسماحة الشيخ الأستاذ محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع تونس.
٢٦- التعريفات للجرجاني، (ت٨١٦هـ)، مكتبة لبنان، ١٩٨٥م.
٢٧- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي، دار الكتب الحديثة، ط٢/١٩٧٦م.

-ج-

٢٨- جامع البيان في تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط١/١٣٢٤هجرية.
٢٩- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، طبع المكتب التجاري بيروت، دون تاريخ.

-ح-

٣٠- الحجة في علل القراءات السبع لأبي علي الفارسي تحقيق علي النجدي ناصف، ود. عبدالحليم النجار ود. عبدالفتاح شلبي، ط٢، دار الكتب المصرية.
٣١- الحجة في القراءات السبع لأبي عبدالله الحسن بن أحمد بن خالوية، ت (٣٧٠هـ)، تحقيق الدكتور عبدالعال مكرم.

-خ-

٣٢- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبدالقادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١/١٩٨٦م.
٣٣- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جنّى (ت٣٩٠هـ)، تحقيق محمد علي النجار.

-د-

٣٤- دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة محمد ثابت الفندي وزملائه.
٣٥- دراسات في فقه اللغة للدكتور صبحي الصالح، لبنان بيروت، دار العلم للملايين، ط٧/١٩٧٨م.
٣٦- الدراسات النحوية واللغوية عند الزمخشري، للدكتور فاضل السامرائي، دار النذير للطباعة.

٣٧- دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني، تحقيق لجنة بمعرفة الناشر، دار القلم للتراث، صورة عن الطبعة الثانية (١٣٣٠هـ).
٣٨- ديوان الأعشى، دار بيروت للطباعة والنشر/١٩٨٠م.
٣٩- ديوان جرير، دار صادر للطباعة بيروت لبنان، ١٩٦٤م.
٤٠- ديوان أبي زبيد الطائي.
٤١- ديوان المتنبي بشرح ابي البقاء العكبرين تصحيح د. كمال طالب، دار الكتب العلمية لبنان، ط١/١٩٩٧م.

-ر-

٤٢- روح المعاني للألوسي، ضبطه وصححه علي عبدالبارئ عطية، دار الكتب العلمية بيروت، ط١/١٩٩٤م.

-س-

٤٣- سر صناعة الإعراب لابن جنى، تحقيق أحمد فريد، قدم له الدكتور فتحي حجازي، ط١، المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ.

-ش-

٤٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأبي الفلاح عبدالحي بن العماد الحنبلي، نشر مكتبة المقدسي، (١٣٥١هـ).
٤٥-شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.ط١-٢٠٠٣-دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
٤٦- شرح ابن عقيل (ت٧٦٩هـ) تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ط٢، بيروت لبنان.
٤٧- شرح المعلقات السبع للزوزني، مكتبة المعارف بيروت، ط١، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.
٤٨- شرح المفصل لموفق الدين بن يعيش (ت٦٤٣هـ) عالم الكتب بيروت.

-ص-

٤٩- صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبدالباقي، القاهرة مصر، ط٢/١٩٨٨م.

-ط-

٥٠- طبقات الشافعية الكبرى لتاج الدين السبكسي عيسى الحلبي القاهرة، تحقيق محمود الطناحي وعبدالفتاح الحلو.
٥١- طبقات الشافعيةالأسنوى، تحقيق عبدالله الحبوري، العراق.
٥٢- طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي، تحقيق محمد محمود شاكر، دار المدني خدة، بدون تاريخ.
٥٣- طبقات القرّاء لابن الجزري.
٥٤- طبقات المفسرين لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت٩١١هـ) مراجعة لجنة من العلماء، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية.
٥٥- طبقات النحويين واللغويين لأبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي (ت٣٧٩هـ)،تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، القاهرة مصر، دار المعارف، ط٢.

-ظ-

٥٦-فتح الباري بشرح صحيح البخاري لأحمد بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، تحقيق محب الدين الخطيب ومحمد فؤاد عبدالباقي،ط٢/١٩٨٨م،دار الريان للتراث.

-ق-

٥٧- القاموس المحيط لمجد الدين الفيروز أبادي، مطبعة مصطفى الحلبي مصر.
٥٨- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب للأستاذ عبدالفتاح القاضي، ط١، مصطفى الحلبي.
٥٩- قلائد الفكر في توجيه القراءات العشر للاستاذين قاسم أحمد الدجوي ومحمد الصادق قمحاوي، ط٢/١٩٧٠، مطبعة محمد علي.

-ك-

٦٠- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمر جار الله الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، لبنان بيروت، دار الكتاب العربي.
٦١- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لمصطفى بن عبدالله حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، بيروت لبنان، مكتبة المثنى.

٦٢- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحجتها لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني القرطبي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق الدكتور محي الدين رمضان، بيروت لبنان، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.
٦٣- الكليات لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري، دمشق، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط٢/١٩٨٢م.

-ل-

٦٤- لسان العرب لمحمد بن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، الدار المصرية للتأليف والترجمة، طبعة مصورة عن طبعة بولاق.
٦٥- اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٣م.
٦٦- اللهجات العربية في القراءات القرآنية للدكتور عبده الراجحي، دار المعارف بمصر ١٩٦٨م.

-م-

٦٧- المحتسب في تبين وجوه القراءات والإيضاح عنها لأبي الفتح عثمان بن جنّى، تحقيق على النجدى ناصف، والدكتور عبدالحليم النجار والدكتور عبدالفتاح شلبي، تحقيق لجنة إحياء كتب السنة، رقم الايداع ٧٥٨٤/١٩٩٤م.
٦٨- مختصر شواذ القراءات من كتاب البديع لابن خالوية، ط الرحمانية بمصر، نشر/برجشتراسر.
٦٩- المدارس النحوية للدكتور شوقي ضيف، دار المعارف المصرية، ط٧.
٧٠- المخل والتمهيد في علم القراءات والتجويد لعبد الفتاح شلبي، ط٢/١٩٨٩م.
٧١- مدارك التنزيل وحقائق التأويل لأبي البركات عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى (ت٧٠١هـ).
٧٢- مراتب النحويين لأبي الطيب اللغوي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النهضة مصر، ط٢/١٩٧٤م.
٧٣- المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، تحقيق فؤاد على منصور، دار الكتب العلمية بيروت، ط١/١٩٩٨م.
٧٤- مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف.وهو مطبوع على حاشية الكشاف- دار الكتاب العربي.

٧٥- مصادر اللغة لعبد الحميد السلقاني، الطبعة الثانية ١٩٨٢، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.
٧٦- معاني القرآن للأخفش، دراسة وتحقيق د. عبد الأمير محمد، عالم الكتب بيروت، ط١، دون تاريخ.
٧٧- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، شرح وتحقيق د. عبد الجليل عبده، عالم الكتب بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
٧٨- معاني القرآن للفرّاء، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٣٠٤هـ.
٧٩- معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر بيروت، ط٣، ١٩٩٥,
٨٠- معجم الخليل في مصطلحات النحو العربي للدكتور جورج مترى عبدالمسيح، تصدير الدكتور محمد مهدي علام نائب رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
٨١- معجم الصحاح.
٨٢- المعجم المفصل في علوم البلاغة، البديع والبيان والمعاني، إعداد الدكتورة إنعام نوال عكاوى، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.
٨٣- المعنى والإعراب ونظرية العامل لعبد العزيز عبده، منشورات دار الكتاب طرابلس، ط١، ١٩٨٢م.
٨٤- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام، تحقيق الدكتور مازن المبارك، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٧٢م.
٨٥- مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، لأبي العلاء الكرماني (ت٥٦٣هـ)، دراسة وتحقيق د. عبدالكريم مصطفى مدبح، تقديم محسن عبدالحميد، دار ابن حزم، ط١، ٢٠٠١م.
٨٦- المقدمة لابن خلدون، دار الجيل، بيروت، دون تاريخ.
٨٧- المقتضب لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة، عالم الكتب، ط١، ١٩٦٣م.

٨٨- منهج الزمخشري في تفسير القرآن وبيان إعجازه للدكتور مصطفى الصاوي الجويني، ط٣، دار المعارف المصرية.

ـ ن ـ

٨٩- نحو الزمخشري بين النظرية والتطبيق للدكتور زكريا شحاته، ط١، ١٩٨٦,

٩٠- النحو وكتب التفسير للدكتور إبراهيم عبدالله رفيده، ط٢، ١٩٩٠م، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان.

٩١- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، لابن الأنباري، تحقيق علي يوسف، إحياء مآثر علماء العرب، بريطانيا، دون تاريخ.

٩٢- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة للطنطاوي.

فهرس الآيات الكريمة

الآية	السورة	الصفحة
١	الفاتحة	٥٨-٥٩
٣		٣٠
٤		٦٠
٥		٦٠
٧		٦٠
٢	البقرة	٦٤

فهرس المحتويات

ت	الموضـــــوع	الصفحة
١	المقدمـة	١-٤
٢	المبحث الأول: الزمخشري وتفسيره	-
٣	أولاً: الزمخشري	٦-٩
٤	تفسير الكشاف وقصة تأليفه وقيمته العلمية	١٠-١٧
٥	أثره في كتب التفسير اللاحقة	١٨-٢٢
٦	المبحث الثاني: القراءة والاحتجاج بها وموقف النحاة من الاحتجاج بها قبل الزمخشري	-
٧	القراءة في اللغة	٢٤
٨	القراءة في الاصطلاح	٢٤
٩	تعريف الاحتجاج لغة واصطلاحًا	٢٥
١٠	دواعي التأليف في الاحتجاج	٢٦-٢٧
١١	ضوابط القراءة بين العلماء المتقدمين والمتأخرين	٢٧-٢٨
١٢	مواقف أشهر النحاة الذين احتجوا بالقراءات قبل الزمخشري	٢٩-٣٦
١٣	الفصل الأول: الاحتجاج بالقراءة عند الزمخشري	-
١٤	المبحث الأول: مظاهر الاحتجاج بالقراءة عند الزمخشري	-
١٥	الاحتجاج بالقراءة على صحة وجه لغوي وما يدل عليه من معانٍ مختلفة أو لإظهار الفروق اللغوية	٣٩-٤٢
١٦	تقوية التفسير القرآني بالقراءة، وتقوية القراءة بقراءة اخرى	٤٣-٤٤
١٧	ترجيح بعض القراءات على بعض	٤٥-٤٧
١٨	الاستدلال بالقراءات في الأحكام الفقهية	٤٨-٤٩
١٩	تضعيف بعض القراءات	٥٠-٥٢
٢٠	توظيف القراءة للانتصار لمذهب المعتزلة	٥٣-٥٦
٢١	المبحث الثاني: احتجاج الزمخشري بالقراءات في القضايا النحوية والصرفية	-
٢٢	احتجاج الزمخشري بالقراءات في القضايا النحوية والصرفية	٥٨-١٠١
٢٣	المبحث الثالث: احتجاج الزمخشري بالقراءات في القضايا الدلالية	-
٢٤	احتجاج الزمخشري بالقراءات في القضايا الدلالية	١٠٣-١٢٢

٢٥	الفصل الثاني: ضوابط القراءة وأدلة الاحتجاج عند الزمخشري	–

ت	الموضـــــوع	الصفحة
٢٦	المبحث الأول: ضوابط القراءة عند الزمخشري	–
٢٧	ضوابط القراءة عند الزمخشري	١٢٥–١٢٨
٢٨	المبحث الثاني: أدلة الاحتجاج عند الزمخشري	–
٢٩	أولاً: السماع	١٣٠
٣٠	ثانيًا: القياس	١٣١
٣١	ثالثًا: النقل أو الرواية عند الزمخشري	١٣٢
٣٢	الخاتمة	١٤٥–١٤٧
٣٣	قائمة المصادر والمراجع	١٤٨–١٥٥
٣٤	فهرس الآيات القرآنية الكريمة	١٥٦–١٥٨
٣٥	فهرس الأحاديث الشريفة	١٥٩
٣٦	فهرس الأبيات الشعرية	١٦٠–١٦١
٣٧	فهرس المحتويات	١٦٢–١٦٣